ابن سكرة الهاشمي

أبو الحسن محمد بن عبد الله بن محمد

شاعر متسع الباع ، فى أنواع الإبداع . فائق فى قول الملح والظرف ، أحد الفحول الأفراد ، جار فى ميدان المجون والسخف ما أراد . وكان يقال ببغداد : إن زماناً جاد بابن سكرة وابن الحجاج لسخي جدا ، وما أشبههما إلا بجرير والفرزدق فى عصريهما ، ويقال : إن ديوان ابن سكرة يربى على خمسين ألف بيت ، منها فى قينة سوداء يقال لها خمرة أكثر من عشرة آلاف بيت ، وكانت عرضة نوادره وملحه ، كطيلسان ابن حرب ، وهن أبى حكيمة ، وحمار طياب ، وضرطة وهب

وحكى أبو طاهر ميمون بن سهل الواسطى أن ابن سكرة حلف بطلاق مرأته — وهى ابنة عمه — أنه لا يخلى بياض يوم من سواد شعره فى هجاء خمرة . ولما شعرت امرأته بالقصة كانت كل يوم إذا انفتل زوجها من صلاة الصبح نجته بالدواة والقرطاس وتلزم مصلاه لزوم الغريم غير الكريم ، فلا تفارقه ما لم يقرض ولو بيتاً فى ذكرها وهجائها . وقد أخرجت من عيون ملحه ما يجمع الحجول والغرر . ويمتع السمع والبصر

* * *

الغزل والنسيب

قال فى غلام بيده غصن نور قد نور من الخفيف

غصن بان بدا وفى اليد منه غصن فيه لؤلؤ منظوم

فتحيرت بين غصنين فى ذا قمر طالع وفى ذا نجوم

وقال من الخفيف :

وغزال لولا نميمة شعر ذكرته لقلت بعض الجوارى

شارب أشرب الصبابة قلبي وعذار خلعت فيه عذارى

وقال [من الوافر] :

ويوم لا يقـاس إليـه يوم يلوح ضياؤه من غير نار
أقمنا فيه للذات سـوقاً نبيع العقل فيها بالعقار

وقال [من الخفيف] :

من عذيرى من شادن لا يرانى وهو روحى أهلا لرد السـلام ؟
أنا من خـده وعينيه والثغـر ومن ريقه البعيد المرام
بين ورد ونرجس وتلالى أقحوان وبابلى مدام

وقال [من السريع] :

الغصن منسوب إلى قده والورد منثور على خده
بدر يود البدر فى حسنه بأنه يعزى إلى عبده
سألته فى صحوة قبلة فردنى والمـوت فى رده
حتى إذا السكر لوى رأسه قبلته ألفاً بلا حمـده

وقال فى غلام يهواه وهو سميه [من الوافر] :

إذا باسمى دعيت حننت شوقاً وذكرنى به الداعى حبيبى
فليت كما اتفقنا بالأسامى وألفتها اتفقنا بالقلوب

وقال من الخفيف :

الليـالى نسوء ثم تسر وصروف الزمان ما تستقر
غير أنى عن الحوادث راض عدسخط . والعيش حلو ومر
كنت صباً بواحد ثم ثنيـت فلى بالجميع وصل وهجر
من شمالى وعن يمينى شمس تتجلى وعن شمالى بدر
[illegible] خده من المسك سطر وعلى طرف ذا من الغنج سطر

بت بجرى على من ريق هذيـــن وكأسى شهدومسك وخمر
لى من ريق ذا ومقلة هذا مع كأسى سكر وسكر وسكر

وقال [من المنسرح] :

حذار من وصل من بليت به فقـد لقيت الردى بجفـوته
دنوت منه كيما أقبله فـلم تدعنى نيران وجنته

وقال [من البسيط] :

قالوا التحى وستسلو عنه قلت لهم هل يحسن الروض ما لم يطلع الزهر
هل التحى طرفه الساجى فأهجره أم هل تزحزح عن ألحاظه الحور

وقال [من المنسرح] :

يا ضاحكا يستهل مضحكه عن برد واضح وعن شنب
أعطينى قبلة رشفت بها الـــشهد مشوباً بعبرة العنب
كأننى إذ لثمت فاك بها لثمت تفاحة من الذهب

وقال [من المتقارب] :

هديت من الناس من لحظه بلا خنجر كاد أن يجرحا
كتمت هواه زمان الصبا وصرحت بالحب لما التحى
وقيل محا الشعر لمـا بدا محاسنه منه واستقبحا
فقلت لهم ما محا حسنه ولـكن صبرى عنـه محا
بنفسى عذار بدا طالعاً على ناضر الورد ما أملحا
فصير فى رزة أصبعى وأوثق كفى تحت الرحى

وقال [من الوافر] :

أشبهه وحاشية لديه نقالا كلهم رخم وبوم
ببدر التم إشراقاً وحسناً وقد سترت محاسنه الغيوم

عهدت البدر تكنفه نجوم ودا بدر تطيف به رجوم

وقال [من مخلع البسيط] :

عابوا وقالوا تسل عنه فقلت هــدا أوان حى
إن الذى عبتموه منه هــو الذى يشتهيه قلبى
وكلما عتموه عندى زاد حنوى به وعحى

وقال [من السريع] :

أحببت بدراً ماله مشبه فى الحسن لولا أنه جاق
أحور فى مقلته حجنة للعين والشين مع القاف
وفى ارتجاج الردف داع إلى نون وياء قبل ما كاف
سألته الوصل فلم يحتشم وقال هدم نقدك الواق

وقال [من مجزوء الكامل] :

يا سدى ومؤملى قد شفى شوقى إليكا
دمعى عليك مــورد فكأنه من وجنتيكا

وقال فى غلام أعرج [من الكامل] :

قالوا بليت بأعرج فأجبتهم العيب يحدث فى غصون البان
ماذا على إذا استجدت شمائلا ورواد فاً تعــى عن الــكثبان
إنى أحب حلوسه وأريده للنوم لا للجرى فى الميدان
فى كل عضو منه حسن كامل ما ضرنى أن زلت القدمان

وله [من الخفيف] :

سر سرب المدام للسهام سدهاً ما به من الأسقام
كا ذت المدامه فى الأعـــضاء دب اشتياقه فى العظام

وقال فى غلام رش عليه ماء الورد [من الخفيف] :

ليت شعرى عن ماء وردك هذا هو من وجنتك أم شفتيكا
رق حسناً وطاب عرفاً فقد د ل بأوصافه الظراف عليكا

وقال [من الخفيف]

بات سكران لا يحير جواباً عن كلامى وبت ألثم فاه
وأتانى إبليس يأمر بالسو ء فما كان ذاك لا وهواه
شيمة الظرف أن أصون حبيبى عن قبيح يراه أو لا يراه
أى فرق بين الحبيب إذا نسـ ـك ولم يحتشم وبين سواه

وقال [من المنسرح]

فى وجه إنسانه كلفت بها أربعة ما اجتمعن فى أحد
الخد ورد . والصدغ غالية والريق خمر . والثغر من برد
لكل جزء من حسنها بدع تودع قلبى بدائع الكمد

وقال [من الرمل]

يا نظير البدر فى صورته وشبيه الغصن فى قامته
والذى ينسب الورد إلى روضة تضحك فى وجنته
ما ترى فى عاشق مكتئب دمعه وقف على مقلته
واقف بالباب يشكو ما به فتنى تنظر فى قصته

وقال [من الخفيف]

بأبى الأسمر الذى فيه منه بهلال يبين للناظرينا
قد سقانا فما شفانا مداماً وسرينا من ريقه فروينا

وقال [من المتقارب]

غزال فؤادى إليه صب وهش ولولاه لم يهشش

أجل نظراً فى نقا خده وفى خدى الأصفر الأنمش
تجد صحن خديه تفاحة وخدى من أجله مشمشى

وقال [من الخفيف] :

خذ من الدهر ما صفا لك منه ودع الفكر فى بنات الطريق
أى شىء يكون أطيب من كأ س رحيق شيبت بريق عشيق

وقال [من المجتث] :

نظنّ أنى أسلو كلا ورب البنيه
الآن تيم قلبى باللحيــة السبجيه
لخد خمرة فضل على الخدود النقيه
فيــه بقيــة حسن لم تبق منى بقيــه

وله [من مجزوء الخفيف] :

أنا والله تالف آيس من سلامتى
أو أرى القامة التى قد أقامت قيامتى

وقال [من المنسرح] :

وشادن ما رأيت غرته الـــغراء إلا شككت فى القمر
قد قلت لمـا رأيت صورته تبارك الله خالق الصور

وقال فى غلام زطى زامر [من السريع] :

ظبى من الزط تعلقته فصار معشوقى ومولاى
أحسن والإحسان لم يجمعا فى حسن إلا لبلواى
إذا نأت روحى عن جسمها رد لى النــأى بالنــاى

وقال فى غلام يعرف بابن برغوث من مشاهير الملاح [من الوافر] :

بليت ولا أقول بمن لأنى متى ما قلت من هو يعشقوه

حبيب قد نفا عنى رقادى فإن غمضت أيقظنى أبوه

وقال [من المديد] :

مستهام ضاق مذهبه في هوى من عز مطلبه (١)
كل أمرى فى الهوى عجب وخلاصى منه أعجبه
لى حبيب كله حسن فعيون الناس تنهبه
صيغ من ماء ولى نظر ليس يروى حين يشربه
ضاع من عينى فقلتها فى بحار الدمع تطلبه
منعتنى من مقبله حين أدنو منه عقربه
واستدارت فهى تحرسه من فى بخلا وترقبه

وقال [من البسيط] :

أهلا وسهلا بمن زارت بلا عدة تحت الظلام ولم تحذر من الحرس
تسترت بالدجى عمدا فما استترت وناب إشراقها ليلا عن القبس
ولو طواها الدجى عنا لأظهرها برق الثنايا وعطر النحر والنفس

* * *

المجون وما يجرى مجراه

قال [من السريع] :

قد قلت لما مر بى معرضاً كالبدر تحت الغسق الداجى
يهتز فى مشيته متعبا من كفل كالموج رجراج
ويلى على حل سراويله فإنه شد على عاج

وقال فى غلام تركى شرب معه [من مجزوء الرمل] :

أيها التركى ما عندك للصب النحيل

(١) فى نسخة : مستهام قد ضاق مذهبه * ولا يتم عليه الوزن

هل إلى مايستر القر طق عنى من سبيل؟
أشتهى ذاك وأخشى صولة الليث الثقيل

وقال [من المجتث] :

يا ليلة ليس فيها إلى الفقاح سبيل
طالت على ذى اهتياج له قد طويل
مسكرج تتوالى دموعه وتسيل
رقاده فى الدياجى حتى يبيك قليل
موتر مستقيم عليه رأس ثقيل
أنزلته خان سوء عنه بطيب الرحيل

وقال [من المجتث

قل للسكويتب عنى بأى أير نبيك؟
والأير منك صعير بضو ضعيف ركيك
شارك بأيرك أيرى ونك فنعم الشريك

وقال [من الكامل] :

إنى بليت بشادن غنج حسن الشمائل وافر الكفل
يبغى الدراهم وهى معوزة عندى لخبلى غير متصل
مستعجم الألفاظ أجهل ما يبدى ويجهل فهمه غزلى
وإذا مدحت فليس يفهمه والفارسية ليس من عملى
فحق ما بينى وبينك من ود بلا زيغ ولا ميل
امنن على بقربه فعسى أحيا بزورته ويسمح لى.
الجود منك سجيه أبداً والمدح والتفريظ من قبلى

وقال [من الطويل] :

إذا لم يكن للأير بخت تعذرت ... عليه جهات النيك من كل ناحيه
حرمت الغزال الواسطى لشقوتى ... فدمعة أيرى فوق خصبيه جاريه
وفاز به كل البرايا ، وربما ... غدت عقدى فى خدعة المرد واهيه
أقول لأيرى وهو يرقب فتكة ... به خبت يا أيرى وغالتك داهيه
عزاء فقد خاس الرجال بسيدى ... على ولاذوا بالدعى معاويه(١)

وقال [من الكامل] :

لما رأت كلفى بها وصبابتى ... وتأملت شمطاً يلوح بعارضى
قالت أكلت جناك ثم أتيتنا ... بعدود من ثمر عمرك حامض
أفحين نام الأير منك وصلتنا ... تبغى النكاح بغير أير ناهض
لا تعرضن لمهرة إن لم ترض ... كل الرضى كسرت ضلوع الرائض

وقال [من الطويل] :

وجاهلة هبت سفاهاً تلومنى ... وماعندها من لذة القصف ماعندى
توبخنى بالشيب والشيب مرشد ... لعمرى ولكن لست أنشط للرشد
فقلت لها كفى ملامك إننى ... بطىء عن العذال فى زمن الورد

وقال من [السريع] :

وبات فى السطح معى واحد ... من أكرم الناس ذوى الفضل
أفسو فيفسو وهو لى مسعد ... كأنما أملى له ويستملى

وقال [من المنسرح] :

عشقت للحين قينة عطفت ... قلبى بالحسن كل معطف
ورمت نيكا لها فكيف به ... لولا سماهى والدع من حرفى

(١) خاس بالعهد : غدر

قلت ارفق بالتشريف فابتسمت عن لؤلؤ ما اعتزى إلى صدف
عجباً وأبدت كالقعب عض له أيرى على بضه من الأسف
وصفقت فوقه تحسرنى وهو كثيف المجس كالهدف
حتى إذا ما رنا له ذكرى وطال حتى علا على كتفى
قالت بحق عليك نطمع أن تولج فى ذا بالشعر والشرف
بالله لا تنكنى نقاقيه ولا بفخر فانسل أو فقف
وأسبلت ثوبها عليه فلم أملك سلواً ولج بى كلفى
فعجت عنها والأير يشدنى يتاً ويبكى بأدمع ذرف
قال لى الشوق قف لتلثمه فمن حذار الرقيب لم أقف

وقال [من مجزوء الوافر] :

أيا من كله قمر وكل لحاظه حور
لقد طالت عداتك لى وأيامى بها قصر
متى فى البرج تحصل كى تزيف ويهدر الذكر
وتنتشر بيننا قبل يطير لنارها شرر

وقال [من المتقارب] :

وسوداء بورك فى بضعها ولا نال بؤساً فما أضيقا
نزوت عليها ولا علم لى بأن لها كعثبا محرقا
وكدت من الحر أن أشتوى ومن شدة الضيق أن أخنقا
وألفيت من جسدينا معاً لمبصرنا شبحا أبلقا
فإن أحدثت وطست بالمنى وإن تممت ولدت عقعقا

وقال [من المتقارب] :

لجرد عندى حدث تطول رأنى أبول فكادت تبول

فلما نهضت أتانى الكتاب وجاء الهدايا ووافى الرسول
وقالت تقول بنا يا فتى فقلت وأنعظت لم لاأقول

وقال [من السريع] :

وأجر غلمانى فى واسط جوع ،وكانوا لا يراموننا
جادوا بما كنت ضنيناً به فاتسعوا مما يناكوننا
لو أن رزقى مثل أدبارهم كنت من الإثراء قارونا

* * *

مليح من أهاجيه لخمرة

قال [من البسيط] :

غشت خميرة يوم العرس حاجبها بريقها وأتتنى وهى مختضبه
فقلت للزوج لا تغررك حمرتها فإنها القفل موضوع على خربه

وقال [من السريع] :

يا سائلى عن ليلة لى مضت وطيبها عنــد أبى الجيش
وكيف غنت خمرة لا تسل غنت فأغنتنا عن الخنش
كف على الطبل لإ بقاعها وكفها الأخرى على الفيش
وربمـا مرت لها فسوة من فيها عفت على العش

وقال [من السريع] :

رب عجوز مستعيبيه سلقبه اللون سلوقبه
عاجيةالشعر إذاا ستضحكت أبدت ثنايا آنوسيه
ذات حر عنبله بارز كرف فى وسط بريه
وشعره بالقمل منظومه كالودع فى عقصة كردبه
تفترذاك الصدع عن نظرها كقنفذ عض على ريه
مسنه تصبو إلى أمرد فهى على العاهة لوطيه

وقال [من الوافر] :

عجبت لخرة البخراء أنى أقامت مع مؤاجرها زمانا
وليس لأيره طول ولـكن ينيك به فيردفه لسانا
لحاه الله كيف يدس فيهـا لساناً ربما درس القرانا

وقال [من السريع] :

هل لك يا خمرة فى تجره مربحة ما مثلها بجره
صيرى إلى البصرة واسترزقى ربك بالنـكهة فى البصره
فلو عرضت الريق فى سوقها لابتيعت التفلة بالبدره
تزكو بها النخل وتحمر فى غير أوان الحمرة البسره

وقال [من المنسرح] :

لا تسمعوا خمرة فقد هرمت وانـكسرت تلـكم القوارير
رث غناها ورث كعثها والخلق المسترث مهجور
وكل باز يمسه هرم تخرى على رأسه العصافير

وقال [من الطويل] :

وقد كنت قبل الشيب أعشق خمرة وتفرط فى عشق وتضرط من حبى
إلى أن عفا حرها ودبب منعظى وصارت قفانبك وصرت ألا هبى

وقال [من البسيط] :

حسبي سواك وبسى من وصالك لى شغلت عنك بمن أهواه فاشـتغلى
لا تعذلينى على ما كان من ملل من ذا يراك فلا يصبو إلى الملل
هرمت حتى تناسيت اللحون معاً وصرت مفرغة الألحاض والمقل
إن كنت أبصرت أسنى منك فى بصرى فلا بلغت الذى أهواه من أملى
البحر أنت وأيرى ليس من سمك وليس بينى وبين البحر من عمل

وحصل معها فى دعوة فغنت ، فقال ابن سكرة [من السريع] :

ذنبي عظيم ما أرى يغفر　　فى وصل من نـكهتها مبعر
فالحمد لله على حكمه　　هـذا دليل أننى مدبر
قد قلت لما لاح لى ثغرها　　ولاح منه الخزف الأخضر
وانتثر السوسن من صدغها　　وثار منهـا نفس أبخر
وشف قلبي نتن آباطهـا　　يا معشر الناس قفوا فانظروا

* * *

ما أخرج من سائر أهاجيه

قال [من مخلع البسيط] :

تهت علينا ولست فينا　　ولى عهد ولا خليفه
فته وزد ما على جار　　يقطع عنى ولا وظيفه
ولا تقل ليس فى عيب　　قد تقذف الحرة العفيفه
الشعر نار بلا دخان　　وللقوافى رقى لطيفه
كم من ثقيل المحل سام　　هوت به أحرف خفيفه
لو هجى المسك وهو أهل　　لكل مدح لصار جيفه

وقال [من البسيط] :

أما الصيام فشىء لست أعدمه　　مدى الزمان وإن بيت إفطارا
أغشى أناسا فأغشى فى منازلهم　　جوعاً على ولا أغشى لهم نارا
قد ألجوا القمل أن ترزأ دماءهم　　وألجوا فى الكوى الجرذان والفارا

قال [من الوافر] :

وهنوا بالصيـام فقلت مهلا　　فإنى طول دهرى فى صيام
وهل فطر لمن يمسى ويضحى　　يؤمل فضل أقوات اللئـام

وقال [من السريع] :

أكره أن أدنو إلى داركم ... لأننى أخشى على نفسى
ضرسى طحون وعلى خبزكم ... من أكل مثلى آية الكرسى
وهو الذى أقعدنى عنكم ... فكيف آتى ومعى ضرسى !

وقال [من الوافر] :

عليل لا يعاد من الخساسه ... له نفس تحيد عن النفاسة
دخلت أعوده فازور عنى ... كأنى جئته لأدق راسه

وقال [من السريع] :

قام إلى كلب له مثله ... فلم يزل يعلوه بالسيف
فقلت ما ذنب أخيك الذى ... يقنع من زادك بالطيف
فقال لى لا عفو عن ذنبه ... حاف علينا أيما حيف
صانعه الضيف بعظم له ... فنحن فى ريب من الضيف

وقال [من الكامل] :

كل العجائب قد سمعت وما أرى ... أنى سمعت لشاعر قرنان
قرن يحك به السماء ومثله ... ذنب يزور الحوت فى الأزمان
وإذا تحدث أحدثت لهواته ... فترى الأنوف تلوذ بالأردان
وترى أخادعه نعط كأرسب ... عكفت عليه مناسر العقبان

وقال [من السريع] :

لا قدست أرض أقمنا بها ... قريبة من طبرستان
ليست خراسان ولكنها ... تقرب من أرض خراسان
لا سقيت جرجان من وابل ... قطراً ولا ساكن جرجان
قوم إذا حل غريب بهم ... مات من الشوق إلى الباز

وقال [من السريع] :

لا وصل الروح إلى تربة | تضمنت روح أبى روح
والضرط والفسو على قبره | أولى من التأبين والنوح

وقال [من الخفيف] :

ياجو أمرد يا حليف البلاده | لك فى الفسق عادة أى عادة(١)
أنت لاتعرف الصلاة فقل لى | لم تأنقت فى شرا سجاده

وقال [من الكامل] :

يا شاعراً جمت مصائب دبره | وتكاثفت لوداقه أوجاعه
طلب التطبع فى القريض بجهده | فجرت طبيعته وقام طباعه

وقال [من البسيط] :

علامة النحس والخذلان والشوم | إعراض وجهك عن صقر إلى بوم
كراغب فى بنات الزنج من أفن | وزاهد فى بنات الترك والروم

وقال [من المتقارب] :

تجشأت فى وجه بوابه | ليعرف شبعى فلا أمنع
وقلت له إن بى تخمة | فهل من دواء لها ينفع؟
فقال لقد غرنى معشر | بهذا الحديث الذى أسمع
فلما نذرت بهم صاحبي | ولاحت موائده أوجعوا
فراحوا بطانا ذوى كظة | وأقبلت من أجلهم أصفع

وقال من الوافر]

يطيل المكث فى الإصطبل حتى | يرى أير لحمار إذا أسبطرا
فيمرسه ويكثر فوق طوبى | اغمد ضم هدا النصل شهرا

(١) كذا وقع صدر هذا البيت

وقال [من الوافر] :

لنا شيخ يصلى من قعود ... وينكح حين ينكح من قيام
صموت فم أخو عىٍّ ولكن ... له دبر يطفل بالكلام

وقال لكاتب وعده كاغداً فلم ينجز [من المنسرح] :

كددتنى أن سألتك الورقا ... فكيف حالى إن قاسمتك الورقا(١)
يا كاتباً برزت كتابته ... فصار فيها مقدماً لبقا
أسلم فى مكتب المروءة والظـ ... ـرف وكسب العلا فما حذقا
حتى إذا أسلموه فى مكتب الـ ... ـلؤم جرى كيف شاء وانطلقا

* * *

ما أخرج من خمرياته ، وما يتصل بها من الأوصاف

قال [من البسيط] :

اشرب فلليوم فضل لو علمت به ... بادرت باللهو واستعجلت بالطرب
وردالخدود وورد الروض قد جمعا ... والغيم مبتسم والشمس فى الحجب
لا تحبس الكأس واشرب بها مشعشعة ... حتى تموت بها موتاً بلا سبب

وقال ، وقد شرب فى الغمر بواسط [من مجزوء الرمل] :

ليلتى فى الغمر دهرى ... أو يقضى العمر عمرى
مر لى فى العمر يوم ... لا أجازيه بشكر
بين غزلان النصارى ... أمزج الريق بخمر

وقال ، وقد شرب عند الأمير أحمد بن ورقاء [من مجزوء الخفيف] :

للأمير الجليل لا ... حط من نبل قدره

(١) الورق الأول يقرأ بفتح الواو والراء جميعا ، وهو ما يكتب فيه . والورق الثانى يقرأ بفتح الواو وكسر الراء ، وهو الفضة .

قهوة أشبهت سجا ياه فى كل أمره
ذات صفو كوده ونسيم كنشره
قد حصلنا بمجلس فيه ريحان ذكره
فشربنا بجمدد واتقلنا بشكره
وسمعنا عرائبا من أفانين شعره
فكأنا نفى الخلد نر تع فى طيب زهره

وقال [من مجزوء الكامل] .

قم ياغزال من الكرى روحى فداؤك من غزال
هذا الصبوح وأنت أنت وهذه بكر الحجال
لا تخدعن عن الشمو ل يشوبها ماء الشمال

وقال سامحه الله تعالى [من الخفيف] :

قد بدا الصبح مؤذنا بسفور وفرى الفجر حلة الديجور
فاسقنى قهوة نترجم بالرقة عن دمع عاشق مهجور

وقال [من المنسرح] :

ياساهر الطرف قد بدا السحر وجمشتنا بنشرها الزهر
ورق جلباب ليلنا ودعا إلى الصبوح الصباح والقمر
فما ترى فى اصطباح صافية بكر حناها فى الحانة الكبر
رقت وراقت وفات ملمسها ولم يفتنا النسيم والنظر
فهى لمن تم ريحها أثر وهى لمن رام لمسها خبر
ترى الثريا والغرب يجذبها والبدر يهوى والفجر ينفجر
كف عروس لاحت خواتمها أو عقد در فى الجو ينتثر
فى روضة راضها الربيع وما قصر فى وشى بردها المطر

حيث نأى النأى بالعقول وقد أبلغ في نيل وتره الوتر

وقال ، وكتب بها إلى يحيى بن فهد يستهديه نبيذا [من المجتث] :

رسالة من مكد وشاعر وشريف
إلى فتى مستبد بكل فضل ظريف
إليك يحيى اشتكائى صحوى بيوم طريف
ولست مضمر نسك كلا ولا بعفيف
ولو أسام بديني لبعته برغيف
موت الوزير دعانى إلى التماس طفيف
ولم أزل وهو حى فى كل خصب وريف
وأنت منه اعتياضى ياذا المحل المنيف
أجل وكهفى وغوثى على الزمان العنيف
وفى النبيذ سلو عن الغرام المطيف
فامنن على بضخم من الدنان كثيف
مستودع ذات لون ومطعم حريف
كأنها وهم حس أتى بحدس لطيف
فقد تبدد شملى وأنت للتأليف

وقال [من مجزوء الكامل] :

يامن ثناه وذكره بين الورى مسك وعنبر
إنى كتبت وزائرى ظبى مليح الدل أحور
متمنع فى الصحو يسمح بالبضاعة حين يسكر
وأرى تعذر أمره فى الكف إن سكر تعذر
فامنن على بقهوة أنف الحبيب بها يعفر

فأنال منه أنا المنى وتحوز أنت ثناً وتوجر

وقال [من مجزوء الكامل] :

إن كنت تنشط للبديـــح والثناء عليك منى
فابعث إلى مخ الرسو ل إذا أتاك بملء دن
ومتى رضيت بأن أقطــع أو أهجن أو أزنى
فاصرف رسولى خائباً وادفع بقبحك حسن ظنى

وقال [من مجزوء الرمل] :

يا فتى الجصاص قد أعـــدمتنى الإحسان دفعه
ولزمت الشح بالرا ح فما تسخو بجرعه
قد أتى العيد وصحوى فيــه يامولاى بدعه
أملى فيك قريب ليس فيه لى منعه
شربة من خمرك الصا فى ومن ندك قطعه
ينبذ الحب فيستنـــفده الشعر برقعه

وقال [من المجتث] :

لنا على النـار قدر بخاتم النار بكـر
وعنـدنا من بقايا صبيحة العيـد خمر
وقد دعونا غلاماً كالغصن أعلاه بدر
فاطلع علينا وساعد أو لا فمالك عــذر

وقال [من مخلع البسيط] :

على الأثافى لنا قدور ساكنة النبض لاتفور(١)

(١) الأثافى : الحجارة التى توضع عليها القدر ، واحدتها أثفية ، بوزان أفعولة .

قامت على سوقها لأكل ... ونحن من حولها ندور
وعندنا من شراب عمرو ... دن رحيب الحشى كبير
لما فضضناه فاح منه ... نسيم مسك ولاح نور
فكن لنا مسعداً وبادر ... يكمل بك الحسن والسرور
واغنم من الدهر صفو يوم ... فهو بتكديره جدير

وقال يستهدى نبيذا فى ذكرة [من الطويل] :

وزنجية لم تعرف الزنج طفلة ... حميصة بطن مسها عندك العطش
فجاءتك تستسقى من الخمر ريها ... فترجع كالحبلى من النسوة الحبش
فكم من هزيل مثلها فى صمورها ... عنيت به حتى تضلع وانتعش

وقال [من المجتث] :

للورد عندى محل ... لأنه لا يمل
كل الرياحين جند ... وهو الأمير الأجل
إن غاب عزوا وباهوا ... حتى إذا عاد ذلوا

وقال من قصيدة(١) [من الوافر]

ويوم لا يقاس إليه يوم ... تلوح ضياؤه من غير نار
أقمنا فيه للذات سوقاً ... نبيع العقل فيه بالعقار

* * *

الشكوى والتفجع

وقال [من الوافر] .

أرى حللا وديباجاً حساناً ... فألحظها بطرف المستريب
وأعرف قصتى وأرد طرفى ... وفى قلبى أحر من اللهيب
جنى نسبى على وصد رزقى ... وأتكلنى من الدنيا نصيبى

(١) تقدم ذكر هذين البيتين (انظر ص ٤ من هذا الجزء)

فوا أسفا على كستيج قس ويا لهفا على قوس الصليب[١]

وقال [من مجزوء الخفيف] :

قد أتى العيد لا أتى فلقد أنهج المهج[٢]
ليس فيه لهاشمـــى سرور ولا فرج
إنه عيد أهل قـــم وقاشان والـكرج[٣]
يتـــلاقى بياضهم بقلوب من السبج

وقال يتأسف على أيام المهلبي الوزير [من الكامل] .

يا صاحبى قفا أبشـــكما ما قد منيت به من النوب
وافى الربيع وقد ألفت به درر السقاة بدائر النخب
فى روضه صبغ الربيع بها ورد الخدود بعصفر العنب
وإذا الغلام أدار فى يده صفراء بعد المزج كالذهب
حمراء يضحك فوق مفرقها ثغر الحباب كثغر ذى شنب[٤]
أسجدت فوق الخد منه فمى شكراً لما أوليت من طرب[٥]
هذا حديث كان لى ومضى كالأمس ولى ثم لم يثب
أيام كنت من المهالب فى ربع أغن ومرتع خصب
فبمن أعوذ اليوم من كمد لاأستقل به من الـكرب
والورد قد وافى بنضرته والنفس تطلب غاية الطلب

(١) الـكستيج : خيط غليظ يشده الذمى فوق ثيابه تحت الزنار
(٢) أنهج المهج : أبلاها
(٣) قم وقاشان والـكرج : بلاد
(٤) الشنب : عذوبة ورقة فى الأسنان
(٥) أسجد هنا : طأطأ رأسه

طلقت لذاتى الثـــلاث فـا بينى وبين اللهو من سبب
فإذا بصرت بوردة قنعت نفسى بها وقضت مدى أربى
فعلى السرور وكل فائدة بعد الوزير سلام محتسب

وقال [من الطويل] :

مضى ملك عم البرية جوده رءوف وإن راع الأسود شفيق
سكرت بنعماه وجود وزيره فقالت لى الأيام سوف تفيق

وقال [من البسيط] :

لا عذب الله ميتاً كان ينعشنى فقد لقيت بضرى مثل مالاقى
طواه موت طوى منى مكارمه فذقت من بعده بالموت ما ذاقا

وقال لبعض الوزراء [من المنسرح] :

ياسيدى أنت إن لى خبرا أجرى لسانى وصلب الحدقه
هاك حديثى فإن نشطت له فاسمع وإلا فخرق الورقه
مستأنس زارنى وحسبك بال ببغاء ضيفا ذا فقحة شبقه
باكرنى جائعاً فهتكنى ومص منى دمى ولا علقه
وهو على البخت ناقه فتى قدمت ثورا بفرثه شرقه(١)
لم يبق فى روح برمتى رمقاً أتى على اللحم واحتسى المرقه
وعاث فى سفرتى كشبلة غرثى بتلك الأنامل اللبقه
قلعاً وبلعاً بلا مراقبة لله فى عيلتى ولا شفقه
قل للرئيس الذى أنامله مبسوطة بالنوال منخرقه
حلت لى الميتة التى حرمت فكيف تنبو نفسى عن الصدقه

---

(١) الفرث : ما يكون فى الكرش

وقال [من البسيط] :

يا سيداً طال قرداً فى سيادته يخشى ويرجى لدفع الحادث الجلل(١)
الشوق ينهضنى والعدم يقعدنى فمن شناك به ما بى من الخلل

وقال [من السريع] :

جملة أمرى أننى مفلس وليس للمفلس إخوان
وكل ذى عيش بلا درهم فعيشه ظلم وعدوان

وقال [من مجزوء الرمل] :

قيل ما أعددت للبر د فقد جاء بشده
قلت دراعة عرى تحتها جبه رعده

وقال [من البسيط] :

وجاهل قال لى : لا بد من فرج فقلت للغيظ . ثم لا بد من فرج ؟
فقال من بعد حين قلت يا عجبا من يضمن العمر لى يا بارد الحجج
لو كان ماقلت حقا لم أكن رجلا مقسم العمر فى الروحات والدلج
أسعى لأدرك حظاً لو حظيت به ما كنت أول محظوظ من الهمج
ذنبى إلى الدهر أنى أبطحى أب ولست أعزى إلى قم ولا كرج

وقال [من البسيط] :

أمسى يسائل عن حالى ليخبرها وكيف أمسيت فى أهلى وفى بلدى
فقلت حالى بحال من رثاثتها وعلة الحال تدعى علة الجسد

* * *

(١) الجلل هنا : العظيم

المدائح وما يقترن بها

قال من قصيدة في الفرج [من السريع] :

وقائل لم غبت عن لحظه   وأنت من أصغر غلمانه
فقلت ما أحمل فخري بمن   تسمو به سادات أزمانه
هيبته تمنع من قربه   وجهه يغري بعتبانه
وقد تلددت فهل حيلة   تبسط أنسي عند لقيانه

وقال لابن لوزة ، وقد أهدى إليه دواة [من البسيط]

أخ مزجت بروحي روحه وجرى   مني كمجرى دمي في الجسم افديه
ثم اتفقنا على ألقاب سالفنا   فصرت في كل حال ما أضاهيه
أهدى إلى دواة لو كتبت بها   دهري أياديه لم تنفد أياديه

وقال في أبي الحسن محمد بن عمر بن يحيى [من الوافر] :

لقد أمسكت من عمر بن يحيى   بحبل لا أخاف له انبتاتا
حباني في الحياة ورم حالي   وأوصى بي أبا حسن ومات[1]
فكنت مجاوراً للبحر منه   فلما مات جاورت الفراتا

وقال يهنئ بالعيد [من الوافر] :

عماد الدين قابلك السعود   وعشت كما تريد لمن تريد
وأظهرك الإله على الأعادي   ومات بدائه فيك الحسود
أتاك العيد مقتبلا جديداً   وجدك فيه مقتبل سعيد
هنى الناس بالأعياد فينا   وأنت لنا برغم العيد عيد

وقال [من الخفيف] :

ولعمر الإله لولا أياديك   لماتت خواطر الشعراء

---

(١) رم حاله : أصلحه وأقامه

عشت نطوى الأعادطى الأعادى ... فى سرور ونعمــة ورخاء

* * *

سائر الملح والنوادر

قال [من الوافر] .

أمر الله عينك ما حوتى ... فقد أعتقت من رق السهاد

ويا عيني لك البشرى فنامى ... وتهنيك الســلامة يا فؤادى

نزعت عن الهوى وبرئت منه ... إليك وكنت دهرى فى جهاد

وقال [من مجزوء الكامل] .

يا شاعراً عشار من ... أفكاره الفقر الدقاقا

شعر لو أن التبهد فيـــس به وجدناه زعاقا[1]

وقال يصف رمكة شقراء [من المنسرح]

شقراء إلا حجول مؤخرها ... فهى مدام ورسغها الزبد

تعطيك مجهودها فراهتها ... فى السير فالحضر عندها وخد[2]

وقال [من مجزوء الرمل] .

قف للبزله حلى ... وانزلى عبر لهـاتى

واتركى حلقى بحى ... فهو دهليز حيـاتى

وقال فى غلام له كبر فأخرجه [من مجزوء الرمل]

ما تركناه وفيـه ... لمحب من طمــاح

هدر الطير ومن عا ... دانا أكل الفراخ

---

(١) الزعاق : الماء المر الغليظ الذى لا يطاق شربه

(٢) الحضر والاحضار . ارتفاع الفرس عند العدو

وقال من [السريع] :

وهامة نيطت بها لحيه ... يظلم من قد قاسها باللحى

قد نصل الخضب إلى نصفها ... فهى كمثل النمل إذ أجنحا

وقال [من المتقارب] :

فإن كنت من هاشم فى الذرى ... فقد ينبت الشوك وسط الأقاحى

وقال [من الطويل] :

هو البحر إلا أنه عذب مورد ... ومن عجب أن العذوبه فى البحر

وقال [من الكامل] :

الجوع يطرد بالرغيف اليابس ... فعلام تكثر حسرتى ووساوسى

والموت أنصف حين عدل قسمه ... بين الخليفة والفقير البائس

وقال [من السريع] :

كنت فقيراً ثم أغنيتنى ... وعدت فى الفقر من الراس

كمثل من بخره أهله ... وهو على مجمره فاسى

وله [من السريع] :

أما ترى الروضه قد نورت ... وظاهر الروضة قد أعشبا

كأنما الأرض سماء لنا ... نقطف منها كوكباً كوكبا

وقال [من المنسرح] :

أطمعنى فى خروفكم خرفى ... فجئت مستعجلا ولم أقف

غدوت أرجو طرافه فغدت ... فى طرف والسماك فى طرف

وقال [من الوافر] :

لقد بان الشباب وكان غصناً ... له ثمر وأوراق تظلك

وكان البعض منك فمات فاعلم ... متى ما مات بعضك مات كلك

أخذه من قول الخريمى [من الوافر]

إذا ما مات بعضك فابك بعضا فبعض الشيء من بعض قريب

وقال فى الزهد يخاطب نفسه [من الطويل] :

محمد ، ما أعددت للقبر والبلى وللملكين الواقفين على القبر ؟

وأنت مصر لا تراجع توبة ولا ترعوى عما يذم من الأمر

تبيت على خمر تعاقر دنها وتصبح مخموراً مريضاً من الخمر

سيأتيك يوم لا تحاول دفعه فقدم له زاداً إلى البعث والحشر

* * *

الباب السابع

نذكر فيه محاسن أبى عبد الله الحسن بن أحمد بن الحجاج وغرائبه

هو وإن كان فى أكثر شعره لا يستتر من العقل بسجف، ولا يبنى جل قوله إلا على سخف . فإنه من سحرة الشعر ، وعجائب العصر. وقد اتفق من رأيته وسمعت به من أهل البصيرة فى الأدب وحسن المعرفة بالشعر على أنه فرد زمانه فى فنه الذى شهر به ، وأنه لم يسبق إلى طريقته ، ولم يلحق شأوه فى نمطه ، ولم ير كاقتداره على ما يرده من المعانى التى تقع فى طرزه ، مع سلاسة الألفاظ وعذوبتها ، وانتظامها فى سلك الملاحة والبلاغة . وإن كانت مفصحة عن السخافة ، مشوبة بلغات الخلديين والمكدين وأهل الشطارة . ولولا أن جد الأدب جد وهزله هزل كما قال إبراهيم بن المهدى لصنت كتابى هذا عن كثير من كلام من يمد يد المجون فيعرك بها أذن الحرم، ويفتح جراب السخف فيصفع بها قفا العقل. ولكنه على علاته تتفكه الفضلاء بثمار شعره، وتستملح الكبراء ببنات طبعه ، وتستخف الأدباء أرواح نظمه ، ويحتمل المحتشمون فرط رفثه وقذعه . ومنهم من يغلو فى الميل إلى ما يضحك ويمتع من نوادره . ولقد مدح الملوك والأمراء ، والوزراء والرؤساء ، فلم يخل قصيدة فيهم من سفاتج هزله ، ونتائج فحشه، وهو عندهم مقبول الجملة غالى مهر الكلام، موفور الحظ من الإكرام والإنعام ، مجاب إلى مقترحه من الصلات الجسام ، والأعمال المجدية التى ينقلب منها إلى خير حال . وكان طول عمره يتحكم على وزراء الوقت ورؤساء العصر ، تحكم الصبي على أهله ، ويعيش فى أكنافهم عيشة راضية ، ويستثمر نعمة صافية ضافية . وديوان شعره أسير فى الآفاق

من الأمثال ، وأسرى من الخيال . وقد أخرجت من ملحه الخالية من الفحش المفرط ، الحالية بأحسن المقرط ، ونوادره التى تسر النفس، وتعيد الأنس ما يستغرق وصف ابن الرومى [من الكامل] :

شرك العقول ونزهة ما مثلها للمطمئن وعقله المستوفز
إن طال لم يملل وإن هى أوجزت ود المحدث أنها لم توجز

فمن ذلك وصفه لشعره ولسخفه كقوله [من المجتث] :

فإن شعرى ظريف من بابة الظرفاء
ألذ معنى وأشهى من استماع الغناء

وقوله [من مجزوء الكامل] :

قرم إذا أنشدته شعرى البديع تهللا
فحسبت أن أبا عبا دة يمدح المتوكلا

وقوله [من المجتث] :

إن عاب ثعلب شعرى أو عاب خفة روحى
خريت فى باب أفعلـــت من كتاب الفصيح

وقال [من السريع] :

يا سيدى هذى القوافى التى وجوهها مثل الدنانير
خفيفة من نضجها هشة كأنها خبز الأبازير

ومن أخرى يصف فيها نفسه [من الخفيف] :

حدث السن لم يزل يتلهى عله بالمشايخ الكبراء
خاطر يصفع الفرزدق فى الشعـــر ونحو ينيك أم الكسائى
غير أنى أصبحت أضيع فى القو م من البدر فى ليالى الشتاء

ومن جملتها :

رجل يدعى النبوة فى السخـــف ومن ذا يشك فى الأنبياء
جاء بالمعجزات يدعو إليها فأجيبوا يا معشر السخفاء

وقال [من مخلع البسيط] :

بالله يا أحمد بن عمرو تعرف للناس مثل شعرى
شعر يفيض الكنيف منه من جانبي خاطرى ونحرى
نسيمه منتن المعانى كأنه فلتة بجحر
لو جد شعرى رأيت فيه كواكب الليل كيف تسرى
وإنما هزله مجون يمشى به فى المعاش أمرى

وقال من قصيدة [من المجتث] :

ألست تعلم أنى فى غيبتى وحضورى
ما زلت فيك بمدحى أنيك أم جرير

ومن أخرى [من الخفيف]

ويد تخرج العرائس فى مد حك بين الأقلام والأدراج
فاستمعها منى ألد وأشهى من سماع الأرمال والأهزاج
بمعان بخورها لك طيب وفساها فى لحية الزجاج
حلقت فى الطوال ذقن جرير والأراجير لحيه العجاج

وكتب إليه بعض الرؤساء [من مجزوء الرمل] :

يا أبا عبد الإله بك أصبحت أباهى
غير أن السخف فى شعرك قد جاز التناهى
ولقد أعطيت من ذا ك ملاحات الملاهى
أقدم الآن على القو ل ولا نصح لناهى

فأجابه [من مجزوء الرمل] :

سيدى شكرك عندى مثل شكرى لإلهى
سيدى سخفى الذى قد صار يأتى بالدواهى
أنت تدرى أنه يد فع عن مالى وجاهى
ليت من عاداك عندى وهوساهى الذقن لاهى
فترى لحيته فى استـ ـتى إلى الصدغ كما هى

وقال [من الوافر] :

وشعرى سخفه لا بد منه فقد طبنا وزال الاحتشام
وهل دار تكون بلا كنيف فيمكن عاقلا فيها المقام

وقال [من الوافر] :

ترانى ساكناً حانوت عطر فإن أنشدت ثار لك الكنيف

وقال [من مجزوء الكامل] :

شعرى الذى أصبحت فيه فضيحة بين الملا
لا يستجيب لخاطرى إلا إذا دخل الخلا

ومن أخرى [من الطويل] :

ألا أيها الأستاذ دعوة شاعر طريقته فى الشعر لا تبهرج
إذا أنت وظفت العوافى نخيرها وإن قل ما يرجو وما يتروج
ومن كان يحوى العطر دكان شعره فإنى كناس وشعرى مخرج

وقال من قصيدة فى بعض الوزراء خالية من السخف [من المتقارب] :

وهذى القصيدة مثل العروس موشحة المعانى الملاح
بلا نفحة من فسا عارض ولا وزن حردلة من سلاح
فلو أنها جعلت خطبة لكانت تحل عقود النكاح

بعثت بها عنبراً فى الشتاء وفى الصيف كافور خرط رياحى
فما مسحت خفشلنج الخصى ولا حنكت بلعوق الفقاح
وشعرى لا بد من سخفه ولا بد للدار من مستراح

ولما غلب على شعره هذا الفن من ذكر المقاذر، وما ينضاف إليها، سئل يوما ابن سكرة عن قيمة ديوان شعره . فقال « قيمته برىخ » أى لكثرة ما يشتمل عليه مما يقع فيه، وبلغنى أن كثيراً ما بيع ديوان شعره بخمسين ديناراً إلى سبعين ، وأنا كاسر فصلا على ذكر ما أشرت إليه ، والحديث شجون

* * *

قطعة من نوادره فى ذلك

كتب إلى أبى أحمد بن ثوابة ، وقد شرب دواء مسهلا [من الخفيف] .

يا أبا أحمد بنفسى أفديـــك وأهلى من سائر الأسواء
كيف كان انحطاط جعسك فى طا عة شرب الدواء يوم الدواء
كيف أمسى سال مبعرك النذ ل غريقاً فى المره الصفراء
يا أبا أحمد ونصحك عندي واجب فى الإخاء فاحفظ إخائى
رب ريح يوم الدواء دبور شوشت فى عصاعص الأغبياء
فدروها فسا وقد كمن الجعـــس لهم فى مهب ذاك الفساء
فاذا الفرش فى خليج سلاح ذائب فى قوام جسم الماء
فاتق الله أن نغرك ريح عصفت فى جوانب الأحشاء
لاتنفس خناق سرمك عنه أو نخلى ســـبيله فى الخلاء
والعذاء الغداء فاحذر بأن تفــــسو فوق الفراش بعد الغذاء
احترس إنها نصيحة شيخ حنكته تجارب الآراء

وأهدى إليه صديق له نبيذاً وكتب له [من السريع] :

مدامة تمرية صافيه تلبس من يشربها العافيه
زففتها طوعاً إلى شاعر ماوقفت قط له قافيه

فصادف وصول النبيذ خلفة عرضت له فكتب إليه [من السريع] :

مولاى قد أحسست لما أتى شعرك بالعافية الشافيه
لكننى فى صورة للخرا جملتها مقنعة كافيه
قد كتبت سطراً على عصعصى هذا لسلطان الخرا ضافيه

وقال يهجو [من مجزوء الكامل] :

ولقد عهدتك تشتهى قربى وتستدعى حضورى
وأرى الجفا بعد الوفا مثل الفسا بعد البخور
ياخرية العدس الصحيـ ـح النىء والخبز الفطير
فى جوف منحل الطبيـ ـعة والقوى شيخ كبير
يخرى فيخرج سرمه شبرين من وجع الزحير
يا فسوة بعد العشا بالبيض واللبن الكثير
وفطائر عجنت بلا الـ ـملح الجريش ولا الخمير
يا ضرطة الشيخ المبجـ ـل بين حساد حضور
يا ريح سرقين البغا ل يداف فى بول الحمير
يا نتن رائحة الطبيـ ـخ إذا نغير فى القدور
يا عش بيض القمل فر خ فى السوالف والشعور
يا بول صبيان الفطا م ويا خراهم فى الحجور
يا بغض تدخين الجشا فى الصوم من تخم السحور
يا حر قولنج البطو ن ورد أعصاب الظهور

يا ذلة المظلوم أصـــبح وهو معدوم النصير
يا سوء عاقبة التعقـــد عند تمشية الأمور
يا كل شيء متعب متعقد صعب عسير
يا حيرة الشيخ الأصـــم وحسرة الحدث الضرير
يا قعدة في دجلة والريح تلعب بالجسور
يا قرحة النعـــل التي هدت شراسيف الصدور
يا أربعاء لا تدو ر به محاقات الشهور
يا هدة الحيطان تنـــقض بالمعاول والمرور
يا قرحة في ناظر غلطوا عليها بالذرور
فتسلخت مع ما يليـــها في الجفون من البثور
يا خيبة الأمل الذي أمسى يعلل بالغرور
يا غلمة المتخدرا ت وراء أبواب القصور
يا ملتقى سعف الأيو ر على عراجين البظور
يا وحشة الموتى إذا صاروا إلى ظلم القبور
يا ضجرة المحموم بالـــغدوات من ماء الشعير
يا شؤم إقبال الشتا ء أضر بالشيخ الفقير
يا دولة الحزن التي خسفت بأيام السرور
يا ضجة الصخب المصد ع ذي التنازع والشرور
يا عثرة القـــلم المرشـــش بين أثناء السطور
يا ليلة العريان غـــب عشية اليوم المطير
يا نومة في شمس آ ب على التراب بلا حصير
يا فجأة المكروه في الـــيوم العبوس القمطرير

يا نهشة الكلب العقو ر ونكهة الليث الهصور
يا عيش عان موثق في القيد مغلول أسير
يا حدة الرمد الذى لا يستفيق من القطور
يا حيرة العطشان وقت الظهر فى وسط الهجير
من لى بأن تلقاك خيل بنى كلاب بلا خفير
وأرى بعينى لحمك الـمطبوخ فى نار السعير
فى الأرض ما بين السبا ع وفى السما بين النسور

وقال فى المهلبى الوزير [من الخفيف] :

قيل إن الوزير قد قال شعراً يجمع الجهل شمله ويعمه
ثم أخفاه فهو كالهر يخرا فى زوايا البيوت ثم يطمه
ليتنى كنت حاضراً حين يرويـه فأفسو فى راحتى وأشمه

وقال [من المتقارب] :

وذى همة فى حضيض الكنيف وفرنين فى فلك المشترى
دخلت عليه انتصاف النهار على غفلة حين لم يشعر
وبين يديه رغيفان مع سكرجة كان فيها مرى
فلما قعدت فسا فسوة فلم تخط عصفتها منخرى
وأقبل يضرط فى إثرها فقلت أقوم وإلا خرى

وقال فى شيخ بنى بعجوز [من مخلع البسيط] :

أصبح ودعنى من الرمور قد دخل الشيخ بالعجوز
من لى بها حين ضاجعته فى ذلك الموضع الحريز
فكنت أخر على زليخا وجهى إلى جانب العزيز

وقال وقد ركب إلى قوم فوجد بعضهم نائماً وبعضهم شارب دواء [من مجزوء الرجز] :

قد أصبحوا كما ترى ما بين نوم وخرا
قوم برئت منهم لأنهم منى برا
ما إن أرى مثلا لهم ولا أرى أنى أرى

وقال وقد عاتب إنسانا على زلة فجاء بأكبر منها [من مجزوء الخفيف] :

لى صديق جنى علـــى مراراً فأكثرا
ثم لمـا عتبته غسل البول بالخرا

وقال [من مجزوء الرجز] :

فقـدت بختى إنه ما زال بختاً قذرا
لو كان شيئاً ناطقاً لـكان شيخاً أبخرا
من حيث ما درت به نطخ وجهى بالخرا

وقال [من السريع]

يقول قـوم أبصرونى وقد تلفت ما بينهم ســكرا
قم فالحق الظهر ولو ركعة فالناس قد صلوا بنا العصرا
فقلت ما أحسن ما قلتم أقوم حتى ألحق الظهرا
أقوم والركـعة من عند من نعم وإن قمت فمن يقرا
قالوا فلا تسكر فلسنا نرى لعاقل فى ســكره عذرا
والله لولا السكر يا سادتى ما ذقت مطبوخا ولا خمرا
قالوا فهذا السكر ما حده فقلت حد السكر أن أخرا

وقال [من المنسرح] :

قومى تنحى فلست من شانى قومى اذهبى لا يراك شيطانى
لا كان دهر عليك حصلنى ولا زمان إليك ألجانى

قعدت تفسين فوق طنفستى ما بين راحى وبين ريحانى
فما عدمنا من الكنيف إذا حضرت إلا بنات وردان

سمعت ميمون بن سهل الواسطى يقول : حضرت مجلس الصاحب ليلة بجرجان فى جماعة من الفقهاء والمتكلمين كالعادة كانت عنده فى أكثر ليالى الأسبوع ، فلما امتد المجلس وخالط النعاس بعض الأعين وجد الصاحب رائحة تأذى بها وتأفف منها ، فأنشد هذه الأبيات المتقدمة :

« قومى تنحى فلست من شانى »

وجاء الفراشون بالند فتلافوا تلك الفرطه ، وتقوض المجلس

وقال فى شهر رمضان وقد جاء فى آب [من مخلع البسيط] :

شهر أراه يلج مع من يغتاظ من طوله ويدرد
فالبول قد جف من حماه فى الجوف والجعس قد تقدد

وكان ضمن فرائض الصدقات بسقى الفرات ، واستخلف على نواحى فم النيل خليفة فكتب إليه [من السريع] :

الحمد لله وشكراً له والله أهل الحمد والشكر
يا أيها الذئب الذى اخترته خليفة ينظر فى أمرى
أوصيك بالأغنام شراً وهل يوصى أبو جعدة بالشر
امش إليها مشية الليث أو فاحمل عليها حملة البر
ولا تدع فى النيل من إثرها إلا بقايا الصوف والبعر
أنظر إلى السكباج من شمها أو مر مجتازا على القدر
فاقبض على لحيته واحترز من حيلة فى أمرها تجرى
أريد أن تحصى طاقاتها وكل ما فيها من الشعر
اعمل بها لى عملا جامعاً مستظهرا فيه كما تدرى

واحذر إذا وفيتها فى عد أن ينقص الكيل عن الحزر
حتى إذا جئتك سلمتها نذلك الإحصا إلى جحرى
أوصيك فى القوم بهذا الذى عقـــدته فى السر والجهر
وكيف لا أوصى بهذا وقد بليت منهم ببنى البظر
واضطرنى جور زمانى إلى معيشة تزرى على الحر
والدهر قد صارت به هيضة فنحن غرقى فى خرا الدهر

وقال فى ابن سكرة [من مجزوء الخفيف]:

سلحة نعد فرقره من سلاح المزوره
باتت الليـــل كله جوف بطنى مخمره
ثم رامت تخلصــا فاغتـــدت ذات طرطره
ثم سارت كأسهم عن قسى موتره
فأصـــابت بوثبـــة جوف ذقن ابن سكره

وقال لأبى الفضل الشيرازى لما تقلد الوزارة، وعرض بأبى الفرج بن فسابخس [من مخلع البسيط]:

سعدك للحاسدين نحس وهم ظلام وأنت شمس
ارفق عليهم فلن يعودوا إليك حتى يعود أمس
فأنت تحت الظلام تسعى وذاك تحت اللحاف يفسو

وكان يوماً جالساً بجنب الدست فى دار أبى الفرج فسابخس ، فعرضت له حاجة إلى الخلاء فبادر ورجع ، فسئل عن مبادرته فقال [من مجزوء الرجز]

يا سائلى عن خبرى زاحم جوفى قـذرى
فـكدت أن أخرى على دست الرئيس الطبرى
فقمت أعـدو حافياً وقد تغشى بصرى

حتى حريت خرية مثل الخبيص الجزرى
كأنها من عظمها روثة كرش بقرى

وقال [من المجتث] :

أبا الحسين بن نصر أبشر بعز ونصر
فأنت فى الصدر أحلى من المنى جوف صدرى
وليت لحيه من لا يهواك فى جوف حجرى
من أين مثلى حر أو سفلة غير حر
خراى عند القوافى وذقن غيرى لشعرى
ومن تكلف فى الشعر نظم سبحه در
نظمت من مثل طبعى الخسيس سبحة بعر
وجملة القول أنى إحدى عجائب دهرى
قد در ضرعى على ما ترى فلله درى

وقال فى إنسان طبرى مات بالقولنج [من مجزوء الرجز]

يا غصة الموت افغرى فاك لروح الطبرى
حتى تمجيها على علاتها فى سقر
يا أيها الثاوى الذى أفلح لو كان حرى
لمثل دا اليوم يقا ل من حرى فقد برى

وقال يستميح شرابا [من الوافر] :

ألا يا إخوتى ودوى ودادى دعاء فتى إجابته مراد
زيادة دجلة والورد غض قد استولى على قلبى هواه
فهذى ليس يفتننى سواها وهذا ليس يسبينى سواه
أما فيكم فتى يرثى لصحوى فيسقينى المنوه ولو حراه

وقال [من السريع] :

يا عيني السفلى لحي سادتي هد شهدت بالزور فاستعبري
أبكى عليها كلما سرحت فى استى بدمع سلس أصفر

واتخذ دعوة كبيرة فى أيام عز الدولة ، ودعا إليها أقواما شتى من رجال الدولة وقال [من مجزوء الرجز] :

قل للأمير المرتجى من جاءنى فقد نجا
ومن أبى فذقنه فى عصعصى قد لججا
يسبح فى بحر خرا إذا جرى تموجا
وها هنا حكم إذا كوى لحاهم أنضجا
من لم يجىء فذقنه فى است الذى استدعى لجا
فقل لمن لجج فى جوابه أو مجمجا
سبالك المحفوف قد حرك منى مخرجا
مؤزرا بالجعس فى حافاته مصهرجا
فيه خرأ معتق كاللبن حين كرجا
تدفعه مقعـــدتى بعد العشا ملهوجا
من قبل أن تطبخه طبيـــعتى فينضجا
من كل من سرى إلى لحيتــه قد التجا
عاشرت باستى ذقنه فامتزجا وازدوجا
وصـــعدا ونزلا وَدخـــلا وخرجا
ولن ترى أحسن من ذقن تواخى شرجا

وقال من أخرى [من السريع] :

أنظر لهرون وقد جاءنى يطمع أن يتزى ضيعتى

جذبت قوس استى فى وجهه فقرطست لحيته ضرطتى

ومن أخرى فى قائد من الأتراك أراد أخذ داره [من الخفيف]:

إن أطفالى الذين تراهم حول نارى فى الليل مثل الفراش
أرى ما شممت ريح فساهم حين باكرتنى وهم فى الفراش
وجعيساتهم خلال الزوايا مثل ذرق الفراخ فى الأعشاش
لا ترمهم واقبل نصيحة رأيى لك واحــذر مغبة الغشاش

وقال من أبيات وقد دخل على رجل اسمه عمرو والمزين يحفى شاربه [من الخفيف] :

قد لعمرى فارت طبيعة حجرى منذ أحفى المقراض شارب عمرو
كلما قص شعرة صر منها عصعصى النذل أو تفرقع ظهرى

وقال من قصيدة فى الوزير وقد أراده على الخروج معه لقتال أهل البطيحة [من المنسرح] :

يا سائلى عن بكاى حين رأى دموع عينى تسابق المطرا
ساعة قيل الوزير منحدر أسرع دمعى وفاض منحدرا
وقلت يا نفس تصبرين وهل بعيش بعد الفراق من صبرا
شاورته والهوى يفتنه والرأى رأى الصواب قد حضرا
أهوى انحدارى والحزم يكرهه وتارك الحزم يركب الغررا
لأننى عاقـل ويعجبنى لزوم بيتى وأكره السفرا
الخيش نصف النهار يعجبنى والماء بالثلج بارداً خصرا
والشرب فى روشنى أقول له كما أرى الماء منـه والقمرا
ولا أقود الخيل العتاق بلى أسوق بين الأزقة البقرا
من كل جاموسة أعتلها رأس بقرنيه يفلق الحجرا

قد نصح الشحم جوفها فغدا كأنه بطن ناقــة عشرا
لما أتتنى بالليل مقبلة وثوبها بالخرا قد ائتزرا
تركض مثل الحصان نافره ومن يرد الحصان إن نفرا؟
مد ذراعى فى سرمها لببا وسد أيرى فى سرمها شعرا
أحسن فى الحرب من صفوفكم غداً قعودى أصفف الطررا
وأنتف الشعر من جبين حر لطفت فى نتفه وما شعرا
أو مبعر جعسه يطالعنى من كوة الباب كلما زحرا
هيهات أن أحضر القتال وأن يرى بعينيك فيه لى أثرا
بل الذى لا يزال يعجبنى الــدبيب بالليل خائفاً حذرا
أنا إلى تلك وهى نائمة وذا إلى ذاك بعد ما سكرا
وضجة النيك كلما ضرطت واحدة تحت واحد نخرا
وقول بعض المميزين وقد تمم فسا بأنفه سحرا
فى جعس هذا فطورة وأرى أن حرا تلك بعد ما احتمرا
الدف يوم الصبوح دندنتى وبوق الناى كلما زمرا
وخريتى كلما رميت بها مقتال ذقن حسبتها بخرا
هذا اعتقادى وهكذا أبداً أرى لنفسى فأنت كيف ترى

وقال [من المجتث]

إذا تغنى سليم عاف المسره عنى
وافى بذقن سخيف الـــمعنى وجئت بطنى
فلحية التيس منه وسلحه الفيل منى

ملح مما يتمثل به من أحوال السلف

قال من قصيدة فى أبى الفضل الشيرازى [من مخلع البسيط] :

الناس يفدونك اضطراراً منهم وأفديك باختيارى
وبعضهم فى جوار بعض وأنت حتى أموت جارى
فعش لخبزى وعش لمائى وعش لدارى وأهل دارى
يا من بإحسانه بلغت السماء فى العز واليسار
فاليوم قارون فى غناه عدى وكسرى ركاب دارى

وقال [من السريع] :

يا من يدى من خيره فارغه مليت نبس النعمة السابغه
قد هشمت رأسى بأحجارها ألفاظك الهاشمة الدامغه
فيا أبا قابوس فى ملكه رفقاً أبيت اللعن بالنابغه

وقال [من السريع]

إنك إنسان له موقع من ناظرى فى جوف إنسانه
فكيف تخشى هجو من مدحه فيك يرى أول ديوانه
ومن له فى شعره مذهب ذكرك فيه نور بستانه
تمضى لياليه وأيامه وسره فيك كإعلانه
ولست ممن يخلط الكفر فى شكر أياديك بإيمانه
قل للذى جهز فى السعى لى بضاعة عادت بخسرانه
لا تغترر أنك من فارس فى معدن الملك وأوطانه
لو حدثت كسرى بذا نفسه صفعته فى وسط إيوانه

وقال فى بختيار [من المنسرح] :

فديت وجه الأمير من قمر يجلو القذى نوره عن البصر
فديت من وجهه يشككنى فى أنه من سلالة البشر

إن زليخا لو أبصرتك لما ملت إلى الحشر لذة النظر
ولم تقس يوسفا إليك كما نجم السهى لا يقاس بالقمر
وكان يا سيدى قباك إذا هربت منها ينقد من دبر
بل وحياتى لو كنت يوسفها لم تك من تهمة العزيز برى
لأننى عالم بأنك لو شممت ريا نسيمها العطر
سبقتها وازبقت تتبعها ما بين تلك البيوت والحجر
ولم تزل بالكدين تقصرها من قبل وقت العشا إلى السحر
وقد علمنا بأن سيدنا ال أمير ممن يقول بالبظر
ولم تكن تلك تشتكى أبداً ما كان من يوسف من الحذر
طبعك كالماء فى سهولته لكن أبو الزبرقان من حجر
إن الملوك الشباب ما خلقوا إلا صلاب الفياش والكمر

وقال [من السريع] :

إن بنى برمك لو شاهدوا فعلك بالغائب والشاهد
ما اعترف الفضل بيحيي أباً ولا انتمى يحيي إلى خالد

وقال [من المنسرح] :

وكاتب بارع بلاغته تجلو علينا كلام سحبان
وخطه والكتاب فى يده ينثر دراً أمام مرجان
لو كان عند المأمون جوهره أهداه أو بعضه لبوران

وقال فى رجل سقطت امرأته من السطح فماتت [من الطويل] :

عفا الله عنها إنها يوم ودعت أجل فقيد فى التراب مغيب
ولو أنها اعتلت لكان مصابها أخف على قلب الحزين المعذب
ولكن رأت فى الأرض أفعى مجدلا على قدر غرمول الحمار المشغب

فظنته أيرأ والظنون كواذب إذا أخبرت عن عام ما فى المغيب
وأهوت إليه من يفاع ودونه ثمانون باعاً فى علو مصوب
فصارت حديثاً شاع بين مصدق تحققه علماً وبين مكذب
سعى الطمع المردى إليها بحتفها ومن يمتثل أمر المطامع يعطب
فأعظم يا هذا لك الله ربها وربك أجر النكل فى شاة أشعب

قيل لأشعب : هل رأيت أطمع منك؟ قال: نعم، شاة كانت لى على سطح فنظرت إلى قوس قزح فظنته حبل قت ، فأهوت إليه واثبة . فسقطت من السطح فاندقت عنقها

وسأل الهنكرى مغنى سيف الدوله ابن حجاج أن يصنع شعراً يغنى به بين يدى صاحبه فقال [من المتقارب] :

أميرى يا من ندى كفه يزيد على العارض الممطر
أرى يومنا يوم كأس تدو ر من يد ذى دعج أحور
وأبيض يحدوك سكر الغرام على لثم شاربه الأخضر
بحمرة وجنته تستدل على أنه من بنى الأصفر
وأنك من دونه قد ضربت هامة ذى لبدة قسور
وشعر ابن حجاج يا سيدى يغنى به عبدك الهنكرى
غناء وشعر لنا يجمعا ن ما بين زلزل والبحترى

وقال [من البسيط] :

غداً أراه على عبل الشوى مرح والخيل من حوله مثل الحصى عددا
فى خلعه لو رآها يوم يلبسها نمرود قبل وجه الأرض أو سجدا

وقال من المنسرح :

يا من إذا ما اختللت أيدنى ومن إذا ما ضعفت قوانى

ابق لى اليوم ضعف ما بقيت أمس نسور الحكيم لقمان

وقال [من السريع] :

يا درة الملك وياغرة فى وجه هذا الزمن الأدهم
تراب نعليك على ناظرى أعز من عيسى على مريم

وقال [من السريع] :

فتى له عزم إذا كلت الـــسيوف مثل المرهف الصارم
وراحة لو صعت حاتماً تعلم الجـــود قفا حاتم

ومن أخرى [من المنسرح] :

هذا حديثى تنمى عجائبه بكثرة القال فيه والقيل
أعجزنى دفنه فشاع كما أعجز قابيل دفن هابيل

ومن أخرى [من مخلع البسيط] :

وأبرص من بى الزوانى ملمع أبلق اليدين
فلت وقد لج بى أذاه وزاد ما بينه وبينى
يامعشر الشيعة الحقوتى قد ظفر الشمر بالحسين

ومن أخرى [من مخلع السيط] .

كل خفيف الرجلين ثقل خفه رجليه مالحديد
أذقه من غب ما جناه ما ذاق يحيى من الرشيد

ومن أخرى [من السريع :

واستوف عمر الدهر فى نعمة دون مداها موقف الحشر
مصيبة الحاسد فى مكثها مصيبة الخنساء فى صحر

ومن أخرى [من البسيط] :

يا من يعادى الهوى جهلا بموقعه ولا يزال يعادى المرء ما جهلا

أما رأيت الهوى استولى بفتنته على النبيين واستغوى بها الرسلا
فإن شككت فسل زيداً بقصته وأورياء يقولا الحق إن سئلا(١)
لم بت هذا طلاقا حبل زوجته وذاك فى وقعة التابوت لم قتلا

ومن أخرى [من السريع] :

مولاى يامن كل شىء سوى نظيره فى الحسن موجود
إن كنت أذنبت بجهلى فقد أذنب واستغفر داود

ومن أخرى [من الرمل] :

ملك لو لم يكن من ملكه غير دار وشحت بالنعم
لو رمى شداد فيها طرفه زهدته بعدها فى إرم

وله ، وقد خرج هارباً من غرمائه [من المنسرح] :

هربت من موطنى إلى بلد قد صفر الجوع فيه منقارى
يقول قوم فر الخسيس ولو كان فتى كان غير فرار
لا عيب لا عيب فى الفرار فقد فر نبى الهدى إلى الغار

* * *

ملح من سائر أمثاله فى الجد والهزل الواقعة فى فنون نوادره

قال [من مجزوء الرجز] :

جميع ما لى صدقه لأكسرن هسنقه
فبس كم تهذين يا سندية مطلقه
لابد للسندان أن يصبر تحت المطرقة
وفيشتى لابد أن أسبك فى البوتقه

(١) يزعم القصاصون أن أوريا جندى من جند داود عليه السلام ، وأن داود فتن بامرأته . وأنه طلبها لنفسه ، واحتال لذلك فبعثه فى قتال ليموت فيه

لا بد أن أطعن بالـ ـمردى صميم الدرقه
وأن أمر الميل فى جوف سواد الحدقه
تريد منى أترك اللـ ـحم وأحسو المرقه !
ليس الثريد بابتى بسى من الملبقه
أريد من لحم أست من أعشقها مدققه
أحب أن لاتشفقى عدمت هذى الشفقه
وكل شاة فى غد برجلها معلقه
لابد من أن يقع الـ زرفين جوف الحلقه

وقال [من المنسرح] :

أخشى على حسبتى العدو وفى الـ ـناس لمثلى أصادق وعدى
هر يرانى وفى فمى غدد والهر بالطبع يألف الغددا
وإن تغافلت عنه غافصنى واستلب الكرش من يدى وغدا(١)

وقال [من السريع] :

قد وقع الصلح على غلتى فاقتسموها كارة كاره(٢)
لا يدبر البقال إلا إذا صالح السنور والفاره

وقال ، وقد سأل صديق عن حاله والعمال يصادرونه [من الرمل] :

أيها السائل عن حا لى أنا المضروب زبد
وأنا المحبوس لكن ليس فى رجلى قيد

وقال [من المجتث] :

وقائل هو رأس الـ ـعمال بين الناس

---

(١) غافصه : فاجأه وأخذه على غرة .
(٢) الكارة : حمل معلوم الوزن والمقدار من الطعام

والرأس يصلح إن لم ينفعك للرواس
هـذا هو الحق والحـــق ما به من باس

وقال [من السريع] :

فقر وذل وخمول معـا أحسنت يا جامع سفيان[1]

وقال [من المنسرح] :

الحمـد لله إن لى أملا أنا إلى الخص منه أستند

وقال [من الكامل] :

إن كنت تحتقر العتاب تكبرا فالفيل يعمل فيـه قرص البرغش[2]

وقال [من المتقارب] :

وما الشيء للمرء يحتاله ولـكنه للفتى يرزفـــه

وقال [من الوافر] :

دعوت نداك من ظمئ إليه فعنـانى بقيعتك السراب
سراب لاح يلمع فى سباخ فلا ماء لديه ولا شراب
وليس اللبث من جوع نغاد على جيف تحيط بهـا كلاب

وقال [من الخفيف] :

مستحيل المعنى يصلى إلى الحتـــر ويخرى فى جانب المحراب

* * *

أنصاف أبيات له وأبيات فى الأمثال

قال [من الطويل] :

. ورب كلام تستثار به الحرب .

---

(١) « جامع سفيان » مثل يضرب لكثرة الاحاطة

(٢) البرغش : البعوض

وقال [من السريع] :

* حتى متى ترقص فى زورقى ؟ *

وقال [من الكامل] :

* خود تزف إلى ضرير مقعد *

وقال [من الكامل] :

* أصبحت أخلق منك بالزبد *

وقال [من المنسرح] :

* تفور من نصف خوصة قدرى *

وقال [من الرجز] :

* فقلت من يفسو على الكنيف *

وقال [من الوافر] :

عجبت من الزمان وأى شىء عجيب لا أراه من الزمان
أتأخذ قوت جرذان عجاف فتجعله لأوعال سمان

وقال [من الوافر] :

وقد غمزوا مع العيدان عودى ليختبروا الصحيح من المريب
فلان الخروع الخوار منا وبان تكرم النبع الصليب(١)

وقال فى بواب أعور حجبه عن رئيس [من السريع] :

سمعت فيمن مات أو من بنى بمقبل بوابه أعور
واللوزة المرة يا سيدى يفسد فى الطعم بها السكر

---

(١) النبع : شجر تصنع منه القسى ، والصليب : الصلب الذي لا يسهل كسره

وقال [من المنسرح] :

ولى شفيع إليك شرفنى إيجابه لى وزاد فى قدرى
نبهت منه لحاجتى عمرا ولم أعول فيها على عمرو

يريد قول بشار [من المتقارب] :

إذا أيقظتك حروب العدا فنبه لها عمرا ثم نم

وللآخر [من البسيط] :

المستجير بعمرو عند كربته كالمستجير من الرمضاء بالنار

وقال [من الوافر] :

عذرت الأسد أن صليت بنارى مخاطرة فما بال الكلاب
وأزواج الحرائر لم يجابوا لدى فكيف أزواج القحاب ؟

وقال ـ وقد قال له بعض الرؤساء : ما أشبهك فى الإبرام إلا بابن أبى رافع ـ [من السريع] :

ضربت فى الإبرام يا سيدى لى مثلا بابن أبى رافع
فقلت فى ذلك : لا تعجبوا من متخم يفسو على جائع

وقال [من البسيط] :

إنى بليت بأقوام مواعدهم تزيدنى فوق ما ألقاه من محن
ومن يذق لسعة الأفعى وإن سلمت منها حشاشته يفزع من الرسن

* * *

الشكوى ووصف سوء الحال

قال فى ابن العميد [من الوافر] :

فداؤك نفس عبد أنت مولى له يرجوك يا آخير الموالى
حديثى منذ عهدك بى طويل فهل لك فى الأحاديث الطوال

وجملة ما يعبره مقالى حصول اسىّ على حر المقالى
وأنى بين قوم ليس فيهم فتى ينهى إلى الملك اختلالى
فلحمى ليس تطبخه قدورى وحوتى ليس تقليه المقالى
ومائى قد خلت منه جبابى وخبزى قد خلت منه سلالى
وكيسى الفارغ المطروح خلفى بعيد العهد بالقطع الحلال
أفكر فى مقامى وهو صعب وأصعب منه عن وطنى ارتحالى
ى مرضان مختلفان حالى الـعليلة مهما تمسى بحال
إذا عالجت هذا جف كبدى وإن عالجت ذاك ربا طحالى

وكان يكتب فى حداثته لرئيس ، فتأخر عنه ، فكتب يسأله عن حاله فى تأخره فكتب إليه [من السريع] :

سألت يامولاى عن قصتى وما اقتضى بالرسم إخلالى
ليست بجسمى علة تشتكى وإنما العلة فى حالى
وذاك داء لم تزل ضامنا من سقمه رئى وإبلالى

وقال [من المتقارب] :

خليلى قد اتسعت محنى على وضاقت بها حيلتى
عذرت عذارى فى شيبه وما لمت أن شمطت لمتى
إلى كم يخاسسنى دائما زمانى المقبح فى عشرتى
تحيفنى ظالماً غاشما وكدر بعد الصفا عيشتى
وكنت تماسكت فيما مضى فقد خاننى الدهر فى مسكتى
إلى منزل لا يوارى إذا تحصلت فيه سوى سوأتى
مقيما أروح إلى منزل كقبرى وما حضرت ميتتى
إذا ما ألم صديق به على رغبة منه فى زورتى

فرشت له فيه بسط الحديث من باب بيتى إلى صفتى
ومعدته فى خلال الكلا م تشكو خواها إلى معدتى
وقدفت فى عضدى مابه ولكن عليه غلبت علتى
وأغدو غدوا ملياً بأن يزيد به الله فى شقوتى
فأية دار تيممتها تيمم بوابها حجتى
وإن أنا زاحمت حتى أموت دخلت وقد خرجت مهجتى
فيرفعنى الناس عند الوصول إليهم وقد سقطت عمتى
وإن نهضوا بعد للانصرا ف أسرعت فى إثرهم نهضتى
وإن قدموا خيلهم للركوب خرجت فقدمت لى ركبتى
وفى جمل الناس غلمانهم وليس سوائى فى جملتى
ولا لى غلام فأدعو به سوى من أبوه أخو عمتى
وكنت مليحاً أروق العيو ن أيضاً فقد قبحت خلقتى
يعرق خدى جفاف الهزال وحاف الشناج على وجنتى(١)
وقوسنى الهم حتى انطويت فصرت كأنى أبو جدتى
وكان المزين فيما مضى تكسر أمشاطه طرتى
وكنت برأس كلون الغداف فقد صرت أصلع من فيشتى(٢)
ويارب بيضاء رود الشباب كانت تحن إلى وصلتى
فصارت تصد إذا أبصرت مشيبى وتغضب من صلعتى
على أننى قلت يوما لها وقد أمضت العزم فى هجرتى
دعى عنك مافوقه عمتى فإن جمالى وراء تكتى

(١) الشناج : تقبض الجلد
(٢) الغداف : الغراب ، والشعر الأسود الطويل ، على الاستعارة

هنالك أير يسر العيون طويل عريض على دقتى

ومنها :

سوى أن قلبى قد صرفته في شغله بالأسى عطلتى
وكانت بتكريت لى غلة فغلت بأجمعها غلتى
أغاروا على سمسمى غارة تعدت فأنضت إلى حنطتى
فلا زال فى نقمة كل من أزال بحيلته نعمتى

وقال [من الخفيف] :

قد قنعنا فهات خبزاً بلحم أنا من شدة الخوى فى السياق
فرجى أن أشم رائحة اللحـ م ولو كان من فسا مراق

وقال [من السريع] :

ما حال من يأوى إلى منزل أرفق منه المسجد الجامع
لا يرتوى العطشان فيه ، ولا يلحق ما يقتاته الجائع
وسوقه كاسدة بينكم لامشتر فيها ولا بائع

وقال [من الخفيف] :

أتعشى بغير خبز ، وهذا خبرى منذ مدة فى غدائى
فأنا اليوم من ملائكة الدو لة وحدى أحيا بغير غذاء
آية لم تكن لموسى بن عمرا ن ولا غيره من الأنبياء

* * *

نبذ من لطائف نوادره فى أنواع الكدية

قال [من المجتث] :

هذا وأيام أكلى عند الملوك الكبار
ما كنت أفطر إلا على كبود القمارى

مشوية وقلايا فاليوم سنور داري
إذا أرادت تعشى تنغصت لي بفار

وقال بواسط ، وقد باع ثيابه [من المجتث] :

يا سادتي قول ميت في مثل صورة حي
لم يبق في الخرج شيء أتأذنون بشي ؟

وقال ، وقد تولى أقطاعاً وخرج إليها فوجدها خربة [من السريع] :

سيدي عبدك في الزيت فر من الموت إلى الموت
حالي وأقطاعي خراب فقد فررت من بيتي إلى بيتي

وقال [من البسيط] :

مالي أرى بيت مالي حله زحل وحسبه من بعيد أن يرى زحلا
فما ترى لا رأيت السوء في رجل قد شب تحت خطوب الدهر واكتهلا

وقال ، وقد رأى كلاب عز الدولة بختيار تطعم لحوم الجدا [من الوافر] :

رأيت كلاب مولانا وقوفاً ورابضة على ظهر الطريق
فمن ورد له ذنب طويل يعقفه ومهلوب خلوقي
تغذى بالجدا فوددت أني وحق الله خركوش سلوقي
فيا مولاي رافقني بكلب لآكل كل يوم مع رفيقي
أرى القصاب قد أضحى عدوي لشؤم البخت والملحي صديقي
فلو أني افتصدت لما وجدتم سوى الحلتيت داخل باسليقي
جفاني اللحم وهو شقيق روحي فمن يعدي على ذاك الشقيق
كأن اللحم في صوم النصارى توهمني ابن عم الجاثليق
وأحسن مارآه الناس لحم جرايته تضاف إلى الدقيق

وله فى مثل ذلك [من المنسرح]

ياسيد الناس عشت فى نعم تأوى إليهـا ممالك العجم

بديهتى فى الخصام حاضرها أشهر فى الفيلقين من علم

والخط خطى كما تراه ولا زهرة بين القرطاس والقلم

هذا وخبزى حاف بلا مرق فكيف لو ذقت ثردة الدسم

مالى وللحم إن شهوته قد تركتنى لحماً على وضم

وما لحلقى والخبز يجرحه بالملح يشكو حزونة اللقم

وله فى مثل ذلك [من المنسرح]

يامن رأى البدر حسن صورته فبان فى البدر موضع الحسد

نحن سنانير أهل دولتكم فأنصفونا من صاحب الغدد

والله لولاك لم يبت مرق اللـ حم تروى شحومه ثردى

ولم يحور لى الدقيق ولا كانت تحوز المسلقات يدى

وكتب لبعض الوزراء ، وقد أراد عمارة مسناة داره [من السريع]

خفى فما أنت بمعذوره ولا على نصحك مشكوره

أذاك كم يصدع قلبى به وإنما قلبى قاروره

فى كل شىء أنت يا هـذه مغمومة بى غير مسروره

حتى مسناتى التى أصبحت وهى خراب غير معموره

أيتها المرأة لا تقلقى من قبل أن تستعملى الصوره

لى سيد أضحت عناياته على مسناتى موفوره(١)

ناهدته فيها على أنها تحمل بالصاروج كافوره(٢)

(١) المسناة : أحباس للمياه .

(٢) الصاروج : النورة وأخلاطها

مى أنا لا شىء ومن سدى الـ آجر والصناع والنوره

وكتب إلى بعض الرؤساء يلتمس منه عمامة [من مخلع البسيط] .

يا من له معجزات جود توجب عندى له الإمامه
ما لى إذا ما الشمال هبت قامت على رأسى القيامه
ودميت فى القفا عيون بالطول فى موضع الحجامه
أظن هذا من أجل أنى فى البرد أمشى بلا عمامه

وقال لبختيار حين عاود الحضرة بعد هزيمة الأتراك والحجاج معه [من المنسرح] .

الحمد لله جاءت النعم وانصرفت مع مجيئها النقم
واطلع البدر بعد غيبته فانكشفت عن وجوهنا الظلم
فأى شىء تريد تعمل بى فإننى منك لست أحتشم ؟ !
أريد مما أفتحته عملا يثرد فى دغباجه اللقم[1]

وقال لسهل بن بشر يعرض بطلب مركوب [من الخفيف] :

يا ابن بشر يا سيدى يا ابن بشر يا معينى على ملمات دهرى
حلق الله ذقن من يتشنا ك وألقاه فى غيابة حجر
أى شىء تريد تعمل بى اليو م فهذا أنا وأنت وشعرى ؟ !
أنا فى واسط أروح وأغدو بين مد من الظنون وجزر
تارة يسنح الغنى لى فأرجو ه، وطورا أرى دلائل فقرى
راجلا أعزبا فرجلى وأيرى بين بطن قد أعوزانى وظهر
غير أنى أرى عميره باللـ ـيل يمتى بجلدها بعض أمرى
وكعابى التى يرضضها المشـ ـى على من أحيلها ليت شعرى

---

(١) الدغباج : النعيم والأكل

أنت تدرى وحسب عبدك فيما　　يرتجى منك قوله أنت تدرى

وكتب إلى ابن قرة يقتضى مركوباً وعد به وهو على جناح السفر [من السريع] :

يا سيدى دعوة ذى رحلة　　مقصر فى الجرى مسبوق

والقوم قد صح بهم عزمهم　　وضربوا بالطبل والبوق

وضمروا للسير أفراسهم　　وفرسى الأشهب فى زيق

بل لى كميت ما رئى مثله　　يا سيدى قط لمخلوق

كأننى فى متنه راكباً　　دالية فى رأس زرنوق(١)

ما فى فضل لا ولا فيه لى　　لأننى وهو على الريق

وقال يتنجز رداء شرب [من الخفيف] ·

ويحك اسكت فضحتنى ياراسى　　أنت بالضد من رءوس النـاس

أنت والله فارغ القحف إلا　　من كنوز الخباط والإفلاس

بسك اقطع فنى ضمانى الرداء الـ　　ـشرب الأميرى عن أبى العباس(٢)

أبيض الغزل فيه خط سواد　　مثل خط الرئيس فى القرطاس

وقال يتنجز دراهم [من المنسرح] :

يا قمرا فى تمـامه طلعا　　هذا رسولى إليك قد رجعا

فى غاية الحسن والدماثة والـ　　ـنعمة والظرف والجمـال معاً

عن طيب معناه فى لطافته　　كأنه فى الكنيف قد وقعا

وهو يحب الصرار يفتقها　　ويشتهى أن يجمش القطعا

فاحسم بختم القرطاس مقطعه　　وامنع يديه عليه أن تقعا

واردده من همة بختمكه　　كأنه بالفلوس قد صفعا

---

(١) الزرنوق : منارتان تبنيان على جانبي رأس البئر　(٢) كذا

وقال ينتجز شعيرا لدابته [من المنسرح] :

كميّ أصهل واضرط فقال نعم بالسمع ياسيدى وبالطاعه
نعم ولـكن أين الشعير ترى فقلت هو ذا يجيهم الساعه
قال فمن فقلت من رجل قد صار فى الجود حاتم الباعه

وقال وقد بعثه إليه [من مجزوء الخفيف] :

كال لى ابن المعدل بالقفيز المعــدل
من شعير بلا ترا ب نقى مغربل
ما أرى مثله فلا ن قضيا لدلدل[١]

وقال يطلب خيشا [من السريع]

يا أحرص الناس على مبعر يدق مستنجاه بالفيش
حتى متى تتركنى فى لظى حر حزيران بلا خيش

وقال يستعين بأبى قرة على تطهير ابنه [من السريع] :

ياسيدى دعوة من لم تزل تعديه بالجود عــلى دهره
إن لى ابنا أمس خلفته فى منزلى كالفرخ فى وكره
يبكى إذا ما عن ذكرى له وفى فؤادى النار من ذكره
والعزم بى قد جد ياسيدى فى شهرنا الأدنى على طهره
فقونى إنى صعيف القوى على الدى أنويه فى أمره
فأنت ستر الله فى وجه من أصبح داك الطفل فى ستره

وقال لبعض بنى حمدان [من السريع]

فتى يعير المــدح فى داره على صناديق وأكياس
ذقت ندى راحته مرة فطعمه فى جوف أضراسى

١) دلدل : بغلة شهباء كانت لنبى صلى الله عليه وسلم

وقال لرجل دعاه إلى عرس ثم بداله [من المنسرح] :

ياوقح الوجه جيد الحدقه خنت بوعدى وكنت غير ثقه
أين نصيبي من الطعام وما طمعت فى نعقة من المرقه
أشـفقت منى وكان يقنعنى عندك ماليس يوجب الشفقه
قطعة لحم فى وزن خردلة على رغيف كأنه ورقه

وقال يطلب مشروبا [من مخلع البسيط] :

ياسيدى عشت لى وبعدى وأرض نعليك صحن خدى
عندك ياسـيدى نبيذ وليس لى منه رطل دردى
تروى وأظما وذاك بين الا أحرار ضرب من التعدى
وقد تناهى أمرى إلى أن نكرت من منزلى أكدى

وقال فى مثل ذلك [من المنسرح] :

أبا الحسين الزمان ذو دول أسـبابها عند علة العلل
والعيش كالصاب فى مرارته طورا . وطورا أحلى من العسل
ودار هذى الحياة مذ بنيت لم تخـل من ساكن ومنتقل
والناس فى طيبهم ونتنهم ضدان مثل التفاح والبصل
وهم مليح وآخر وحش مابين رامشه إلى جعل
فوجه هذا للسيف وحشته ووجه ذاك المليح للقبل
وليس هذا وقت الخطاب على جرايه نقتضى ولا عمل
الوقت وقت الأرطال نعملها مابين ثانى الثقيل والرمل
وقحبة تبلع القضيب ولا يعجبها غيره من الحمل
فابعث نقفصبه تحدثنا عن حرب صفين أو عن الجمل
عزيره الورد إذ بى ظمأ لا يروى من صبابه الوشل

ولا تجادل أخاك معتـذرا فلست ممن يقول بالجدل

وقال فى مثل ذلك [من الخفيف] :

يا نديمى قد خلوت بحر ليس منه ثقل على ملـكيه

اسقنيها وحدى سروراً ببدر يعلم الله كيف شوقى إليه

ياابن يحيى الذى أموت وأحيا فى موالاته وبين يديه

منك هذا النبيذ والخبز واللحـــم الذى يشرب النبيذ عليه

وقال فى مثل ذلك [من الخفيف] :

استمع شرح قصة أنا منها بين وصل ممن أحب وهجر

لى وعد على غزال غرير ينجز الوعد كل غرة شهر

ومغن يحيط بالحال علمـاً فهو يأتى ولا يقول بحذر

وعليك انتهاء سكرهما اليو م إلى غاية المراد وسكرى

فأرحنى من الهموم براح تصدر الهم عن موارد صدرى

وابق حياً يضاف قسط إلى عمــــرك طول الحياة من كل عمر

* * *

ما أخرج من خمرياته وما ينضاف إليها

قال [من الوافر] :

وليس العيش إلا شرب راح إلى بشربها الساقى يشير

وكأس يعدل السافون فيها ولـكن حكم سورها يجور

وشدو صغيرة كالخشف يحدى بصوت غنائها الرطل الـكبير

ومن أخرى [من الخفيف] :

أسقنى بالـكبار إما بطاس أو بكأس محروزة أو بجام

لا تكلنى إلى الصغار التى تحـــكى قواريز حونه الحجام

وتقلد ديوان عشرتى اليو م بلا مشرف وغير زمام

ومن أخرى [من المنسرح] :

الشرب لا الحرب عادتى ومعى ستة رهط جنــد صناديد
الدن والرطل والمشمة والنـ قل وطبل التكريع والعود

ومن أخرى [من مجزوء الخفيف] :

سيدى ما أظنه بعد يدرى بما جرى
ما درى أن عبده فلسه قد تقشرا
عند قوم معروفهم فى قد صار منكرا
كنت كالمسك مرة بالدنانير أشترى
فأنا اليوم بعد ما صرت شيخاً كما ترى
عبـد من عنده نبيـ ـذ إذا كان أحمراً
خمرة دنها يضـ من مسكا وعنبراً
كم فم ذاقها فطا ب وقد كان أبخرا
وغلام بكأسها راح يسعى وبكرا
هو فينا بريحها عبق قد تعطرا
ظل يفسو وعندنا أنه قد تبخرا

ومن أخرى [من مخلع البسيط] :

أيلول والعيد واعتدال الـــهواء فى الليل والنهار
وشهر شوال فى تكافى ساعات أيامه القصار
أربعة تقتضيك دين الـــسماع واللهو والعقار
فاشرب بها بالكبير إن الـــكبير للسادة الكبار

ومن أخرى [من البسيط] :

والكأس تسلبنى عقلى، وأهون ما لموت عن ذكره عقلى إذا سلبا

حمراء يمسى بنانى وهو فوق يدى منها بمثل شعاع الشمس مختضبا

ابتعتها غير مغبون ولو طلب الـــخمار روحى بها أعطيت ماطلبا

وأربح الناس عندى فى تجارته محصل يشترى بالفضة الذهبا

ومن أخرى [من الكامل] :

ياصاحبي استيقظا من رقدة تزرى على عقل اللبيب الأكيس

هذى المجرة والنجوم كأنها نهر تدفق فى حديقة نرجس

وأرى الصبا قد غلست بنسيمها فعلام شربى الراح غير مغلس

قوما اسقيانى قهوة رومية مذ عهد قيصر دنها لم يمسس

صرفا تضيف إذا تسلط حكمها موت العقول إلى حياة الأنفس

ومن أخرى [من الخفيف] :

من شروط الصبوح فى المهرجان خفة الشغل مع خلو المكان

وحضور الطعام قبل طلوع الـــشمس مذ أمس بارد الألوان

والعروس التى تزف إلى الأر طال فى ثوب صبغها الأرجوانى

رسموا طين دنها وهو رطب باسم كسرى كسرى أنو شروان

وترى سوسن الكؤوس عليها كسوة من شقائق النعمان

ثم خفق الطبول بين الأغانى واصطكاك الأوتار فى العيدان

والسماع الذى يمـــل على الأســـماع ماتشتهى بلا ترجمان

كل صوت من افتراحات إسحا ق التى ريبت كتاب الأغانى

لاأعد الصبوح إلا عوقا إن جعلت الصبوح بعد الأذان

ياخليلى قد عطشت وفى الخمـــرة رى للحـــائم العطشان

فاسقيانى محض التى نطق الوحـــى بتحريمها من القـــرآن
والتى ليس للتأول فيها مذهب غير طاعة الشيطان
واعدلا بى عن التى هدت النـا ر قواها وحنقت بالدخان
إننى خشية من النار أخشى كل شىء يمس بالنـــيران
لاتخافا على دقة كشحى لاتـكال الرجال بالقفزان
فاســقيانى بين الدنان إلى أن تريانى كبعض تلك الدنان
مقعدا بعد خفتى فى نهوضى أخرسا بعد كثرة الهـذيان
سكرة بعد سـكرة تثبت اسمى فى المفاليج أو مع العميان
اسقيانى فى المهرجان ولو كا ن لخمس بقين من رمضان
اسقيانى فقد رأيت بعينى فى قرار الجحيم أين مكانى
أنا حودابة وذهنى صـديد تحت خصيي فرعون أوهامان
كل شىء قدمته لى فيه رأس مال يأوى إلى الخسران
غير حبى أهل الحواميم والحشـــر وطه وسورة الرحمن
خمسة حبهم إذا اشتد خوفى ثقتى عند خالقى وأمانى
قد تيقنت أنهم ينقلونى من يدى مالك إلى رضوان
بهم قد أمنت خوف معادى وبهذا الوزير خوف زمانى
ياأبا طاهر ولولاك ماكا ن لبدر السماء فى الأرض ثانى
لك ياسيدى دعا الفطر والأضـــحى ويوم النـــيروز والمهرجان

ومن أخرى فى بختيار يهنئه بالأضحى [من السريع] :

قد صخب البم مع الزير فقم قليلا غير مأمور
قم هاتها أصفى إذا رقرقت فى الكاس من دمعة مهجور

---

(١) البم : الوتر الغليظ من المزهر

من يد عذراء لها وجنة تحار فيها أعين الحور
تحدثت فانتثر الدرمس مشممه النرجس والخيرى
وعنبرت أنفاسها نكهة تبسم عن نفحة كافور
الليل والعنبر يقولان لى مذ أمس قولا غير مستور
أسلم قلت نعم ظاهرى وباطنى فى الخمر نسطورى
من أجل هذا أنا مذ جئتما ما بين سكران ومخمور
فاسعد بيوم العيد واجلس له فى خلوة جلسة مسرور
وضح فيه بالدنان التى تخر بين البم والزير
من كل دن دم أوداجه أحل من لحم الخنازير
واستحضر العود ووجه به حتى نصلى بالطنـــانير
الركعة الأولى سريجية وركعة التسليم ماخورى
وهى صلاة العيد لايستوى تجوزى فيها وتقصيرى
والله لو كنت لها حاضرًا لخير العالم تكبيرى
فاشرب على ملك تملته موشح بالعز منصور
فى قدح أزرق أو ساذج أبيض مثل الثلج بلور
واستجل مع ذاك وذا أوجها صبيحه مثل الدنانير
كأنما عينك مابينهم تدور فى زهرة منثور

ومن أخرى فى أبى الفتح بن العميد ، وكان قد هجر النبيذ بعد القبض على بختيار . وكان ابن بقية الوزير قد تشرب وابن الحجاج إذ ذاك يتولى الحسبة ببغداد من الكامل

حى على الأستاذ قد وجبا فإنه قد أصبحت منسبا

مولاى ترك الشرب ينكره من كان فى بغداد محتسبا
إن كان من غم الأمير فلم وزيره بالأمس قد شربا
إن الملوك إذا هم اقتتلوا أصبحت فيهم كلب من غلبا
فلذاك أسكر غير مكترث وألف مع خيشومى الذنبا
ياسادتى قد جاءنا رجب فتفضلوا واستقبلوا رجبا
بمـدامة لولا أبوتها ما كنت قط أشرف العنبا
حمراء مثل النار موقدة لم تلق لانارا ولا حطبا
من قال إن المسك يشبهها ريحا فلا والله ما كذبا

ومن أخرى فى بعض الوزراء [من السريع] :

فديت بى ياسيدى وحدى وعشت ألفى سنة بعدى
قد رحل النرجس فاشرب على محاسن المنثور والورد
من لى بها عندك مشمولة قد أصبحت معدومة عندى
يمزجها لى رشأ أغيد بريقة أحلى من الشهد
نهايه الحر بجس استه وريقه فى غاية البرد
جنى من البستان لى وردة أحسن من إنجازه وعدى
وقال والوردة فى كفه مع قدح أذكى من الند
اشرب هنيئا لك ياعاشقى ريقى من كفى على خدى

ومن أخرى [من المنسرح] :

يامن حقوق النيروز تلزمه رسمك يوم النيروز مشهور
فاسكر من الليل واصطبح سحرا غدا ترانى وأنت مخمور
واستنطق الزير إننى رجل يعجبنى مايقوله الزير

ومن أخرى [من مخلع البسيط] .

قم فاسقني الراح أو تراني مبلس العقل واللسان
إذا تكلمت لم يفسر قولي إلا مترجمان

وله يهجو نصرانيا نفصحه [من السريع] :

اوجع دماغ القرع بالسلق اليوم يوم القطع والبلق
اليوم يوم الراح ياسيدى فاشرب من الراح كما تسقى
كل سيدى واشرب ونك إنما الـحياة بين الشرب والفسق
وافطر من الصوم على فقحه زبدتها فى طرف الزق
وابق سليما ودع الموت لا يحنو على الخلق ولا يبق

* * *

ما أخرج من خرافاته فى مجونه ومفاحشاته

قال [من الوافر] :

سرى متعرضا طيف الخيال فسوف لامحالة بالمحال
ولكنى انتبهت فكان حزنى على مافاتنى أسوا الحالى
وما خلق النساء النظر إلا وبالا حيث كن على الرحال
عذيرى فى الزنا من كل تيس عتيق قد تمرد فى الضلال
يحسن لى الحلال فنحن طول الـنهار إذا اجتمعنا فى جدال
وليس سوى الزنا همى ورأيى فيكار الخصى نيك العيال
وفى النيك الحرام خزعلات قليلا مانراه فى الحلال
وسرم مر مجتازاً بأبرى كما صلى العشا والدربُ خالى
فقال له إلى كم تزدريى وتكشف بالقبيح إلى بالى
ولم تختار وصل الحردونى وتكرهى وتعرض عن وصالى

ألم تر أن شكل البدر شكلي وأن الحر معكوس الهلال
تأمل نكتي هوقى وأين الـــوهاد من الروابى والتلال
فنكس رأسه أيرى طويلا وفكر فى الجواب عن السؤال
وفكر ثم قال له إذا لم توفق للصواب فما احتيالى
أبا الدراق ما للحر ذنب إذا فكرت فى عذرى ولالى
ولكنى رأيت الحر فينا سام الخسف حالا بعد حال
فيقطع أنفه طفلا وينشو كبيراً وهو منتوف السبال
ويلكم شدقه فى كل وقت بغير خصومه وبلا قتال
وأنت مسىء الأخلاق جداً كما تدرى قليل الإحتمال
بأول خاطر من غير فكر تشرس من لقيت ولا تبالى
ومدخلة لها ردف سمين وخصر كالهلال من الهزال
يؤذن فى استها أيرى أذان الــضحى ويقيم فى وقت الزوال
وتعصف ريح عصعصها شمالا وهل ريح أرق من الشمالى
وقد بادلتها فبالها لى بمشوره استها ولها قذالى
كما لابن العميد جميع شكرى ودنيا ابن العميد جميعها لى

ومن أخرى [من السريع] :

لحمية السرم ولكنها الــبظراء شيرازية المفرق
قالت لأيرى بعد ما صب فى دواتها أكثر من دورق
أوحشت عش استى فقل لى متى تؤنسه ياعنق اللقلق
فقال هيهات وهل يرجع اللــص إذا فر من المطبق

ومن أخرى فى حسنته [من السريع] .

يا معشر الناس سمعوا دعوة دخالة بالصحن حراجه

من منكم طار على حسبتى قطعت بالدرة أوداجه
لأنه أقرن ليست له بعدى فى روجتـه حاجه
كأن أيرى فى أستها زج يطلب بين الشوك دراجه

ومن أخرى [من السريع] :

جارية أرض نبات استهـا رقيقة التربة خواره
سيح فى جانب معساتهـا عين خرا بالعرض خراره
كأن لى منها على عاتقى كراع شاة فوق قناره

ومن أخرى [من المنسرح] :

وقينة كل من يعاشرها مغتبط بالسماع مسرور
مبروده الريق بعد هجعتهـا وجوفها فى الفراش محرور
كأن نورها الشديد حمى بقرب عهد الشباب مسجور
تنسم ريح استها الزناة كما نشم ريح اللحم السنانير
لجوفهـا قربة وفى حرها خندق بول وبظرها سور

ومن أخرى [من السريع] :

ولم أزل وهى إلى جانبي كظبية عمراء وحشيه
أنب مثل التيس فوق اسنها وهى بحال النيك تبسيه

ومن أخرى [من الوافر] :

صمدت لها وجنح الليل داج بأخصف مطريه من عقاب
وأولع بالمباعر من فرد وأوقع فى المقادر من دباب

ومن أخرى [من الوافر] .

فتاة ما عرفنا قط منها نحمد لله إلا كل خـير
فما تهوى سوى أيار شهرا وليس إمامها غير الزبير

ومن أخرى [من السريع] :

قالوا رأيناك بما فيك من هشاشة الفطنه والكيس
تحبو إلى باب أستها مثل ما يحبو ابن عامين إلى الديس
فأى شىء كان قلت الذى يكون بين العنز والتيس

وقال [من مخلع البسيط] :

ياسادتى ما استرق دينى شىء كمثل الحر السمين
لما أراه يزول عقلى عنى ويعتادنى جنونى
وأشتهى أن أغوص فيه من مشط رجلى إلى جبينى
وكلما شلت منه رأسى رزقت قوماً يغوصونى
أغيب شهراً فلا ترانى الـعيون والناس يطلبونى
حتى إذا كان بعد شهر دل على موضعى أنينى
فديته كالعروس يجلى فى دست ورد وياسمين
جبينه الصلت من حديد وشدقه الرخو من عجين
وخير ما يقتنيه أيرى صلابة بطنت بلين

وله [من مجزوء الرجز] :

ياصاح فاشرب واسقنى من الشراب العكبرى
مع أمرد عصعصه يجيد بلع الكمر
أو قينة طنبورها الـمحفوف صلب الوتر
حورية قد شربت بالرطل ماء الكوثر
من الجنان وجهها وسرمها من سقر
لها حر كأنه وجه غلام خزرى
ذو شعرة أطرافها شبه رءوس الإبر

أصبح في نيكى لها نقـدمى تأخرى
أحسنت لى هم هكذا مدى وشدى واعصرى
العيش ما أطيب ذا يا مهجتى يابصرى
لمثل ذا الوقت اتنق أو احلقى أو نورى

ومن أخرى [من مخلع البسيط] :

صبيه بظرها بجنبي يبيت مثل الصبي المخضب
مفعول باب استها بأيرى الـــفاعل فوق الفراش ننصب
وسرمها كان أمس غرا لم يتفقه ولا تأدب
فاليوم قد صار منذ فاسى أمور أهل الزنا وجرب
إذا رأى الأير من بعيد بوق فى وجهه ودبدب

ومن أخرى [من البسيط] :

تبول من شدق مهزول به عجف وقد نفقا عليه بظرها سمنا
ترغى وتزبد شدقاه إذا اختلفا كأنه شدق مفلوج حسى لبنا

ومن أخرى [من الخفيف] :

ذات رحم يسقى الفراغات صرفاً من عصير الخصى بغير مزاج
بات دكشاب فيشتى فى خراها يخلط الدوغباج بالزيرباج

وقال [من مجزوء الرجز] :

لو أن سرما كان فى يديه ملك اليمن
لكان أولى منه بى قطعه ضرط عفن

وقال [من مخلع البسيط] :

عمرك الله يا ابن عمرو عمر ثلاثين ألف نسر
وجهك عند الصباح شمسى وأنت عند المساء بدرى

مولاى ذا اليوم يوم سعد أشرف عندى من ألف شهر
نذرت فيـــه إذا التقينا سكرا إلى الليل بعد سكر
مع فينة لا تريد غيرى فهى تجيئنى بغير حـذر
أيرى على أنه طويل أقصر من بظرها بشبر
لصوف شعر استها مداد يعجنه بولهـا بحبر
فأى شىء تقول هو ذا أقوم حتى أفى بنـذرى

وقال [من مجزوء الكامل] :

ضرطت ونحن بعكبرا فتشوشت سفن العروب
وفست على ريح الشما ل فألحقتها بالجنوب
ومسحت مبقلة استها فوجدتهـا ألنى جريب
جاءت إلى وجوفها يغلى ولا قدر الزبيب
فسلقت ببضى فى أستها وشويت فى حرها عسيبى

ومن أخرى [من المنسرح] :

وكم حديث كأنه سمر قد مر لى فى الزنا مع السمر
وافرة الردف فهو يثقلها لطيفة الكشح نضوة الخصر
طعم خراها مع طعم فيشلتى يشبه طعم اللبا مع التمر
لو لم أشبب بشعر عانتها ماطاب للناس كلهم شعرى
فيل لا يرى وقد رأوه ولا الهـــارب بعد الحصول فى الأسر
يشتد بعد العشا إلى حرها عدوا بلا حشمة ولا فكر
مالك هوذا نطير قال لهم أطير مستعجلا إلى وكرى
ولى خصى لو جرحت أعرضه اشـــتراه منى بروحه درى
يرى عليــه كأنه وتد قد علقت فيه دبة البزر

ومن أخرى [من مجزوء الكامل] :

يا ويحكم واللحم يعـرض والبزاة على الكنادر
قوموا بنا نحشو البظو ر بفيشنا حشو المساور
نبدا بكراعاتهم ونعود نعثر بالزوامر
ثم الحوافظ إنهـن عجائز شمط عواهر
أحراحهم بيض العنا فق واللحى سود المباعر
كشيوخ أصحاب الحديث إذا تمشوا بالمحابر

ومن أخرى [من السريع] :

أنا ابن حجاج إليه أبى يمى وقلبى من بنى عذره
لم يخل جسمى فى الهوى من ضنى قط ولا عينى من عبره
حبائب مثل حصى عكبرا والزفا مثل نوى البصره
حامضة البول ولكن لها مستنعظ أحلى من التمره
لها حر درته حرة ومبعر روثتـه صخره
فـ تلاحظنا سوى مرة حتى أتى الشيخ أبو مره(١)

* * *

نبذ من ملحه القصار من أخباره

كان قد دعا مغنية ، فلما دارت الكؤوس تساكرت عليه وتناومت وهو جالس . فقال [من مجزوء الرمل] :

غطت البطراء نـا عانت مفتاح ديرى
وجت منى خيرا قلت لا ترجين خيرى
اقعدى عندى وهدا فافعله عند غيرى
أنت فى دعوة أذنى لست فى دعوة أيرى

(١) الشيخ أبو مرة : هو إبليس ، وكنى بمجيئه عن حصول مايغضب الله

وحصلت عنده مغنية كان يتعاشق لها . ونام ابن حجاج ، فتفرقع ظهره فغضبت وانصرفت . فقال [من السريع] :

قد غضبت سي وقد أنكرت فرقعة تظهر فى ظهرى
وليس لى ذنب ولكننى أضرط بالليل ولا أدرى
فليت شعرى وهى غضبانة من حجرها أضرط أم حجرى

وأنا أستظرف كنايته بالفرقعة عن الضراط

ودعا مغنية ، فخلا بها ، فهجمت عليه صديقة له . فتضاربتا وتجارحتا . وطال بينهما الشر ، فقال [من الخفيف] :

رحم الله من أتانى بموسى فتقصى بحده جب أيرى
كل يوم أغضى له عن جنايا ت كأن الحديث فيها لغيرى
ولعمرى كم من صاح بشر كان لولاه قد جرى لى بخير

ووردت عليه رقعة صديقين له يدعوانه للشرب وانه قد جدر وملح فكتب إليهما [من المنسرح] :

يا سيدى النبيذ موجود وباب شرب النبيذ مسدود
قد ملح ابنى فكيف يشرب من أمسى ولحم ابنه تمكسود[1]

وعرض له صداع ، فانفرد إخوانه بالشرب مع مغنية كان قد اشترطها . فكتب إليهم [من الوافر] :

حصلت أنا الشقى على الصداع وأنتم بالتمتع والسماع
خلوتم بالتى قلبي إليها شديد الشوق مشهور النزاع
فتاة أصبح الإجماع فيها يقر بأنها شرط الجماع

(١) كذا ، ولم يتجه لى

وحصل مع رجل يكنى أبا الحسين فى دار رجل بخيل ، فالتمس أبو الحسين العشاء بعد الغداء ، فقال ابن حجاج [من مخلع البسيط] :

يا سيدى يا أبا الحسين أنت رفيع بنقطتين
يا كلب الضرس مايداوى ضرسك إلا بكلبتين
ويلك قل لى جننت حتى تلتمس الخبز مرتين
فى دار من خبزه عليه ألف رقيب بألف عين

وحضر فى دعوة ، وأخر الطعام ، فقال [من الكامل] :

يا صاحب البيت الذى أضيافه ماتوا جميعا
حصلتنا حتى يمو ت بداننا عطشاً وجوعا
ما لى أرى فلك الرغيـف لديك مشترفا رفيعا
كالبدر لا نرجو إلى وقت المساء له طلوعا

ونظر إليه يذهب ويجيء فى داره ، فقال [من السريع] :

يا ذاهبا فى داره جائيا بغـير معنى وبلا فائده
قدجن أضيافك من جوعهم فاقرأ عليهم سورة المائده

وكان بعض أصحاب الدواوين يطالبه بحساب ناحية وليها ، فكتب إليه [من الوافر] :

أيامن وجهه قمر منير يضيء لنا وراحته السحاب
إذا حضر الحساب أعدت ذكرى وتنسانى إذا حضر الشراب
أجبنى بالقنانى والمثانى ووجهـك إنه نعم الجواب
وكلنى فى الحساب إلى إله يسامحنى إذا وضع الحساب

وركب إلى بعض الرؤساء يهنئه بعيد النحر . فلم يصادفه ، فكتب إليه [من الوافر] :

أيامن وجهه كالشمس توفى فيمحق نوره بدر التمام
لعيد النحر أيام قصار تلم بنا اجتيازا كل عام

أمرنا كلنا بالنيك فيها وأكل الطيباب وبالمدام
فقيل لنا اشربوا وكلوا ونيكوا حلالا أو على وجه الحرام
وما فيل اقطعوها بالتهانى وتكرار التحايا والسلام
فياطوبى لمن صلوا قعودا وناكوا الكواشك من قيام
وقد بكرت أمس على كميت يقصر خطوه طول المقام
جريح الجنب من ضغط الحزام فريح الفك من مضغ اللجام
فان أنا لم أعد فالله أولى بعذرى ثم أنت بلا كلام

ووردت رقعة رجل على بعض الرؤساء وهو جالس يعرض عليه جارية رباها ويصف حسنها ، فأمره بالإجابة ، فقال من السريع] :

ياذا الذى جاء بحر له فى السر يهديه إلى أيرى
على شغل بالمهم الذى تراه فاطلب نايكا غيرى

وكان له صديق ولذلك الصديق ابن يكنى أبا جعفر .وكان مستهتراً بالقحاب. فسأله أن يعاتبه ويشير عليه بالتزوج ، فقال من السريع] :

إياك والعفة إياكا إياك أن تفسد معنا كا
أنت بخير يا أبا جعفر مادمت صلب الأير نيا كا
فنك ولو أمك واصفع ولو أباك إن لامك فى ذا كا

وكان الورير أبو الفضل والوزير أبو الفرج قد خلوا فى الديوان لعقوبة أصحاب المهلبي عقب موته ، وأمرا أن تلوث ثياب الناس بالنفط إن قربوا من الباب . وقد كان المهلبي فعل مثل هذا . فحضر ابن الحجاج فحجب وخاف النفط فانصرف فقال من مخلع البسط :

الصفع بالنفط فى الثياب ما لم يكن قط فى حسابى
ليس يقوم الوصول عندى مقام حيطين من ثيابى
يارب من كان سن هذا فزده ضعفاً من العذاب

في قعر حمراء ليس فيها غير بني البظر والقحاب
تفعل في لحمه المهرى ما يفعل الجمر بالكباب
فالقرد عندي يجل عمن يسن هذا على الكلاب

ووردت عليه رقعة خصم له بما يسوءه فكتب على ظهرها أبياتاً منه [من الكامل] :

إني جعلت إجابتي في ظهرها عمداً ليمكن فضها في المجلس
كانت كنيفاً فائضاً فزرعت في ظهر الكنيف حديقةمن نرجس

وكان ابن شيراز قد صارع السبع فقتله ، ثم عاد لمثله ، فكتب إليه ابن حجاج [من مخلع البسيط] :

يامن إلى مجده انقطاعي ومن به أخصبت رباعي
قد زاد خوفي عليك جداً وعظم الأمر في ارتياعي
في كل يوم سبع جديد ينفر من ذكره استماعي
تغدو إليه بلا احتشام ولا انقباض ولا امتناع
وليس قتل السباع مما يدرك بالختل والخداع
فلا تطر بعدها لسبع مراسه غير مستطاع
إن صراع السباع عندي حاشاك ضرب من الصداع
أعدل إلى الكأس والندامى والأكل والشرب والسماع
وأمرد جامع لشرط العناق والبوس والجماع
بلى أجع لي السباع واطرح خصمي في بركة السباع
فإن عيشي في أن أراه بين سباع الربى الجياع

وكان سأل بعض الرؤساء أن يتكلم في أمر كان له فوعده ثم أمسك وسكت

فقال [من السريع] :

ياصنما يعبده شعرى بلا ثواب وبلا أجر
إن لم تكن دبا نخاطبهم بلفظة تسمع فى أمرى
انطق بنفس قبل أن يحسبوا أنك من طين وآجر

وقال وقد عرضت له علة صعبة ، ثم صلح بعد اليأس ، فكتب إلى بختيار [من مخلع البسيط] :

ياسيدى عشت فى نعيم حلو الجنى دائم المسره
عبدك يشكو إليك حمى قد سبكته الصفراء نقره
حمى لتنورها وقود يزيد فى اليوم ألف سجره
قد حفرت تربة لصيدى فكدت منها أصير صبره
علة سوء كانت ترينى نفسى فوق الفراش حسره
طالعنى الموت من زوايا برسامها ألف ألف مره
قد نصب الفخ لى ولكن أفلت من فخه بشعره

وقوله [من السريع] :

ياسيدى دعوة من قلبه من خوف مامر به يخفق
قد نصب الفخ لصيدى أبو يحيى ولكن أفلت العقعق

وقلده الوزير ناحية ، فخرج إليها يوم الخميس ، وتبعه كتاب الصرف يوم الأحد . فقال [من مجزوء الكامل] :

يامن إذا نظر الهلا ل إلى محاسنه سجد
وإذا رأته الشمس كا دت أن تموت من الحسد
يوم الخميس بعثتنى وصرفتنى يوم الأحد

والناس قد غنوا على كما رجعت إلى البلد

ماقام عمرو فى الولا ية ساعة حتى فعد

وقال فى مثل ذلك [من المنسرح] :

يامالك الصدر ماخلوت من الـ إيراد ما عشت فيه والصدر

قلدتنى لبلة وماكرنى كتاب صرفى المشوم فى السحر

فقدت بختى فكيف درت به دور لى جانب استه وخرى

وقال ، وقد حجبه بواب لبعض الرؤساء مرات فكتب إليه [من السريع] :

فولا لمن إحسانه لم يزل شفاء علاتى وأوصابى

بى علة نقطع أسبابها من راحة الصحه أسبابى

أخفيت مابى اليوم منها فما تطلع الناس على مابى

وليس يشفينى سوى نهشة من قطعة من كبد بواب

نبيت فيها وهى مشوبة بالنار أضراسى وأنيابى

فامنن بأن تذبح لى واحداً بالنعل فى دوارة الباب

فنقطة من دم أوداجه أنفع لى من رطل جلاب

***

ملح من نوادره فى ذكر الصفع

قال [من السريع] :

ياسخن العين التى لم نزل تعيش فى الناس بلا عقـل

إن لم تزن نفسك مستأنفاً والخوف بين القول والفعل

حل بيافوخك منى الذى يحل يوم العيـد بالطبل

لا تجهل اليوم على من له معرفة بالعقل والجهـل

فى وإن زلت به نعله أصفع خلق الله بالنعـل

وقال [من الرمل] :

هارب منى وقد خاف العمى بقفا للنعل بادى المقتل
وبكفى شمشك منتعل والقفا حبر الشمشك المنعل

وقال [من المنسرح]

فى البيت لى درة يحدث عن أفعالها الموغلون فى الشارع
تأكل لحم القفا السمين كما يأكل رز البهطة الجائع

وقال [من الخفيف] :

رب مستصفع نسخت بنعلى بين أجفانه شروط القوافى
كل نهب الطلى مباح حمى الرأ س حريب الآذان والأكتاف(١)
فاتق الله فى غطاريف أذنيـك وأعصاب أخدعيك الضعاف

وقال [من السريع] :

قل لابن حسنون ومازال من تعجرف يصغو ويستعفى
أما ترى رخ يدى جائلا وشاه أذنيك على الكشف

وقال [من المنسرح] :

قد وقع المنع والحجاب معاً فكل من رام بابكم صفعا
وافيته طامعاً لأدخله ولم أكن قط أحمد الطمعا
فواثبونى جهلا بمرتبتى فى حيث أشكو الصداع والصلعا
لا تطلبوا بعدها مواصلتى فإن حبل الوصال قد قطعا

وقال وقد صرف عن عمل كان إليه [من المنسرح] :

قال وأجفان مقلتيه تكف وجسمه ظاهر السقام دنف
أعمالنا هذه التى كثر الا إرجاف فيها بنا فليس تقف

---

(١) الطلى : الخمر ، والحريب : المسلوب

قد صرفونا عنها فقلت لهم نعم وصاد ف عين واو نون ألف

وقال [من مخلع البسيط] :

قلت وقد جاء حر شاذا لأى معنى قد جاء هـذا
قالوا لصفع العباد حتى يجعل أقفاءهم جذاذا
فقمت وابناى يتبعانى ننسل من بينهم لواذا

* * *

نبذ من ذكر سرقاته

من ذلك قوله [من المنسرح] :

شيخ فتى والشباب أكثرهم قد علم الله غير فتيان

من قول كثير [من البسيط] :

يا عز هل لك فى شيخ فتى أبدا وقد يكون شباب غير فتيان

وقوله [من الوافر] :

وأولاد الحرائر لم يجابوا لدى فكيف أولاد القحاب

من قول دعبل [من الكامل] :

إنى لأهجو من يجود بماله أتظننى أدع اللئيم الواضعا

وقوله [من الوافر] :

على أنى أظنك سوف تنجو بعرضك من يدى منجى الذئاب

من قول أبى الزيات [من المتقارب] :

نجابك لؤمك منجى الذئاب حمته مقاذره أن تنالا

وقوله [من الوافر] :

وأحسن ما رأينا قط راحا إذا كانت مطية كأس راح

من قول أبي تمام [من الكامل] :

راح إذا ما الراح كن مطيها كانت مطايا الشوق فى الأحشاء

وقوله [من الوافر] :

سترت بظله من ريب دهرى فعز على النوائب أن ترانى

من قول أبي نواس [من الطويل] :

تسترت من دهرى بظل جناحه فعيى نرى دهرى وليس يرانى

وقوله [من الكامل] :

أمشى بقلبي ، لا برجلى ، إنما تمشى بحسب هوى القلوب الأرجل

من قول اللجلاج [من الطويل] :

وما زرتكم عمدا ولكن ذا الهوى إلى حيث يهوى القلب تهوى به الرجل

وقوله [من الوافر] :

وخمار أعد الكأس ظئرا لطارقه فلم يرضعه غيلا

أوفيه خلاص التبر وزنا فيسبكه ويعطينيه كيلا

من قول ابن المعتز [من المتقارب] :

وخمارة من بنات المجوس ترى الزق فى بيتها شائلا

وزنا لها ذهباً جامداً فكالت لنا ذهباً سائلا

وقوله [من الوافر] :

فتاة كالمهاة تروق عينى مشاهدها وتفتن من رآها

تكاد ترد المجبوب أيرا وتحدث للفتى العنين باها

من قول جحظه [من مجزوء الكامل] :

لو مر بالأعمى لأبصر أو بعنين لأنعظ

* * *

نبذ مما تكرر من معانيه

قال [من السريع] :

وفى فمى سكرة حلوة قد نغصتها لوزة مره

وله [من السريع] :

واللوزة المرة يا سيدى يفسد فى الطعم بها السكر

وله [من السريع] :

كأنه وهو إلى جنبها سكرة مع لوزة مره

وله [من المنسرح] :

نبهت منه لحاجتى عمرا ولم أعول منه على عمرو

وله [من المنسرح] :

فما استجارت بعمرو مظلمة بل حين جاءتك أنت ياعمر

فالشعر قد صار فيها وأتى مع ذا بتفصيل ذلك الخبر

وله فى عكس المعنى [من السريع] :

ولم تنبه عمرا حاجتى بل وقعت منك على عمرو

وله [من المنسرح] :

خير الستور التى نعلقها ستر خصى مسبل على حجر

والقدر إن لم يكن لها طبق لم يتهر العصيب فى القدر

وله [من المنسرح] :

ولم ترالعين قط أحسن من ستر خصى مسبل على حجر

وله [من الخفيف] :

كتبت رقعة إلى وقد عبـــت بسطر مقرمط خلف سطر

ياقتى ستر باب سرمى خصاه هات قل لى متى تعلق بسترى

وله [من الوافر] :

أحن إذا رأيت الحر ليلا بجنبي وهو منتوف نظيف
ولا آباه إن هو جاء يوما وفي رأس الكلاجق منه ليف

وله [من مخلع البسيط] :

فاستأذنيه غدا وعودى إلى منتوفة نظيفه
فقد تبينت فوق رأس الـــحر ذى الزوزك ليفـــه

وله [من المنسرح] :

بيضاء وهج استها يفور حمى وريقها العذب بارد خصر

وله [من السريع] :

بريقة كالثلج مبرودة ومبعر كالنار محرور

وله [من السريع] :

نهاية الحر مجس أستها وريقها فى غاية البرد

وله [من مخلع البسيط] :

للبرد فى ريقه كزاز وللحمى فى أسته حريق

وله [من مخلع البسيط] :

يا زوج من ريقها حميم وريق مفسائها صقيع

وله [من الخفيف] :

وغلام شظى بكرفس مفسا ه قديما أسنة الأقلام

وله [من الخفيف] :

لا ترى كرفسا على باب مفسا ه يشظى بصوفه الأقلاما

وله [من الخفيف] :

ودواة استها بصوف ولا الليـــف يشظى أسنة الأقلام

وله [من الرمل] :

كلما استمددت من سرمهـا شعب سى قلبى الـكرفس

وله [من السريع]

فديت من لقبنى متلما لقبته والحق لا يعضب

إن قلت ياعرقوب أطمعتنى قال فلم نفسـك يا أشعب

وله [من السريع] :

وعدتنى وعدا وحاشاك أن تروع منه روغة الديب

ما كنت إذ أطمعتنى أشعبا فيـه ولا أنت بعرقوب

* * *

ما جاء له فى التضمين

قال ، وقد كان غاب عن الحضرة مع الوزير ثم عاد فلما قرب توقف عن الدخول [من الوافر] :

أيا مولاى دعوة مستغيث قد التهبت جوانحه بنار

أغثنا بالرحيل غدا فإنا من الشوق المبرح فى حصار

وأبرح ما يكون الشوق يوما إذا دنت الديار من الديار

وقال [من البسيط] :

قد قلت لما غدا مدحى فما شكروا وراح ذمى فما بالوا ولا شعروا

على نحت القوافى من معادنها وما على إذا لم نفهم البقر

وقال [من الوافر]

ولم أطرب إلى عذراء رود نهى عن وصل عاشقها نفار

ولا غرثى الوشاح كأن ورد الـحياء بوجنتيها الجلنار

بنفسى كل مهضوم حشاها إذا ظلمت فليس لها انتصار
ولـكنى طربت إلى خليـل سمحت ببذله ولى الخيار
فلما أن مضى فى حفظ من لا يضيعه وشط به المزار
ندمت ندامة الـكسعى لما غدت منـــه مطلقة نوار
فعينى ما تجف لها دموع وقلبي ما يقر له قرار

وقال [من الخفيف] :

سيدى إن أقمت بعدك بالصغـــد فقلبي على غـــير مقيم
غير أنى أقول بالرغم منى فلعلى أكف بأس همومى
من يكن يكره الفراق فإنى أشتهيه لوقفة التسليم

وله يخاطب ابن بقية ، وقد حجب عنه وهو على الشراب [من مخلع البسيط] :

بحق رأس الأمير مثلى يظمأ فى دولة الأمـير
فمالـكم تشربون دونى ولست فى جملة الحضور
قد قلت لمـا حجبتمونى فاشتد من بابكم نفورى
إن دام هجرانـكم على ذا طويت من بينكم حصيرى

وقال [من الخفيف] :

صاح أيرى ورمحه فوق خصييـــه ولا رمح صمرة بن هلال
قربا مربط النعامة منى لقحت حرب وائل عن حيال
ثم أهوى بطعنة بات منها سرم ستى ذاك الشقى بحال
فتولى يقول وهو طعين دمه مع خراه مثل البزال
لم أكن من جناتهـا علم اللـــه وإنى بحرها اليوم صالى

وقال [من الخفيف] :

أسفر الصبح فاسقيانى وقد كا ن من الليل وجهه فى نقاب

وانظر اليوم كيف قد ضحك الـــزهر إلى الروض من بكا السحاب
إن صحوى وماء دجلة يجرى تحت غيم يصوب غير صواب
اتركانى ومن يعير بالشيـــب وينعى إلى عهد الشباب
فبياض البازى أصدق حسناً إن تأملت من سواد الغراب

وقال فى ابن العميد يودعه ويصف الفرس ويذمه [من الخفيف] :

أيها السيد الذى طاب فى المجـــد فروعاً كريمة وأصولا
لو مشى بى الشيخ الفرق لسابقـــتك سيراً إلى الوداع ذميلا
فتجاوزت خانقين وخلفـــت ورائى على الطريق جلولا
لكن الشيخ كان جذعاً من الخيـــل طريا فصار جذعاً طويلا
كلما سار سال دمع مآقيـــه ومن حق دمعه أن يسيلا
مستغيثاً يصيح تحتى ضراطاً مزوجاً فى طريقه وصهيلا
أبصر القت وهو يجرى فغنى بعد ماكاد عقله أن يزولا
أزجر العين أن تبكى الطلولا إن فى القلب من كليب غليلا

وقال يصف ضعف فرسه [من البسيط] :

يسومنى المشى مضطراً وليس له الـــمسكين بالمشى شبراً واحدا جلد
ما كلف الله نفساً فوق طاقتها ولا تجود يد إلا بما تجـــد

وقال ، وقد حجب مع جماعة من الكتاب [من الكامل] :

قد قلت لما أن رجعت موليا ومعى مدابير من الكتاب
نحن الذين لهم يقال وكلنا فل العصا وطريدة الحجاب
قوم إذا قصدوا الملوك لمطلب نتفت شواربهم على الأبواب

وقال [من المنسرح] :

ياربرب اعبر بنا إلى ملك نوحه الله بالمهابات

بقولى للريح كلما عصفت هل لك يا ريح فى ماراقى

وقال [من مجزوء الكامل] :

قالت وقد كشف الودا ع قناع حزن قد علن
وأذل بالجزع الفرا ق قوى عزاء ممتهن
يا من محنت بفقـده حوشيت فلك من المحن
خلفتنى والحزن بعـدك ياقرينى فى قرن
فإذا صبرت ضرورة صبر الوقيد على الوسن[١]
فترى يطيق الصبر عنـك أو السلو أبو الحسن
طفل نشا وفؤاده لك يا أباه مرتهن
كالفرخ يضعف قلبه عن أن يودع بالحزن
فأجبتها وهى التى اسـتولت على بلا ثمن
طلب المعاش مفرق بين الأحبه والوطن
يارب فاردد سالمـا سكنا يحن إلى سكن

وكتب إلى رئيس يستهديه مشروبا وهو مع بعض أصدقائه وعندهم مغنية فلم يفعل [من البسيط] :

يا سيدى جودك المشهور ما فعلا أبيع بالرخص ياهذا أم ابتذلا ؟
واسوأتا من أناس ظلت أطمعهم أن الذى التمسوه منك قد حصلا
حتى إذا عاد من أرسلته بيد صفر وما كان عندى أنه وصلا
قالوا لقينتهم غنى عليـه لنـا صوتاً ضربنا له فى شعره مثلا
ما زلت أسمع كم من واثق خجل حتى بليت فكنت الواثق الخجلا

* * *

(١) الوقيد : الشديد المرض المشرف على الفناء .

ما أخرج له في التخلص

قال في أبي تغلب ، وقد توجه من الموصل إلى بغداد [من الخفيف] :

افضض الدن واسقني يانديمي اسقني من رحيقه المختوم
اسقني الخمرة التي نزلت فيها على القوم آية التحريم
اسقنيها فإنني أنا والقس جميعاً نبولها في الجحيم
اسقنيها ولا تكلني إلى النقل عليها ولا إلى المشموم
بادر الصبح بالصبيحة وجهاً فابنة الكرم شرط كل كريم
ثم قل للشمال من أين ياريح تحملت روح هذا النسيم
أترى الخضر مر لي فيك أم جزت برضوان في جنان النعيم
أم تقدمت والأمير أبو تغلب قد صح عزمه في القدوم

وقال في فتح قلعة أردمشت من قصيدة [من الوافر] :

سقاني كأسه سحراً بوقت وكان صبوحنا في يوم سبت
غلام أعجمي فيه ظرف وحذق بالتلطف والتأتي
سقاني دو وسا وازددت منها على سكرى وصبحني بهفت[1]
فلما نمت قام وقال بروا لمن حولي خوى خاني بجفت
وفي باب أسته زغب لطاف ملاح مثل ورد الزاد رخت
ولكن كان لا يقوى لشؤمي وخذلاني نه وسواد بختي
فشدت الصبي فدته نفسي بدوديكي وتيمردم درست
وكان من استه كالبنت بكراً مخدرة الخرا ففتحت بتي
كما فتحت وحد السيف يدمي من الأعناق قلعة اردمشت

(١) دو : أي اثنين ، وسا : أي ثلاثة ، بلغة الفرس .

وقال فى مدح صاعد [من مجزوء الخفيف] :

ومهاة غريرة غضه الحسن ناهد
فتنتنى بمعصم وبكف وساعد
وبثغر منضد شنب الريق بارد
ونسيم كأنه اشتق من نشر صاعد
فهو طيباً كذكره فى الثنا والمحامد
همه فى العلا اقتدت بالسهى والفراقد
وندى بخلت به كف يحيى بن خالد

وقال [من مجزوء الرجز] :

كأنما باب استها شكله كاف مطلقه
بين سطور كاتب حروفه محققه
يصك لى بين يدى سيدنا فى ورقه
باللحم والخبز الذى روحى به معلقه
يا من به قد فتحت أبواب رزقى المغلقه
وقع لمن علمه جودك حذق العقعقه

* * *

هذه نبذ من ملح ملحه الرائقة ، وما يتصل بها

قال [من الوافر] :

حلفت لقد بلغت مدى المعالى وأنت على تجاوزه قدير
فبحرك در لجته ثمين وغيثك ماء مزنته طهور

وقال لبعض الرؤساء فى يوم كان المطر يجىء فيه ساعة ثم ينجلى الغيم ، وتطلع

الشمس ثم يعود [من الكامل] :

يا سيدى تفديك مهجة خادم ... لك يستقل لك الفداء بنفسه
يفديك من جليت أول كربة ... عنه ومن أدركت آخر نفسه
انظر إلى اليوم الذى أشبهته ... لو كان جنسك ناشئاً من جنسه
يحكى نداك بغيثه فإذا انجلى ... فكأن وجهك ما انجلى من شمسه
لكن فضلت عليه أنك دائما ... تبقى وهذا اليوم تابع أمسه

وقال [من المتقارب] :

هو الشيخ لما صفا جوهر ال ... فضائل منه ولم يكدر
أضاف الزمان إليه ابنه ... كما اقترن البدر بالمشترى

وقال لرئيس اختلف ابنه إلى الكتاب [من السريع] :

يا عارضا يروى الثرى غيثه ... ومنهلا يشفى الصدى مورده
أقعدت فى الكتاب من لم يكن ... يضره أنك لا تقعده
أنت أبوه فهو ينمى إلى ... كتابة يوجبها محتده
إن شئت علمه وإن شئت لا ... لا بد أن تحكى أباه يده

وقال [من السريع] :

لا زلت يا عمر أبى عمرو ... أبقى على الدهر من الدهر
فتى إذا ما جاد لى بحره ... أمرت من يجرى على البحر
وإن بدا لى وجهه طالعا ... صفعت بالشمس قفا البدر

وله [من السريع] :

فديت عز الدولة المرتجى ... بمهجتى إن قبلت مهجتى
من أنا فى عيلة إحسانه ... وفقر أهلى فى عيلتى
ثيابه فى سفطى بتها ... وخبزه مأواه فى سلتى

جراية أصبحت فى رزقها ... فى كل يوم أجتبى غلتى
وكان جوفى بالخوى مأتما ... فاليوم بيت العرس فى معدتى

وقال [من الخفيف] :

سيدى والذى يقيك من السو ... ء يميناً من أوكد الأيمان
لاجحدت النعمى لأكفر إحسا ... نك عندى يادائم الإحسان
أنا فى نزهة من العيش فى ظلـ ... ـك طول الحياة كالبستان
ذات زهر فيه البنفسج والنر ... جس معه شقائق النعمان
جالس فى تبظرم ترك الحا ... سد يقلى بعر أسته بورانى

وله فى شارب دواء [من المجتث] :

يا من به تتباهى ... مجالس الخلفاء
ومن تقصر عنه ... مدائح الشعراء
ياسيدى كيف أصبحـ ... ـت بعد شرب الدواء
خرجت منه تضاهى ... فى الحسن بدر السماء
فى ثوب صحة جسم ... مطرز بالشفاء

وقال من أبيات فى الصاحب [من مخلع البسيط] :

يا أيها السيد الجليل الـ ... ـمرجو للحادث الجليل
كل مديح أجلت فيه ... يقصر عن فعلك الجميل

وقال فى ابن بقية [من مجزوء الكامل] :

يا بدر يا بدر التمام ... لك أشرفت خلع الإمام
يا من له الأسما العظا ... م بحرمة الأسما العظام
هب لى بفا ابن بقية ... هبة تجـدد كل عام
أنت الكريم فهب لنا ... هذا الكريم من الكرام

فلقد علمت بدعوتى أنى على خبزى أحامى

* * *

قطعة من ملحه في نوادره فى سائر الفنون

وقال [من الوافر] :

أعصر شبيتى قف لى قليلا أناشدك المودة أن تحولا
فديتك ياشبابى أنت مالى أراك مكلكلا نضوا عليلا
تولى حسنك المفقود عنى وحول رحله إلا قليلا
وقالوا الشيب يكسبه جلالا معاذ الله بل خطأ جليلا

وقال [من الوافر] :

بياض الشيب تكرهه الغوانى ويعجبها سواد فى الشباب
وشيب لحى الزناة فدتك نفسى ضراط فى اللحى عند القحاب

وقال [من مخلع البسيط] :

طاقة آس جنيت منها بلحظتى نرجسا ووردا
أرضاه مولى وليس يرضى مولاى بى فى هواه عبدا

وقال [من السريع] :

فديت إنساناً على هجره ووصله تحسدنى الناس
لما احتوى الورد على خده ودب فى عارضه الآس
مزجت كأسى من جنى ريقه بمثل مادارت به الكاس

وقال فى أرمد [من البسيط] :

أنا الفداء لعين بعض أسهمها مشكوكة بين أحشائى وفى كبدى
فيها سقام فتور لاخفاء به تحدث السقم فى قلبي وفى جسدي
كانت تعل فؤادى وهى سالمة فكيف بى وهو يشكو علة الرمد؟؟

وقال [من المنسرح] :

فديت من مر فى الرصافة بى فقلت : يا سيدى ، فلم يجب
واصفر غيظا على وامتزجت صفرة ذاك اللجين بالذهب

وقال فى أبى تغلب يستهديه فرساً [من الرمل] :

اسمع المدح الذى لو قيل فى أحـد غيرك قالوا سرقا
جاء يستهديك مهراً أدهما يركب الفارس منـه غسقا
كالدجى تبصر من غرته فوق أطبـــاق دجاه فلقا
جل أن يلحق مطلوباً ومن طلب الريح عليه لحقا
فتراه واقفاً فى سرجه يتلظى من ذكاه قلقا
فإذا طار به المشى مضى وهو كالريح يشق الطرقا
كالسحاب الجون إلا أنه ليس يسقى الأرض إلا عرقا
جمع الأمرين يعدو المرطى فى مدى السبق ويمشى العنقا(١)

وقال يصف الفرس الذى أهداه له أبو تغلب [من المجتث]

اليوم يوم سرورى بالموصلى الذنوب
من عند قرم كريم جزل العطـاء لبيب
آدابه جعلتـــه يعى بكل أديب
ركبت فيـه القوافى فجاد بالمركـوب
ذو غره يتلالا فى حالك غربيب
لون الشباب عليـه مع غرة كالمشيب
صهيله حوف إذنى ولا غنـاء غريب
ودونه المسك طيبا بين اللحى والجيوب
لولا اضطرارى إليه نزهته عن ركوبى

(١) المرطى – بفتحات – نوع من العدو ، والعنق – بفتحتين – السير السريع

وقال فى خصم له أعمى [من الوافر] :

سمعتم قط أعجب من ضرير   بقدر أن يجور على بصير ؟
ولو شاء الوزير — ولم يزل لى   صلاحى فى مشيئات الوزير —
لألزمـه العصـا يمشى عليهـا   وعلمه القران على القبور

وفيه [من المنسرح] :

إن كان هذا الضرير يعنتنى   بحجة مثـل عينه غلقه
فوقع السوس فى عصاه ولا   بورك فى قسطه من الصدقة

وقال [من السريع] :

لا يحسن الإشراف من مقعد   كأنه زرقة فروج
أقصر من يأجوج فى قده   وقرنه أطول من عوج

وقال [من مجزوء الخفيف] :

أزجر العين أن ترى   أزرق العين أشقرا
ما أرى البوم وجهه   قط إلا تطيرا

وقال [من الخفيف] :

سيدى حشمتى عليك حرام   وبحكم الكريم نقضى الكرام
وأرى مذ ملكتنى أن متلى   أبداً لا نفيدك الأيام
خادم ناصح ، وعبد محب   وصديق ، وصاحب ، وغلام
حسبه قد جمعتهم لك وحدى   لمعـانى اختصاصهم والسلام

وقال ينشو رئيسا ويصف رواقه [من الكامل] :

لا والذى ياسيدى يفنى الأنام وأنت باقى
ما للخليفـة مثل صحـنك والتدلى والرواق
دار غدت شرفاتها توفى على السبع الطباق

فقبابها وكواكب الـــجوزاء نسمو بانفاق
ولها حصون نشتكى حبطانها بعد الفراق
ويضيع فيها الخضر وهـــو يسيرفى ظهر البراق
لما دخلت أطوفها ومشبت فى طول الرواق
لم أفنه حتى فنيـــت وصارمثل القوس ساقى
دار بها ياسيدى مابى إليك من اشتياق

وقال يناقض ابن المعتز فى قوله [من المجتث] :

لا تدعنى لصبوح إن الغبوق حبيبى
الليـــل لون شبابى والصبح لون مشيبى

وقال [من مخلع البسيط] :

الصبح مثل البصير نورا والليل فى صورة الضرير
فليت شعرى بأى رأى يختار أعمى على بصير

وقال من مخلع البسيط] :

كم من صديق يروق عينى بالشكل والحسن واللبافه
ليس له فى الجميـل رأى ولا بفعـــل القبيح طاقه
كأنه فى القميص يمشى فالوذج السوق فى رقاقه

وقال يصف بغلة [من السريع] :

تعرف لى أحسن من بغـلة جددت فى البر بهـا عهدى
تنساب كالمـاء على حافر كأنه من حجر صلد
ات عن الأشهب لما مضى نسـابة الكلب عن الفهـد

حاشية من قصيدة لابن حجاج [من الوافر] :

فأقسم لا بسين وطه ولا بالذاريات ولا الحديد

ولـكن بالوجوه البيض مثل الـ أهلة تحت أغصان القدود
وشرب الرى من خمر الثنايا وشم المسك من ورد الخدود
ونطفيتى حرار الوجه يوم الـفراق بمص رمان النهود
وبالخمر التى كانت لعاد ولـكن بعد محنتهم بهود
مدام فى قديم الدهر كانت تعد لـكل جبـار عنيـد
مدام لبس لى فيها إمام أصلى خلفه غير الوليـد

* * *

فصـــل

ملح ابن حجاج لا تنتهى حتى ينتهى عنها ، وفيما أوردته منها كفاية ، على أنها غيض من فيضها ، وقراضه من تبرها . ولـكن الـكتاب لا يتسع لأكثر من ذلك ، والله أسأل العفو والمغفرة .

* * *

أبو القاسم على بن جلبات

أحد أفراد الدهر فى الشعر ، وكنت أنشدت له لمعاً أوردتها فى النسخه الأولى ثم وجدتها منسوبة إلى غيره ، كقوله من الكامل :

برزت لنا تحت القناع الأزرق ليلا فعاد لنا كصبح مشرق
الوجـه بدر والقناع سماؤه والشعر بينهمـا كليل مطبق

ثم وقع إلى من شعره الصحيح قصائد فى الخليفه القادر بالله والوزير أبى النصر سابور بن أردشير ، فأخرجت غررها ، وهى سوى مايقع من شعره فى مجموع أشعار أهل العراق فى الوزير سابور ، وإذا سقت ذلك أكرر ذكر

ابن جلبات فى جملتهم .

قال أبو القاسم من قصيدة فى الخليفة القادر بالله [من الطويل] :

وفى الدهر عن مطل بما هو واعد فساخطه راض ، وشاكيه حامد
وأدركت الزى الخلافة بعدما تجهمها عن موقف الحق ذائد
رأت قادراً بالله لم يعد قدره مدى العفو عما رام باغ وحاسد
رأينا به العباس معنى وصورة فما عد عنا غائباً فهو شاهد
تقبله فضلا أشاد بذكره له قبله جد كريم ووالد
كذاك الأصول الزاكيات ذواهب إلى ما رأتها بالزكاء المحاتد
ومن يك لله المهيمن سعيه ينل ساعيا فى ظله وهو قاعد

ومنها :

فلله ما نأتى ولله ما ترى وما أنت فيه صادر الأمر وارد
ومليت من رب السماء فوائدا عدوك منها قبل سيفك فائد
فوالله ماندرى أليث ضبارم مفيت الأعادى أنت أم أنت عائد(١)
كذا الخلفاء الراشدون الأولى مضوا وأنت عليهم بالبقية زائد
فلا عولت إلا على مجدك العلا ولا انتسبت إلا إليك المحامد

وقال فى الوزير سابور بن أردشير [من الوافر] :

رويدك قد تعاليت اطلاعا على العلياء هما وارتفاعا
ونفسك لاترى ببلوغ مجد ـ وإن أوفى على النجم ـ اقتناعا
إذا ما خطة ضاقت عليه أشرت لها فأمعنت اتساعا
برأى ما رأته الشمس إلا تمنت أن تكون له شعاعا

(١) الضبارم : الأسد ، والرجل الجرىء على الأعداء ، على الاستعارة .

أذل بعزه صرف الليالى ورام عصيها حتى أطاعا
ندى وبسالة علما يقينا بأنهما به فى الخلق ذاعا
تكفل ذا نداك وما رأينا جوادا كاملا إلا شجاعا
ودونك كل بكر لم تملك سواك لها من الأنف افتراعا
رأت حسن اختراعك للمعالى فبارتها معانيها اختراعا
وها أنا ذا أرى لك كل وقت بيدع من مكارمك ابتداعا
براعى أمر ذا وتريش هذا فمالى لا أراش ولا أراعى ؟
فلا زالت لك الدنيا فناء ولا حل الفناء لها رباعا
فقد أضحى افتراق المجد فيمن حوته من الورى فيك اجتماعا

وله من أخرى فيه [من المتقارب] :

عدم ياوزير العلا والنهى تنال المنى وتوقى الحذارا
وراع اختلالى سراً ولا تراع رباء اختلالى جهارا
ولا تستمع خبراً طارئا عن المرء أو تبتليه اختبارا
ولا تحسبن كل عود يريك ما أنت مورمن القدح نارا
فما كل وحش يرى ضيغما ولا كل عود يسمى غفارا

وقال فيه [من الوافر] :

أبا نصر وأنت البحر طام على العافين جياش العباب
يعم مقام جنس من ليوث بفضل نهاه سطرا من كتاب

ومنها :

رآك لقصده أهلا . وأنى يرجى الغيث من غير السحاب ؟
وقد أظماه ورد سواك إلا ال أفل . وأى ورد من سراب ؟

وقال من أخرى [من الطويل] :

ويستبشر الإسلام أنك سالم وأن بقاء الملك باسمك دائم

وأن المعالى ما بنى لك ذو العلا وليس لما تبنى يد الله هادم

أنا الشمس إن لم تستبن عين ناظر ضيائى فإن الذنب للعين لازم

وما دمت بعد الله لى عنه رازقا فما أتظنى أنه لى حارم

وقال من أخرى [من البسيط] :

وأنت فرع زكاء الأصل منه . ولا يطيب إلا بطيب المنبت الثمر

وأنت بحر النهى ما للعقول إلى سواه مورد صفو ما له كدر

وأنت بيت الندى طافت بكعبته حجاجه . وبذاك الركن والحجر

وقد عرفت ولم تحدد بمنزلة والشيء يجهل علما وهو مشتهر

كالشمس تدركها الأبصار ظاهرة وحد منزلها بالغيب مستتر

والملك من بعد طول الكد فى دعة كالعين أغفت وقد أعيا بها السهر

إليك جاب الفلا عزم تمثل فى تحقيقه منك قبل المورد الصدر

فى كل طامية بالآل ظاميه تصدى بها النفس مايروى به النظر

إذا الركائب من أشباهها لعبت بعد المقيل تولى حثها الأثر

أبثها فيك آمالى فما انتظرت لفرط ما طويت ما كنت أنتظر

حتى إذا هى حلت من ذراك حمى قالت : إلى منتهى المجد انتهى السفر

ألست لى يا أبا نصر مدى أملى وأننى بك فى اللأواء منتصر

فمر زمانى لا ينتابنى بأذى فإنه لك فيما شئت مؤتمر

* * *

محمد بن الحسين الحاتمي

حسن التصرف فى الشعر ، موف على كثير من شعراء العصر ، وأبوه أبو على شاعر كاتب يجمع بين البلاغة فى النثر والبراعة فى النظم ، وله الرسالة المعروفة فى وفعة الأدهم ، وليس يحضرنى من شعره إلا بيتان هما عنوان محاسنه ، وهما [من الخفيف] :

لى حبيب لو قيل لى ما تمنى   ما تعديته ولو بالمنون
أشتهى أن أحل فى كل جسم   فأراه بلحظ كل العيون

* * *

ومما اخترته لابنه قوله من قصيدة فى الخليفة القادر بالله أمير المؤمنين استهلالها من الخفيف] .

حى رسم الغميم تحي الغميما   إن فقدت الهوى فحى الرسوما
واستمح مقلة الغمام على أطـــلاله ديمة أبت أن تدوما
نثرت عقد دمعها فغدا النو   ر بأعطاف روضها منظوما
هو مأوى الظباء إنساً ووحشا   ومحل الأسود خلقاً وخيما(١)
كل ريم يعطو فيصطاد ليثاً   عند ليث يسطو فيصطاد ريما
كم رعينا من البطاح وكأس الـــراح والأوجه الملاح نجوما
حين رضنا من التصابى جموحاً   وبعثنا من الوصال رميما
ودعتنا المنى إلى مرح الفتـــك ولـكننا أجبنا الحلوما
حين صرف الزمان كان اعتذارا   ورياح الخطوب كانت نسيما
قد وقفنا على الطلول طلولا   ومثلنا على الرسوم رسوما
وخلعنا على البكاء عنوناً   ونزفنا من الدموع جموما

(١) الخيم ــ بكسر الخاء المعجمة ــ السجية والطبع .

ومتى يجشم الظليم مداها في سراها فقد ظلمنا الظليما
وهي تبدى منها نجاراً ومن سيـــر الدجى مخلفا ومنى كريما
وإلى القادر الإمام قريت الـــبيد حرفا أنضى بهـا الديموما(١)
الإمام الماضي العزيم الذى را ح وأضحى على المعالى زعيما
وهو من أسرة هم رسموا الدهـــر ذرى المجد والمعالى قديما
وهم كالبحار جوداً وكالأنـــجم هدياً وكالسيوف عزيما

ومنها :

أنت أيدت بالخلافة ركن الـــشرع فارتد نهجه مستقيما
وذببت العـدو عنه ولولا ك بلا مرية لعـط أديمـا
أنت أنكحتنى الرجاء فقد أضـــحى ولوداً وكان قبل عقيما
دم تدم دولة المفاخر والمجـــد وحسن الزمان فى أن تدوما
والبس المهرجان ماابتسم الفجـــر وأهدى من الرياض نسيما

وقال [من الطويل] :

منازلهم لاشافهتك النوازل وأطلالهم حيـاك طل ووابل
كأن الربا لم تلبس الأرض حاليا ولا أخملت بالنور تلك الخمائل
نعرفتها واستنـكر الطرف أنهـا كما استنـكرت سقم المحب العواذل
وكم قطع ليل بعد ليل قطعته وسرح الكرى عن جفن عينى هامل
وقد مالت الجوزاء حتى كأنما بها راقص من سورة الكأس مائل
وخلت الثريا كف عذراء طفلة مختمة بالدر منها الأنامل
تخيلتها فى الأفق طرة جعبة ملوكية لم تعتلقها حمائل
كأن نبـالا ستة من لآلىء يوافى بهـا فى قبـة الأفق نائل

(١) الحرف : الناقة العظيمة ، أو المهزولة . والديموم والديمومة : الفلاة الواسعة

وعيش كنوار الرياض استرقته خلاساً ، وأحداث الليالى غوافل
لماما وأغصان الشبيبة رطبة وماء الصبا فى ورد خدى جائل
ويوم كحلى الغانيات سلبته حلى الربا حتى انثنى وهو عاطل
سبقت إليه الصبح والشمس غضه وصبغ الدجى عن مفرق الفجر ناصل
ونشوان من خمر الدلال سقبته شمولا فنمت عن هواه الشمائل
شكا ظمأ منه الموشح ، وارتوت بماء الصبا أردافه والخلاخل
إذ العيش مخضر الأصائل ناعم وإذ زبرج الدنيا خليل مواصل
وليل موشى بالنجوم صدعته بأبيض وشى صفحتيه الصيافل
إليك ، أمير المؤمنين ، ارتمت بنا بنات الفلا والمقربات الصواهل
إلى من له فى جبهة الدهر ميسم ومن سيفه فى مفرق الدهر سائل
شيم الحيا من كفه وهى لجه تشق جيوب القطر فيها الأنامل
ومن عودته المكرمات شمائلا فليس له عنها ، ولو شاء ، ناقل
وإن راسل الأعداء فالجرد رسله إليهم ، وأطراف العوالى الرسائل
بيوم عقيم يلقح البيض بأسه ولود المنايا وهو أشمط ناكل
إذا ما أسر النقع أنوار شمسه أذاعت بأسرار الحمام المناصل
فيا بدر لا تغرب ، ويا بحر لا تفض ويا نوء لا تخلف حياً منك هاطل
عظمت فهذا الدهر دونك همة وجدت فهذا القطر عندك ناخل

وقال فى الأمير شمس المعالى من الخفيف :

كم قلوب تحملت بالحمول ودموع طلت بتلك الطلول
واصطبار أضيع ما بين إيضا ع المطايا وفى المحل المحيل

ومنها :

وسقى بدر عود ضاء الـــدر من نور وجهه بالأفول

أثمرت وجنتاه روضاً جنى الـــورد يفتر عن غدير شمول
وإلى مسرح المكارم قابو س أراح الندى سوام العقول
فارس الكتب والكتائب والمنـــبر والخيل واليراع النحيل
تعب البيض والسلاهب والأر ماح والوفر والندى والعذول
وكهول أوهت كواهلها السمـــر تهادى إلى ابتغاء الدخول
يتعاطون بالصوارم كاسا ت المنايا على غناء الصهيل
كم يد للخطوب طالت على الأحـــرار قصرتها بباع طويل
فابق ما استعبر الغمام وما علـــل صبا نسيم روض عليل

* * *

الباب الثامن

فى تفاريق قطع من ملح المقلين

من أهل بغداد ونواحيها، والطارئين عليها من الآفاق، والمقيمين بها

القاضى ابن معروف

هو أبو محمد عبد الله بن أحمد بن معروف، وكان — كما قرأته فى فصل للصاحب — شجرة فضل، عودها أدب، وأغصانها علم، وثمرتها عقل، وعروقها شرف، تسقيها سماء الحرية، وتغذيها أرض المروءة، وقد تقدم بعض ذكره فى منادمة المهلبى وغيره من الوزراء. وجمعه بين جد العلم وهزل الظرف، وخشونة الحكم، ولين قشرة العشرة. وكان — على تقلده قضاء القضاة دفعات بالحضرة واشتغاله بجلائل الأعمال من أمور المملكة — يقول شعراً لطيفا فى الغزل، يتعاوره القوالون والقيان ملحنا.

وقرأت لأبى إسحاق الصابى فصلا من كتاب عن الوزير ابن بقية إلى ابن معروف، واستحسنته جداً فى وصف نظمه ونثره، وهو:

وصل كتاب قاضى القضاة، بالألفاظ التى لو مازجت البحر لأعذبته، والمعانى التى لو واجهت دجى الليل لأزاحته وأذهبته، ولم أدر بأى مذاهبه فيها أعجب، ولا من أيها أتعجب، أمن قريض عقوده منظومة، أم من ألفاظ لآلئها منثورة، أم من ولوجها الأسماع سائغة، أم من شفائها العلة نافعة؟ وأما الأبيات التى رسم التقدم بتلحينها، وقال بمذهب أهل الحجاز فيها، فما أعرف كفؤاً لمثلها ملحنا، ولو كان إسحاق الموصلى، ولا مجيبا ولو كان امرأ القيس الكندى، ولا أرضى لها مهراً إلا حبات القلوب، ولا مجالا إلا أرجاء الصدور، وقد جعل الله فيها من الفضل ما يشغلنا حفظه

عن تعاطى الإجابة عنـه ، وقرن بها من الأطراب ما يكفينا تأمله عن صياغة الألحان له .

ولأبى إسحاق شعر كثير فيـه ، فمن ذلك قوله فى افتتاح قصيدة [من البسيط] :

أقسمت بالله ما يرجى لمعروف فى الحادثات سوى القاضى ابن معروف

ولابن حجاج فى بعض من كان يناوئ ابن معروف من الحكام [من مخلع البسيط] :

يا أيها الحاكم الرقيع ذقنك فى سلحتى نقيع
إن ابن معروف فى محل مرامـه منعب منيع
فضلـه الله واجتباه للأمر واختاره المطيع
هـذا له وحده فقل لى من أنت فى الناس ياوضيع

وقد أوردت ما حاضرت به من مشهور ما هو من شرط الكتاب من غرره ، فمنها قوله من قصيدة [من الطويل] :

ولم تسلنى الأيام عنـك بمرها بلى زادنى بعد اللقاء تتيما
وقد كنت لا أرضى من النيل بالرضا وآخذ ما فوق الرضا متلوما
فلما تفرقنا وشطت بنا النوى رضيت بطيف منـك يأتى مسلما

وقال [من الكامل] :

لو كنت تدرى ما الذى صنع الهوى والشوق بالجسد النحيل البـالى
لهجرت هجرىَ واجتنبت تجنبى ووصلت من بعد الصدود وصالى

وقال [من الطويل] :

وما سر قلبى منذ شطت بك النوى نعيم ولا كأس ولا متصرف
وما ذقت طعم المـاء إلا وجدته سوى ذلك الماء الذى كنت أعرف

ولم أشهد اللذات إلا تكلفا وأى نعيم يقتضيه التكلف؟

وقال [من مجزوء الكامل] :

احذر عـدوك مرة واحذر صديقك ألف مره

فلربمـا انقلب الصـديـــق فكان أعرف بالمضره

* * *

أبو الفرج الأصبهانى

على بن الحسين الأموى الأصبهانى الأصل ، البغدادى المنشأ . وكان من أعيان أدبائها وأفراد مصنفيها . وله شعر يجمع إتقان العلماء ، وإحسان ظرفاء الشعراء ، والذى رأيته من كتبه : كتاب القيان ، وكتاب الأغانى ، وكتاب الإماء الشواعر ، وكتاب الديارات ، وكتاب دعوة النجار ، وكتاب مجرد الأغانى ، وكتاب أخبار جحظة البرمكى ، وما أشك فى أن له غيرها ، وكان منقطعاً إلى المهلبى الوزير ، كثير المدح له ، مختصا به . فمن ذلك قوله فيه من قصيدة [من الطويل] :

ولمـا انتجعنا لائذين بظله أعان وما عنى ومن وما منا

وردنا عليه مقترين فراشنا وردنا نداه مجدبين فأخصبنا

وله من قصيدة يهنئه بمولود له من سرية رومية [من الكامل] :

أسعد بمولود أتاك مباركا كالبدر أشرق جنح ليل مقمر

سعد لوقت سـعادة جاءت به أم حصان من بنات الأصفر

متبجح فى ذروتى شرف الذرى بين المهلب منتماه وقيصر

شمس الضحى قرنت إلى بدر الدجى حتى إذا اجتمعا أتت بالمشترى

أخذه من مصراع ابن الرومى [من السريع] :

شمس وبدر ولدا كوكبا

وقال من قصيدة فيه عيدية [من الطويل] :

إذا ما علا فى الصدر للنهى والأمر ... وبثهما فى النفع منـــه وفى الضر
وأجرى ظبي أقلامه وتدفقت ... بديهتـه كالمستمد من البحر
رأيت نظـام الدر فى نظم قوله ... ومنثوره الرقراق فى ذلك النثر
ويقتضب المعنى الـكثير بلفظه ... ويأتى بمـا تحوى الطوامير فى سطر
أيا غرة الدهر ائتنف غرة الشهر ... وقابل هلال الفطر فى ليـلة الفطر
بأيمن إقبـال وأسـعد طائر ... وأفضل ما ترجوه فى أفسح العمر
مضى عنك شهر الصوم يشهد صادقا ... بطهرك فيـه واجتنابك للوزر
فأكرم بمـا خط الحفيظان منهما ... وأثنى به المثنى وأطرى به المطرى
وزكتك أوراق المصاحف وانتهى ... إلى الله منها طول درسك والذكر
وقبضك كف البطش عن كل مجرم ... وبسطـكها بالعرف فى الخير والبر
وقد جاء شوال فشالت نعـامة الـــصيام وأبدلنا النعيم من الضر
وضجت حبيس الدن من طول حبسها ... ولامت على طول التجنب والهجر
وأبرزها من قعر أسود مظلم ... كإشراف بدر مشرق اللون كالبدر
إذا ضمها والورد فوه وكـفه ... فلا فرق بين اللون والطعم والنشر
وتحسبه إذ سلسل الـكأس ناظماً ... على الـكوكب الدرى سمطا من الدر

وقال يهنئه بالعافية [من البسيط] :

أبا محمــد المحمود يا حسن الـ ... إحسان والجود يا بحر الندى الطامى
حاشاك من عود عواد إليك ومن ... دواء داء ومن إلمـام آلام

وقال فيه [من المتقارب] :

تأوب عينى طيف ألم ... لظالمة طرقت فى الظلم
تخيل منهـا خيال سرى ... فيسلب حلمى بذاك الحلم

فما أنس لا أنس إقبالها تميس بغصن سقته الديم
وقد بدرت مثل بدر الدجى سما فى السماء علواً وتم
على رأسها معجر أزرق وفى جيدها سبحة من برم(١)
ولم ترتقب لطلوع الرقيب ولم تحتشم لطلوع الحشم
لقد سؤتنى بانظام السرور وأسقمتنى يا شفاء السقم
أهذا المزار أم الازورار وإلمامكم ألم أم لمم(٢)
ويوم كمثل رداء العرو س حسناً وطيباً إذا ما يتم
خلعت عذارى ولم أعتذر ولم أحتشم فيه من يحتشم
وقابلت فيه صفاء الشمال بصفو الشمول وشجو النغم
فداؤك نفسى هذا الشتاء علينا بسلطانه قد هجم
ولم يبق من نشبى درهم ولا من تبانى إلا رمم
يؤثر فيها نسيم الهواء وتخرقها خافيات الوهم
وأنت العماد ونحن العفاة وأنت الرئيس ونحن الخدم

وله فيه [من المتقارب] :

فداؤك نفسى من الحادثات وريب الردى وحلول الحذر
فعالك تكبر عن موعد ووعدك سبق أن ينتظر
وكفك تهمى على المعتفين بفيض عفا وصفا من كدر
إذا عاقك الشغل عنى ولم أذكرك نفسى خوف الضجر
تسكعت فى حسرة لا أجو ز منها إلى عضد أو وزر
رهنت نيابى وحال القضا ء دون القضاء وصد القدر
وهذا الشتاء عسوف على كما قد تراه فبح الأثر

(١) البرم : كل مافيه لونان مختلطان ، وحبل للمرأه مزين بجوهر
(٢) فى الأصول * وإلمامكم بنا ألم أم لمم * ولا يستقيم به الوزن .

يغـادى بصر من العاصفا ت أو دمق مثل وخز الإبر
وسكان دارى ممن أعو ل يلقين من برده كل شر
فهذى تحن ، وهـذى تئن وأدمع هاتيك تجرى درر
إذا ما تململن تحت الظلام تعللن منـك بحسن النظر
ولاحظن ربعك كالممحليـــن شاموا البروق رجاء المطر
يؤملن عودى بمـا ينتظرن كما يرتجى آيب من سفر
فأنعم بإنجـاز ما قد وعدت فما غـيرك اليوم من ينتظر
وعش لى وبعدى فأنت الحيا ة والسمع من جسدى والبصر

وقال من أخرى فيه [من البسيط] :

يا فرجة الهم بعد اليأس والوجل يا فرحة الأمن بعد الروع والوهل
اسلم ودم وابق واملك وانم واسم ورد وأعط وامنع وضر وانفع وصل وصل

وقال فى وصف الخمر من قصيدة [من الخفيف] :

وسلاف كالتبر أذكى من المســـك وأصفى صبغا من الزعفران
وكأن اليـــد التى تحتويها من صبيب العقيان فى دستان

وقريب منه قوله [من الطويل] :

وبكر شربناها على الورد بكرة فكانت لنا وردا إلى ضحوة الغد
إذا قام مبيض اللباس يديرها توهمتـه يسعى بكم مورد

والأصل فيه قول أبى الشيص [من الطويل] :

سقانى بها والليل قد شاب رأسه غزال بحنـاء الغزالة مختضب

وقال فى أبى سعيد السيرافى [من الخفيف] :

لست صدراً ولا قرأت على صد ر ولا علمك البـكى بكاف
لعن الله كل شعر ونحو وعروض يجىء من سيراف

وقال فى القاضى الأيذجى ، وكان التمس منـــه عكازة فلم يعطه إياها [من البسيط] :

اسمع حديثى تسمع قصة عجبا لا شىء أعجب منها تبهر القصصا
طلبت عكازة للوحل تحملنى ورمتها عند من يحبى العصا فعصى
وكنت أحسبه يهوى عصاعصب ولم أخل أنه صب بكل عصا

وكتب إلى القاضى التنوخى يلتمس منه حبرا [من الرجز] :

يا أيها القاضى السنى الذكر ومن علا على قضاة العصر
قد اجتمعنا فى محل وعر ومنزل ضنك ومثوى قفر
خال من الخير كثير الشر نلقى زمانى ألم وضر
من ليل بق ونهار حر فقد فقدت جلدى وصبرى
وليس لى عند مجىء فكرى سوى تشكى فادحات أمرى
بقلم يخطها فى سطر إلى فتى ذى أدب وقدر
فاسمع لشكواى وجد بعذر قد صفرت محبرتى من حبر
ولم أجده مشترى فأشرى فجد حباك الله طول العمر
بملئها حبرا وفز بشكرى من بين نظم حسن ونثر
ورب مجـــد ناسق وفخر نالهما الحر ببذل النزر

* * *

أبو الحسن بن مقلة

من أبناء الوزراء وبقية بنى مقلة ، يقول [من الخفيف] :

لست دا ذلة إذا عضنى الدهـــر ولا شامخا إذا وافانى
أنا نار فى مرتقى نفس الحا سد ماء جار مع الإخوان

وقال من قصيدة [من الكامل] :

وإذا رأيت فتى بأعلى رتبة في شامخ من عزه المترفع
قالت لى النفس العروف بفضلها : ما كان أولانى بهذا الموضع

وقال [من الكامل] :

الدهر يلعب بالفتى فيهيصه طوراً ، ويجبر عظمه فيراش
وكذا رأينا الدهر فى إعراضه ينحى وفى إقباله ينتاش

وقال [من المتقارب] :

أدل فيا حبذا من مدل ومن ظالم لدمى مستحل
إذا ما تعزز قابلته بذل ، وذلك جهد المقل

وقال [من الرمل] :

أنت يا ذا الخال فى الوجنة مما بى خال
لا تبالى بى ولا تخطرنى منك ببال
لا ولا تفكر فى حا لى وقد تعرف حالى
أنا فى الناس إمامى وفى حبك غالى

* * *

أبو الحسن على بن هرون بن المنجم

ذو نسب عريق فى ظرفاء الأدباء ، وندماء الخلفاء والوزراء ، وفى أسرته يقول الصاحب [من الكامل] :

لبنى المنجم فطنة لهبيه ومحاسن عجمية عربيه
مازلت أمدحهم وأنشر فضلهم حتى عرفت بشدة العصبيه

ولذكرهم فى القسم الثالث من هذا الكتاب مكان فى أصحاب الصاحب وشعرائه،

* * *

فأما أبو الحسن، الذى هو كبيرهم ، فقداقتصرت من ذكره واقتصاص أمره على نبذ حكاها الصاحب فى كتابه المعروف بالروزنامجه ، مما اتفق له مع أبى محمد الوزير المهلبى حين ورد الصاحب بغداد ، وقد أرسل يحكيها لأستاذه ابن العميد ، ثم أوردت ما علق بحفظى من ملحه

فصل

استدعانى الأستاذ أبو محمد فحضرت وأبناء المنجم فى مجلسه ، وقد أعدا قصيدتين فى مدحه فمنعهما من النشيد لأحضره فأنشدا قعوداً وجودا بعد تشبيب طويل، وحديث كثير: فإن لأبى الحسن رسما أخشى تكذيب سيدنا إن شرحته ، وعتابه إن طويته ، ولأن أحصل عنده فى صورة متزيد، أحب إلى من أن أحصل عنده فى رتبة مقصر، يبتدىء فيقول ببحة عجيبة ، بعد إرسال دموعه، وتردد الزفرات فى حلقه، واستدعائه من جؤذر غلامه منديل عبراته ، والله والله . وإلا فأيمان البيعة تلزمه بحلها وحرامها، وطلاقها وعتاقها، وما ينقلب إليه حرام وعبيده أحرار لوجه الله تعالى ، إن كان هذا الشعر فى استطاعة أحد مثله ، أو اتفق من عهد أبى دؤاد الإيادى إلى زمان ابن الرومى لأحد شكله، بل عيبه أن محاسنه تتابعت ، وبدائعه ترادفت ، فقد كان فى الحق أن يكون كل بيت منه فى ديوان يحمله ويسود به شاعره ، ثم ينشد ، فإذا بلغ بيتا يعجب ويتعجب من نفسه فيه قال : أيها الوزير من يستطيع هذا إلا عبدك على بن هرون بن على بن يحيى بن أبى منصور المنجم جليس الخلفاء وأنيس الوزراء ، ثم ينشد الابن والآب يعوذه ويهتز له ، ويقول أبو عبد الله استودعه الله ولى عهدى وخليفتى من بعدى ، ولو اشتجر اثنان من مصر وخراسان لمارضيت لفصل ما بينهما

سواه ، أمتعنا الله بهورعاه ، وحديثه عجب، وإن استوفيته ضاع الغرض الذى قصدته، على أنه أيد الله مولانا من سعة النفس والخلق ووفور الأدب والفضل وتمام المروءة والظرف بحال أعجز عن وصفها ، وأدل على جملتها أنه مع كثرة عياله واختلال أحواله طلب سيف الدولة جاريته المغنية بعشرين ألف درهم أحضرها صاحبه ، فامتنع من بيعها ، وأعتقها وتزوج بها

فصل

وسمعت عنده أبا الحسن بن طرخان، وقد نمى إلى سيدنا خبر ابنه وحذقه والفتى يبرز عليه مع التمسك بمذهبه ، وليس بالعراق ولا شيء من الآفاق طنبورى يشاكله أو يقاربه . ومما يغنى به من شعر أبى الحسن ويحلف على الرسم أن لا مدانى له فيه [من الكامل] :

بينى وبين الدهر فيك عتاب سيطول إن لم يمحه الإعتاب

يا غائباً بوصاله وكتابه هل يرتجى من غيبتيك إياب

وإذا بعدت فليس لى متعلل إلا رسول بالرضا وعتاب

وإذا دعوت مساعداً فهو المنى سعد المحب وساعد الأحباب

لولا التعلل بالرجاء تقطعت نفس عليك شعارها الأوصاب

لا يأس من روح الإله فربما يصل القطوع وتحضر الغياب

إلى ههنا من كتاب الروزنامجه

وقرأت للصابى فصلا يشتمل على ذكره وبيتين من شعره ، وهو : قد شغل قلبي أيد الله سيدنا ما بلغنى من تألمه من قدمه ، وأضر بى وبالأحرار انقطاعه بذلك عن مساعى كرمه . وأقول له ، ما أنشدنيه على بن هرون بن المنجم لنفسه من قصيدة كتب بها إلى أبى الحوارى ، وقد وثبت رجله من عثرة لحقته من الخفيف :

كيف نال العثار من لم يزل منــــه مقيلا من كل خطب جسيم
أو ترقى الأذى إلى قدم لم تخط إلا إلى مقـام كريم

وقال فى قدح أصفر [من الرجز] :

وقدح مورس السربال من نقشه قبل المدام حال
* تحسبه ملآن وهو خال *

أخذ معنى قوله * من نقشه قبل المدام حالى * قريبه أبو محمد بن المنجم فقال من قصيدة فى وصف دار الصاحب [من الطويل] :

وأبوابها أثوابها من نقوشها فلا ظلم إلا حين ترخى ستورها

ولقد أحسن السرقة وجود اللفظ وزاد فى المعنى

* * *

الأحنف العـكبرى أبو الحسن عقيل بن محمد العكبرى

شاعر المـكديين وظريفهم، ومليح الجملة والتفصيل منهم. وقرأت للصاحب فصلا فى ذكره فأوردته ، وهو : لو أنشدتك ما أنشدنيه الأحنف العكبرى لنفسه ، وهو فرد بنى ساسان اليوم بمدينة السلام ، وحسن الطريقة فى الشعر ، لامتلأت عجباً من ظرفه ، وإعجاباً بنظمه ، ولا أقل من إيراد موضع افتخاره فإنه يقول [من الهزج] :

على أنى بحمد اللـــه فى بيت من المجـد
بإخوانى بنى ساسا ن أهل الجد والحـد
لهم أرض خراسان فقاشان إلى الهند
إلى الروم إلى الزنج إلى البلغار والسند
إذا ما أعـوز الطرق على الطراق والجند
حذارا من أعاديهم من الأعراب والـكرد

قطعنا ذلك النهج بلا سيف ولا غمد
ومن خاف أعاديه بنا فى الروع يستعدى

ولهذا البيت الأخير معنى بديع ، وتفسيره : يريد أن ذوى الثروة وأهل الفضل والمروءة إذا وقع أحدهم فى أيدى قطاع الطريق وأحب التخلص ، قال : أنا مكدى ، فانظر كيف غاص ، وأبرز هذا المعنى المعتاص . إلى ههنا كلام الصاحب

وفى هذه القصيدة :

وقالوا قد سلا عنك وقد حال عن العهد
ولا والله ما أسلو ولكن قل ما عندى

وأنشدنى على بن مأمون المصيصى قال : أنشدنى الأحنف لنفسه [من الخفيف]:

عشت فى ذلة وقلة مال واغتراب فى معشر أنذال
بالأمانى أقول لا بالمعانى فغذائى حلاوة الآمال
لى رزق يقول بالوقف فى الـرأى ورجل تقول بالاعتزال

وقال [من البسيط] :

رأيت فى النوم دنيانا مزخرفه مثل العروس تراءت فى المقاصير
فقلت جودى فقالت لى على عجل إذا تخلصت من أيدى الخنازير

وقال [من البسيط] :

العنكبوت بنت بيتا على وهن تأوى إليه وما لى مثله وطن
والخنفساء لها من جنسها سكن وليس لى مثلها إلف ولا سكن

وقال [من البسيط] :

قد قسم الله رزقى فى البلاد فما يكاد يدرك إلا بالتفاريق
ولست مكتسبا رزقاً بفلسفة ولا بشعر ولكن بالمخاريق

والناس قد علموا أنى أخو حيل فلست أنفق إلا فى الرساتيق

وقال [من الخفيف] :

قال رؤيا المنام عندك حق قلت هيهات كل ذاك بخار

ليت يقظانهم يصح له الأمـــر فـكيف المغـط والنخار

وقال [من الهزج]

سرير ت بماخـور على دف وطنبور

وصوت الطبل كردم طع وصـوت النـاى طلير

فصرنا من حمى البيت كأنا وسـط تنور

وصرنا من أذى الصفع كمثـل العمى والعـور

لقد أصبحت مخموراً ولـكن أى مخمـور

وقال من قصيدة [من الوافر]

ترى العقيان كالذهب المصفى تركب فوق أثفار الدواب

وكيسى منـه خلو مثل كفى أما هــذا من العجب العجاب

وقال [من مجزوء الرمل] :

قام للشقـوة أيرى وجرى بالنحس طيرى

وولى حـل سراويـــلك يا مولاى غيرى

وتقرأت علينـا كسعد بن جبير

أنرى قد عقر الـــناقة يا مولاى أيرى

ليس لى منك سوى صـ ـحك الله بخير

ابن المصب الملحى

قد أجريت ذكره عند ذكر السرى الرفاء ، وكان يتطايب فى المداخلة والمعاشرة ، ويقول شعرا خفيف الروح .

كتب إليه ابن سكرة [من الخفيف] :

يا صديقاً أفادنيه زمان فيه ضن بالأصدقاء وشح
بين شخصى وبين شخصك بعد غير أن الخيال بالوصل سمح
إنما ب ... التألف منا أنى سكر وأنك ملح

فأجابه من أبيات منها [من الخفيف] :

هل يقول الإخوان يوماً لخل شاب منه محض المودة قدح
بيننا سكر فلا تفسدنه أو يقولون بيننا ويك ملح

وقال فى قاض [من الهزج] :

لنا قاض له وجه على أخذ الرشا عابس
ولكن له أيرا يدق الرطب واليابس

وقال [من مجزوء الرمل] :

ذرفت عين الغمام فاستهلت بسجام
وبكى الإبريق فى الكأس بدمع من مدام
فاسقنى دمعاً بدمع من مدام وغمام
واعص من لامك فيه ليس ذا وقت الملام

أبو على الحسن بن على الخالع

شاعر مفلق من شعراء الوزير أبى نصر سابور بن أردشير . ولذكره موضع آخر فى الباب التاسع ، ومن ملح شعره قوله من أبيات [من الخفيف]

اسقنا من شرابك الصرف نمـــزجه بماء من الثنايا زلال
بنت كرم كأنها خجلة الخـــد تبدت فى حلة من دلال

وقال [من مجزوء الكامل]

هو معلم لهواك فاعلم وهى الرسوم كما ترسم
قف مطلق العبرات محـــتبس الصبابة يا متيم
حتى ترى دباج خـد ك من دموعك فيه معلم
واذكر زمان خلاعة لك فى مغانيه تقدم
إذ أنت فى مجموع شمـــل الغانيات به مقسم
يثنى عناقك من سعا د ساعداً عبلا ومعصم
وتصير من نعم إليـــك معاطف الغصن المنعم
أرعيت ألحاظى بمو سى الربى خضل موشم
متضوع الأرجاء من نفس الشمال إذا تنسم
ألقت بكل قراره فيه يد الأنواء درهم
والأقحوان الغض من خجل الشقائق قد تبسم
فكأنما رباه أخـــلاق الوزير وقد تكرم
يا من إليه مقالد الـــعلياء عن حق تسلم
مات السماح فكنت فى إحيائه عيسى ابن مريم

* * *

الشيخ أبو محمد عبد الله بن محمد النامى الخوارزمى

أنا أختم هذا الباب بذكر من هو للعلم مجمع ، وللأدب مفزع . وإليه الرحلة اليوم ببغداد فى تدريس كتب الشافعى رحمه الله ، مع الشيخ أبى حامد الإسفرائينى أيده الله وله لسان يستوفى أقسام الفصاحة ، ويجمع بين العذوبة وحسن العبارة والبراعة ، وشعر يشرف صاحبه ، ويأخذ من القلب بمجامعه كقوله [من الطويل] :

أيا زائر البيت العتيق وتاركى قتيل الهوى لو زرتنى كان أجدرا
تحج احتساباً ثم تقتل عاشقاً فديتك لا تحجج ولا تقتل الورى

وكقوله ، وكتب به إلى أبى سعيد بن أبى بكر الإسماعيلى [من الخفيف] :

حاش لله أن أزول عن العهـــد وإن زاد سيدى فى الجفاء
أنا ذاك الذى عرفت قديمـا لابس للصديق ثوب الوفاء

وأنشدنى أبو الحسن الكرخى ، قال : أنشدنى الشيخ أبو محمد لنفسه [من الكامل] :

يا عين منك شكايتى وبلائى أنت التى أسلمتنى لشقائى
لما نظرت إلى محاسن وجهه أشعلت نار الشوق فى أحشائى
ثم اعتبرت لتخدعينى بالبكا فكشفت ذاك السر للأعداء
فتأملى ماذا جنيت وأمسكى بالله عنا معشر الغرباء

وقال : أنشدنى أيضا لنفسه [من المنسرح]

عجبت من معجب بصورته وكان من قبل نطفة مذره
وفى غد بعد حسن صورته يصير فى الأرض جيفة قذره
وهو على عجبه ونخوته ما بين ثوبيه يحمل العذرة

وقال : أنشدنى أبو محمد الحامدى له بيتين فى سابور استملحتهما جداً ، وهما [من مجزوء الكامل] :

سابور ، ويحك ! ما أخســـك ! بل أخصك بالعيوب !
وجـه قبيح فى التبســـم كيف يحسن فى القطوب

وأنشدنى أبو حفص عمر بن على الفقيه ، قال : أنشدنى أبو يعلى الواسطى قال : أنشدنى النامى لنفسه [من البسيط] :

قالت له ورأى فى وجهها أثراً فازور عنه كئيب القلب مدهوشا
ما حسن ديباجة الخد المليح إذا لم يحك فى حسنه الديباج منقوشا

قال : وأنشدنى أبو على الكندى ، قال : أنشدنى النامى لنفسه ، وقد أهدى هدية مهرجانية إلى بعض الرؤساء [من المنسرح] :

هدية المهرجان واجبـة على السلاطين لا على الفقها
وإن جرى عبدكم على سنن من التهادى فـا أتى سفها
حمل عـــلى أننى لكم قلم قط برأسين يكشف الشبها

الباب التاســـع

فيما أخرج من مجموع أشعار أهل العراق وغيرهم

فى الوزير أبى نصر سابور بن أردشير

منهم من تقدم ذكره ومنهم من تأخر ، ومنهم من لايجرى له ذكر فيما سواه

قال السلامى من قصيدة فيه وقد أعيد إلى الوزارة وخلع عليه [من البسيط]

اليوم طبق أفق الدولة النور ... وأوضحت فلق الملك التباشير
فكل عين إليك اليوم طامحة ... وكل قلب بما خولت مسرور
أقبلت فى خلع السلطان زينها ... ذيل على أنجم الجوزاء مجرور
كأنما نسجتها فى الرياض يدا ... غيث فزونقها بالحسن مغمور
ورحت فوق جواد كالعقاب جرى ... والجود فى سرجه والمجد والخير

محمد بن أحمد الحمدونى من قصيدة له فيه [من البسيط]

وفى الظعائن مهضوم الحشى غنج ... يخطو بأعطاف نشوان الخطا ثمل
ظبى مشى الورد من لحظى بوجنته ... مشى اللواحظ من عينيه فى أجلى
ومترف الترب مجاج الندى عطر ... مفوف النور موسوم الثرى خضل
عد شام جدوله فيها مهندة ... فاهتز مثل اهتزاز الخائف الوجل
إذا نسيم الصبا باحت سرائره ... أصغى إليهن سمع الغصن بالميل
والروض تسحب فيه السحب أردية ... مظاهرات عليها أظهر الحلل
يا مؤنس الملك والأيام موحشة ... ورابط الجأش والآجال فى وجل
مالى وللأرض لم أوطن بها وطناً ... كأننى بكر معنى سار فى المثل
لو أنصف الدهر أولانت معاطفه ... أصبحت عندك ذا خيل وذا خول
لله لؤلؤ ألفاظ أساقطها ... لو كن للغيد ما استأنسن بالعطل
ومن عيون معان لو كحلت بها ... نجل العيون لأغناها عن الكحل

سحر من الفكر لو دارت سلافته　　على الزمان تمشى مشية الثمل

أبو الفرج الببغاء [من البسيط]

لمت الزمان على تأخير مطلبى　　فقال ما وجه لومى وهو محظور

فقلت لو شئت ما فات الغنى أملى　　فقال أخطأت بل لو شاء سابور

عذ بالوزير أبى نصر وسل شططاً　　أسرف فإنك فى الإسراف معذور

وقد تقبلت هذا النصح من زمنى　　والنصح حتى من الأعداء مشكور

وما لطرف رجائى عنك منصرف　　وهل يفارق جرم المشترى النور

ابن بابك من قصيدة [من الخفيف] :

شمت برق الوزير فانهل حتى　　لم أجد مهرباً إلى الإعدام

وكأنى وقد تقاصر باعى　　خائض فى عباب أخضر طامى

مستفيض الندى كريم السجايا　　عاجل العفو آجل الانتقام

كذب الزاعمون أن المعالى　　فى صدور المثقفات الدوامى

إنما المجد والندى والمساعى　　والردى فى أسنه الأقلام

ابن لؤلؤ من قصيدة [من المتقارب] :

خصال العلا كلها من خصالى　　وصوب الحيا قطره من شمالى

خلقت كما شاءت المكرمات　　بعيد النظير فقد المثال

تنزهنى عن دنايا الأمور　　نفسى وتندبنى للمعالى

فللبأس طول يدى والحسام　　وللمجد والحمد جاهى ومالى

وحرف تعرس فيها الرياح　　إذا ما صعت للونى والكلال

أجرت تعوج مثل القسى　　يحملن ركباً كمثل النبال

ومجنوبه فى حواشى المطى　　ينفضن أعرافها كالسعالى

طلبن الوزير فتى أردشير　　صنو الندى وحليف المعالى

بعيد مدى الجود لا يتقى مؤمله بكريه المطال
أغر يرى لك ما لا تراه لديه ويعطيك قبل السؤال
ويهتز من طرب للسما ح هز الصبا للرماح الطوال

الخليع النامى من قصيدة [من الكامل] :

فى أى منزل صبوة لم أنزل وبأى منطق عاذل لم أعذل
ما حق هذا الربع إذ فيه الهوى أن يستضام بوقفة المستعجل
كل إن حضرت إلى الدموع سؤاله فالدمع أفصح من سؤال المنزل
يا هذه إن لم يكن لك نائل فعدى وإن لم تجملى فتجملى
جودى فإن لم تحسنى فتعلمى الـ إحسان من هذا الوزير المفضل
أعدى الزمان ندا أبى نصر فلو سمناه أن يهب الصبا لم يبخل
أرضى الديانة والصيانة حكمه بكفايتى قلم وقائم منصل
يا موئل الراجى وهل للحائم الـ صادى سوى قطر الحيا من موئل
أسعد بإقبال وعيد قابلا بك شخص سعد ليس بالمترحل
وتمل فضلك فهو أفخر ملبس وتبو عزك فهو أمنع معقل
وأخبر متى ماشئت إخلاصى تبن لك نية المصفى من المتجمل
ما قلت قط لمنعم هب لى وفى تحصيل رأيك قد رغبت فهبه لى
فالآن قد أوفى النجاح على المنى بسعادتى فى الأصل لا بتوصلى
وعلمت أنى مقبل وعلامة الـ إقبال أنى عذت منك بمقبل

الحاتمى من أرجوزة [من مجزوء الرجز] :

أولى بعفو من قدر لا عفو عن جان أصر
لم يجن ذنباً من أقر الصبر عنوان الظفر
أولى بفوز من صبر المجد فى خوض الخطر

كفى العيان المختبر أولى بعرف من شكر
شكر الرياض للمطر إن يطو معروف نشر
الحمد خير مدخر إن ساءك الزمان سر
ما كسر الدهر جبر من زجر الهوى انزجر
بادر من العيش الغرر ما العيش إلا المبتدر
لهفى لعصر مدكر إذ غصن عيشى مهتصر
آصاله مثل البكر لم تفترع منه العذر
مر كلمح بالبصر وأرج النشر عطر
غصن ودعص وقمر تحت ظلام من شعر
ذى ريقة تشكو الخصر شيبت بمسك وسكر
محيية ميت الوطر وسابح سامى النظر
أسرع من وشك القدر وخاطر الوهم خطر
وسائل من منحدر وقبلة على حذر

ومنها:

أوفى على كل البشر سابور مجداً وأثر
وإنما العضب الذكر أعاره ما لم يعر(١)
رأياً كمحتوم القدر فانصاع كالنجم انكدر
يحمد إن ذم المطر تهفو الرواسى إن زفر
فى كفه نفع وضر ولحظه خير وشر
والدهر طوع ما أمر يجرى بما ساء وسر
ذو خلق سهل يسر كمثل نوار الزهر
وشبه أنواء المطر يجني أفانين الثمر

---

(١) فى الأصول « إن ما العضب الذكر » ولا يتم الوزن

من بالغ ومنتظر كالأمن من بعد الحذر
والخير فى أعقاب شر وكالكرى غب السهر
عمرت ماشاء الوطر فأنت للملك وزر
دونك عذراء الفقر تتلى كما تتلى السور

الخالع من قصيدة [من البسيط] :

أفى غلائلها غصن من البان يهتز فى نعمة أم قد إنسان
هيفاء مرهفة الأعطاف إن خطرت أهدت نشاط الهوى من خطو كسلان
تبسمت فظننا أن مبسمها فيه من اللؤلؤ المجلو سمطان
وأومأت بيمين لو دنت لصمى لأفسدت صالحاً من نسك إيمانى
مقسم العيش فى تحصيل مأثره سياره يتقاضاها لباسان
فللدروع عليه يوم ملحمه والمدرائع منه يوم ديوان
طرر الطلاقة فى ديباج غرته للبشر فيها إشارات بألوان
كأن ماء الحياء الغمر مسكباً فيها يفيض على نوار بستان

محمد بن بلبل من قصيدة [من الكامل] :

أضحى الرجاء لبرق جودك شائماً وارتد روض الحمد وحفاً ناعما(١)
سميت نفسى إذ رجوتك واثقاً ودعوتها لك مذ مدحتك خادما
فمتى أقوم بشكر نعمتك التى عقدت على من الخطوب تمائما
لا زال جدك للعدو مزاحماً يعلو وآنف حاسديك رواغما
واسعد بعيد قد حبتك سعوده عزا يكون مع السعادة قادما

أحمد بن على المنجم من قصيدة [من الخفيف] :

أيهذا الوزير محصت بالإحسان حور الدنيا ووزر الزمان

(١) الوحف — بفتح فسكون — الغزير من النبات والشعر

فاشرب الراح راحة القلب أحت الـ ـروح روح المكروب أس الأمانى
وابغ ما شئت فى نعيم تراه لك أنموذجا لعيش الجنان

السفيانى من قصيدة [من الكامل] :

روض المنى بك عاد غضا مونقا واهتز غصن المجد فيه وأورقا
وابيض وجه الدهر بعد سخومه وارتد بعد ظلامه فتألقا
فت الأنام فما يجاريك امرؤ فى حلبة الفخر المنيع المرتقى
ولو اغتدى ظهر المجرة راكباً وغدا بأذيال السهى متعلقا
أجرى فكان مسبقاً وسما فكا ن مروفا وسطا فكان محققا
وشأى فكان محدقا وهمى فكا ن مطبقا وعفا فكان موفقا

أحمد بن المغلس من قصيدة [من الخفيف] .

أبروق متلألأت أم ثغور ولييال دجت لنا أم شعور
وغصون تأودت أم قدود حاملات رمانهن الصدور
طالعات من السجوف على الركـ ـب بدور أبرزتهن الخدور (١)
مثقلات أردافهن ولكن مرهفات من فوقهن الخصور
مطمعات فى وصلهن ودون الـ ـوصل إن رمته دماء تمور (٢)
عز منهن ما يرام كما عـ ـز جناب يحتل فيه الوزير
نصر المجد حافظاً حرمه المجـ ـد أبو نصر الرضا سابور
مفرد فى الزمان ليس يدانيـ ـه من الناس مشبه أو نظير
إن يواجه فطود حلم ركين أو يفاوض فبحر علم غزير (٣)

(١) السجف : الفرجة بين الستربن
(٢) مار الدم : جرى
(٣) الركين الجبل العالى الثابت الأركان والرزين

أو بجد واهبا فغيث مطير   أو يصل واثباً فليث هصور

سعد بن محمد الأزدى من قصيدة [من الطويل] :

أأجفو الهوى فى ربعه لا أخاطبه   وأمضى ولم تلعب بدمعى ملاعبه؟

ومنها فى وصف السحاب :

وأقر منشور الجناح مرورف   يحلى بعقيان البروق ترائبه(١)

وخلف غمام الخدر بدر مضمخ   بحسن بديع والحلى كواكبه

أرجى أبا نصر لعصر كأنما   من النار عيناه فمن ذا يغاضبه

على عيلة لو حمل الدهر ثقلها   لزلت به رجلاه وانقض غاربه (٢)

إذا ما رآه الناس قالوا تعجبا   تبارك مختار الكمال وواهبه

الحسن بن محمد العضدى [من الكامل] :

يلقاك إن لا قاك دهرك كالحاً   متبسما كالعارض المتبسم

وإذا سما نحو العلا لم يتخذ   غير المواهب والعلا من سلم

سيان عزمك والحسام المنتضى   وندى يديك وصوب نوء المرزم

كم منة لك لم يكدر صفوها   من وكم نعمى شفعت بأنعم؟

أتراك تحرمنى لطيف عناية   وبك العداة من الزمان تحرمى

وأنا ابن أنعمك القديمة فليصل   منك السماح مؤخراً بمقدم

عون بن على العنبرى [من مخلع البسيط] :

لست على العتب بالمنيب   ولا للوم بمستجيب (٣)

جل غرامى وزاد سقمى   وذبت شوقاً إلى مذيبى

---

(١) الترائب : جمع تربية ، وهى موضع القلادة من النحر

(٢) الغارب : الكاهل

(٣) المنيب : التائب والراجع

غير عجيب نحول جسمى شوقاً إلى حسنه العجيب
تلهب الوجنتين منه غادر قلبي على لهيب
يا دهر أغربت فى التعدى والجور ظلماً على الغريب
شوبك لى فرقة بشوق أطلع من لمتى مشيبى(١)
حسبي أبو نصر المرجى عوناً على الدهر والخطوب
إن ضاق دهر بنا أوينا منه إلى صدره الرحيب

* * *

الباب العاشر

فى ذكر الشريف أبى الحسن الرضى الموسوى النقيب وغرر شعره

هو أبو الحسن محمد بن الحسين بن موسى بن محمد بن موسى بن إبراهيم بن موسى بن جعفر بن محمد بن على بن الحسين بن على بن أبي طالب عليهم السلام ، ومولده ببغداد سنة تسع وخمسين وثلاثمائة ، وابتدأ يقول الشعر بعد أن جاوز العشر سنين بقليل ، وهو اليوم أبدع أبناء الزمان ، وأنجب سادة العراق ، يتحلى مع محتده الشريف، ومفخره المنيف . بأدب ظاهر وفضل باهر ، وحظ من جميع المحاسن وافر ، ثم هو أشعر الطالبيين ، من مضى منهم ومن غير على كثرة شعرائهم المفلقين ، كالحمانى وابن طباطبا وابن الناصر وغيرهم ، ولو قلت إنه أشعر قريش لم أبعد عن الصدق ، وسيشهد بما أجريه من ذكره شاهد عدل من شعره العالى القدح، الممتنع عن القدح ، الذى يجمع إلى السلاسة متانته، وإلى السهولة رصانته . ويشتمل على معان يقرب جناها ، ويبعد مداها ، فأما

(٢) الشوب — بفتح فسكون — مصدر بمعى الخلط والمزج . تقول : شاب كذا بكذا يشوبه شوبا

أبوه أبو أحمد فمنظور علوية العراق مع أبى الحسن محمد بن عمر بن يحيى ، وكان قديماً يتولى نقابة الطالبيين والحكم فيهم أجمعين، والنظر فى المظالم والحج بالناس، ثم ردت هذه الأعمال كلها إلى ولده أبى الحسن هـذا ، وذلك فى سـنة ثمانين وثلاثمائة ، فقال أبو الحسن قصيدة يهنى بها أباه ، ويشكره على تفويضه أكثر هذه الأعمال إليه [من الكامل] :

انظر إلى الأيام كيف تعود ... وإلى المعالى العز كيف تزيد
وإلى الزمان نبا وعاود عطفه ... فارتاح ظمآن وأورق عـود
قد عاود الأيام ماء شبابها ... فالعيش غض والليالى عيـــد
إقبال عز كالأسـنة مقبل ... بمضى وجد فى العلاء جديد
وعلا لأبلج من ذؤابة هاشم ... يبنى عليـه السؤدد المعقود
قد فات مطلوبا وأدرك طالبا ... ومقارعوه على الأمور قعـود
ما السؤدد المطلوب إلا دون ما ... يرمى إليه السؤدد المولود
فإذا هما اتفقا تكسرت القنا ... إن غالبا وتضعضع الجلمود

وله من قصيدة فى أبيه ، ويذكر حجه بالناس [من الوافر] :

دعينى أطلب الدنيا فإنى ... أرى المسعود من رزق الطلابا
ومن أبنى لآجله حديثاً ... ومن عانى لعاجله اكتسابا
وما المغبون إلا من دهته ... فلا مجداً ولا جدة أصابا
وصل السيف تسلم شفرتاه ... ويخلو كل أيام قرابا (١)
وأيام تجور عليك بيض ... وقد فتحت من الإقبال بابا
وكم يوم كيومك قدت فيه ... على الغرر المقانب والركابا (٢)

---

(١) القراب — بالضم ، بزنة غراب — غمد السيف وجفنه

(٢) المقانب : جمع مقنب — بزنة منبر — وهو الجيش

إلى البلد الأمن مقومات تماطلها التعجل والإيابا
بحيث تصرع الكوم المطايا حفائظها وتحتقب النوابا
معالم إن أجال الطرف فيها مسيء القوم أقلع أو أنابا

وقال فى الطائع لله أمير المؤمنين من قصيدة [من الكامل] :

لله ثم لك المحل الأعظم وإليك ينتسب العلاء الأقدم
ولك التراث من النبي محمد والبيت والحجر العظيم وزمزم
تمضى الملوك وأنت طود ثابت ينجاب عنك متوج ومعمم
لله أى مقام دين قمته والأمر من دون القضية مبهم
فكأنما كنت النبي مناجزا بالقول أو بلسانه تتكلم
أيام طلعها المطيع وأوحشت منه الرماح عن ذا الغاب ذاك الضيغم
فمضى وأعقب بعده مستيقظاً سجلاه بؤسى فى الرجال وأنعم
كالغيث يخلفه الربيع وبعضهم كالنار يخلفه الرماد المظلم

ينظر معنى المصراع الأول إلى بيت المتنبي ، وهو أحسن ما قيل فيه . وهو قوله [من الطويل] :

« فإنك ماء الورد إن ذهب الورد »

ومعنى المصراع الثانى من قول الشاعر [من الوافر] :

وبعضهم يكون أبوه منه مكان النار يخلفها الرماد

ومنها فى وصف النوق :

هن القسى من النحول فإن سما طلب فهن من "نجاء الأسهم

ما أحسن ما جمع بين القسى والأسهم فى هذين الوصفين ! وما أراه سبق إليه على هذا الترتيب .

ومنها :

وعظمت قدراً أن يروقك معنم أو أن يصل على بنانك درهم

هى راحة ما تستفيق من الندى أبد الزمان وبدرة لاتختم

ما كان يومى دون مدحك أننى صب بغير جلال وجهك مغرم

أنت العلا فلقصدها ما أقتنى من جوهر ولمدحها ما أنظم

ما حق مثلى أن يضاع وقوله باقى العماد على الزمان مخيم

وأنا القريب قرابة معلومة والعرف يضرب والقرائب تلحم

إنى لأرجو منك أن سيكون لى يوم أغيظ به الأعادى أيوم[(١)]

وأنال عندك رتبة مصقولة إن عاين الأعداء رونقها عموا

إنى وإن ضرب الحجاب بطوده أو حال دونك يذبل ويلسلم[(٢)]

لأراك فى مرآة جودك مثل ما يلقى العيان الناظر المتوسم

يا دهر دونك قد تماثل مدنف وافتص مهتضم وأورق معدم

إنى عليك إذا امتلأت حميـة ندى أمير المؤمنين محرم

ومذ ادرعت فناءه وعطاءه أرمى ويرمينى الزمان فأسلم

وقال من قصيدة لما خلع الطائع يذكر فيها أيامه ويرثيها ويتوجع مما لحقه .
وذلك فى شعبان سنة إحدى وثمانين وثلاثمائه [من مجزوء الكامل] :

إن كان ذاك الطود خـر فبعدما استعلى طويلا

موف على القلل الذوا هب فى العلا عرضا وطولا

قرم يسدد لحظه فيرى القروم له مثولا

ويرى عزيزاً حيث حـل ولا يرى إلا ذليلا

---

(١) يوم أيوم : أى شديد ، كقولهم : ليل أليل ، وليلة ليلاء ، وشعر شاعر ، كأنهم لم يجدوا شيئا يصفونه به إلا أن يشتقوا الوصف منه .

(٢) يذبل : جبل ، ويلملم : ميقات اليمن ، مكان على مرحلتين من مكة

كالليث إلا أنه انـــحد العلا والعز غيلا(١)

وعلا على الأقران لا مثلا يعد ولا عديلا

من معشر ركبوا العلا فأبوا عن الكرم النزولا

كرموا فروعاً بعد ما طابوا وقد عجموا أصولا

نسب غدا رواده يستنخبون له الفحولا

ياناصر الدين الذى رجع الزمان به كليلا

ياصارم المجد الذى ملئت مضاربه فلولا

ياكوكب الإحسان أعــجلك الدجى عنا أفولا

يا مصعب العلياء قا دتك العدى نقضاً ذلولا

لهفى على ماض قضى أن لا يرى منه بديلا

وزوال ملك لم يكن يوما يقدر أن يزولا

ومنازل سطر الزما ن على مغانيها الحؤولا

من يزجر الدهر العشو م ويكشف الخطب الجليلا ؟

وتراه يمنع دوننا وادى النوائب أن يسيلا

عقاد ألوية الملو ك على العدى جيلا فجيلا

صانعت يوم فراقه فلما قد اعتنق العايلا

ظعن الغى عى وحو ل رحله إلا قليلا

إن عاد يوماً عاد وجــه الدهر مقتبلا جميلا

ولئن غـدا طوع المنو ن مبمماً تلك السبيلا

فلقد يخلف مجده عنا على الدنيا ثقيلا

(١) الغيل ـ بكسر الغين ـ مسكن الأسود .

واستذرت الأيام من نفحاته ظلا ظليلا

وله من قصيدة يذكر فيها الحال يوم القبض على الطائع لله ، ويصف خروجه من الدار سليما ، وقد سلبت ثياب أكثر الأشراف والقضاة ، وانتهبوا وامتحنوا ، فأخذ هو بالحزم ساعة ، ووقف على الصورة ، وبادر إلى نزول دجلة ، وكان أول خارج من الدار ، وتلوم من تلوم حتى جرى عليه ماجرى ، ويذكر غرضاً آخر فى نفسه ويشكو الزمان ، ويذم عمل السلطان [من البسيط] :

لواعج الشوق تخطيهم وتصميني   واللوم فى الحب ينهاهم ويغريني(١)
سلا عن الوجد إنى كل شارقة   تريشنى الشيب والأيام تبريني
من لى ببلغة عيش غير فاضلة   تكفنى عن أذى الدنيا وتكفيني
أخى من باع دنياه وزخرفها   بصونه كان عندى غير مغبون
قالوا تقنع بالدون الخسيس وما   قنعت بالدون بل قنعت بالدون
إذا ظننا وقدرنا جرى قدر   بنازل غير موهوم ومظنون
أعجب بمسكة نفسى بعد مارميت   من النوائب بالأبكار والعون
ومن نجاتى يوم الدار حين هوى   غيرى ولم أخل من حزم ينجيني
مرقت فيها مروق النجم منكدرا   وقد تلاقت مصاريع الردى دونى
وكنت أول طلاع ثنيتها   ومن ورائى شر غير مأمون(٢)
من بعد ما كان رب الملك مبتسما   إلى أدنيه فى النجوى ويدنيني
أمسيت أرحم من قد كنت أغبطه   لقد تقارب بين العز والهون
ومنظر كان بالسراء يضحكنى   يا قرب ما عاد بالضراء يبكيني

---

(١) أصماه : قتله

(٢) الثنية ـ بفتح الثاء وكسر النون ـ منعطف الوادى

هيهات أغتر بالسلطان ثانية قد ضل ولاج أبواب السلاطين

وقال فى القادر بالله أبى العباس أحمد بن إسحاق بن المقتدر عند استقراره فى دار الخلافة سنة إحدى وثمانين وثلاثمائة [من الكامل] :

شرف الخلافة يا بنى العباس اليوم جدده أبو العباس

وافى لحفظ دروعها وكنيه كان المنير مواضع الأغراس

هذا الذى رفعت يداه بناءها العالى وذاك موطد الأساس

كأنه ألم فيه بقول ابن الرومى فى المعتضد بالله [من الطويل] :

كما بأبى العباس أنشئ ملككم كذا بأبى العباس منكم يجدد

رجع :

ذا الطود بقاه الزمان ذخيرة من ذلك الجبل العظيم الراسى

فالآن قر العز فى سكنانه ثلج الضمائر بارد الأنفاس

وقفت أخامص طالبيه ورفهت أيد نقضن معاقد الأحلاس

واحتل غاربه ولى خلافه ما كان يلبسها على الإلباس

سبق الرجال إلى ذراها ناجيا من ناب كل مجاذب نهاس

يقظان يجرح فى الخطوب وينثنى ولهاه للكلم الرغيب أواسى

ويرق أحياناً وبين ضلوعه قلب على المال المتمر قاسى

تغدو ظبي البيض الرقاق بقلبه أحلى وأعذب من ظباء كناس

فكأن حمل السيف يقطر غربه أنسى يمين يديه حمل الكاس

أحسود ذى الغرر الشوادخ إنها حرم على الأعيار لا الأفراس

لا تحسدن قوماً إذا فاضلتهم فضلوك فى الأخلاق والأجناس

مجد أمير المؤمنين أعدنه غضاً كنور المورق المياس

وبعثت فى قلب الخلافه فرحة دخلت على الخلفاء فى الأرماس
أورق أمين الله عودى إنما أغراث مثلك فى العلا أغراسى
واملك على من كان قبلك سلوة فى فرط تقريبي وفى إيناسى

وله فيه من أخرى يصف فيها جلسة جلسها فأوصل إلى حضرته الحجيج وغيرهم وحضر الشريف ذلك المجلس ، وعليه السواد فى سنة اثنتين وثمانين وثلاثمائة منها [من الكامل] :

لمن الحدوج تهزهن الأينق والركب يطفو فى السراب ويغرق[1]
أنى اهتديت؟ فلا اهتديت! وبيننا سور على من الظلام وخندق
ومطلحون لهم بكل ثنية ملق وسادته الثرى والمرفق
أبغاة هذا المجد، إن مرامه دحض يزل بطالبيه ويزلق
لا تحرجوا هذى البحار فربما كان الذى يروى المعاطش يغرق
ودعوا مجاذبة الخلافة إنها أرج بغير ثيابهم لا يعبق
وأبوكم العباس ما استسقى به بعد القنوط قائل إلا سقوا
بعج الغمام بدعوة مسموعة فأجابه شرق البوارق مغرق
لله يوم أطلعتك به العلا علماً يزاول بالعيون ويرشق
لما سمت بك غرة مرموقة كالشمس تبهر بالضياء وترمق
وبرزت فى برد النبي وللهدى نور على أسرار وجهك مشرق
وعلى السحاب الجون ليث معظماً ذاك الرداء وزر ذاك اليلمق[2]

---

(١) الحدوج : جمع حدج ـ بكسر الحاء وسكون الدال ـ وهو مركب للنساء كالمحفة .

(٢) اليلمق ـ بزنة جعفر ـ قباء فارسى .

وكأن دارك جنة حصباؤها الــجادى أو أنماطها الإستبرق[١]

في موقف تغضى العيون جلالة فيــه ويعثر بالكلام المنطق

والناس إما شاخص متعجب مما يرى أو ناظر مشفوق

مالوا إليك محبــه فتجمعوا ورأوا عليك مهابة فتفرقوا

وطعنت فى غرر الكلام بفيصل لا يستقل به السنان الأزرق

وأنا القريب إليك فيه ، ودونه لندى عدوك طود عز أعبق

عطفا أمير المؤمنين فإننا فى دوحة العليـاء لا تتفرق

ما بيننا يوم الفخار تفاوت أبداً كلانا فى المعالى معرق

إلا الخلافة ميزتك فإننى أنا عاطل منها وأنت مطوق

هذه طريقة لم يسبق إليها ، وما أحسنها فى جمع أطراف الاستعطاف والمدح ! وله من أخرى يذم الزمان ، ويفتخر [من المنسرح] :

توقعى أن يقال قد ظعنا ما أنت لى منزلا ولا وطنا

يا دار قل الصديق فيك فما أحس ودا ولا أرى سكنا

كيف يخاف الزمان منصلت مذ خاف غدر الزمان ما أمنا

لم يلبس الثوب من توقعه للأمر إلا وظنه كفنا

لى مهجة لا أرى لها عوضا غير بلوغ العلا ولا ثمنا

ما ضرنا أننا بلا جدة والبيت والركن والمقام لنا

سوف ترى أن نيل آخرنا من العلا فوق نيل أولنا

وأن ما بز من مقادمنا يخلفه الله فى أواخرنا

وورد عليه أمر أهمه وأقلقه فرأى شيباً فى رأسه وسنه ثلاث وعشرون سنه

(١) الجادى : الزعفران

فقال [من السريع] :

عجلت يا شيب على مفرقى وأى عـذر لك أن تعجلا ؟
فـكيف أقدمت على عارض مااستغرق الشعر ولا استكملا
كنت أرى العشرين لى جنة من طارقات الشيب إن أقبلا
فالآن سيان ابن أم الصبا ومن تسدى العمر الأطولا
يا زائرا ما جاء حتى مضى وعارضا ما جاد حتى انجـلى
وما رأى الراؤون من قبلنا زرعا ذوى من قبل أن يسبلا (١)
ليت بياضا جاءنى آخراً فدى بياضا كان لى أولا
وليت صبحا ساءنى ضوؤه زال وأبقى ليـله الأليلا
يا ذابلا صوح فينانه قد آن للذابل أن يختلى
خط برأسى يققاً أبيضا كأنمـا خط به منصـلا
هذا ولم أعـد مجال الصبا فـكيف من جاوز أو من علا
من خوفه كنت أهاب السرى شحا على وجهى أن يبـذلا
فليتنى كنت تسربلته فى طلب العز ونيل العلا
قالوا دع القاعـد يزرى به من قطع الليل وجاب الفلا
قل لعذولى اليوم عد صامتا فقد كفانى الشيب أن أعذلا
طبت به نفسا ومن لم يجـد إلا الردى أذعن واستقتلا .

وقال فى الوزير أبى القاسم على بن أحمد يستصوب رأيه فى الاستتار لأمر أوجبه [من مجزوء الكامل] :

تأبى الليالى أن تديمـا بؤسا بخلق أو نعيما
والمرء بالإقبال يبـــلغ وادعا خطرا عظيما

---

(١) ذوى : ذبل . وأسبل : بدت سنابله

وينال بغيته وما أنضى الذميل ولا الرسيما
فإذا انقضى إقباله رجع الشفيع له خصيما
وهو الزمان إذا نبا سلب الذى أعطى قديما
كالريح ترجع عاصفا من بعد ما بدأت نسيما
ذاك الوزير وكان لى وزرا أحز به الخصوما
فالآن أغدو للعدى ونبالها غرضا رجيما
سدى العلا وأنار لا فض اللقاء ولا ملوما
حتى إذا لم يبق إلا أن يلام وأن يليما
طرح العناء على اللئا م مجانبا ومضى كريما
لم يعتلقه الحبس ممـــتهنا ولم يعزل ذميما
أفنى العدى وقضى المنى وبنى العلا ونجا سليما
وجه كأن البدر شا طره الضياء أو النجوما
لو قابل الليل البهيـــم لمزق الليل البهيما
يجلو الهموم ورب وجـــه إن بدا جلب الهموما
كان العظيم ، وغير بد ع منه أن ركب العظيما
والحر من حذر الهوا ن وحاول الأمر الجسيما
بعثوا سواك لها وكا ن مبلدا عنها مليما
والعاجز المأفون أقــعد ما يكون إذا أقيما
فسقى بلادك حيث كنـــت المزن منبعقا هزيما
فلقد سقى خدى ذكـــرك دمع عينى السجوما

وقال [من الطويل] :

عذيرى من العشرين يغمزن صعدتى ومن نوب الأيام يقرعن مروتى (١)

---

(١) المروة — بفتح فسكون — الحجر الأبيض البراق الذى يورى نارا

ألا لا أعد العيش عيشاً مع الأذى لأن رفيق الذل حي كميت
تخوفني بالموت والموت راحة لمن سل عزمي قلبه مثل همتي
وكم بين ذي أنف حمي وحامل موارن قد عودن حمل الأحشة(١)

وقال [من الطويل] :

أكابرنا والسابقون إلى العلا ألا تلك آساد ونحن شبولها
وإن أسوداً كنت شبلا لبعضها لمحقوقة أن لا يذل قبيلها

وقال [من الطويل] :

حذفت فضول العيش حتى رددتها إلى دون ما يرضى به المتعفف
وأملت أن أجرى خفيفا إلى العلا إذا شئتم أن تلحقوا فتخففوا
حلفت برب البدن تدمى نحورها وبالنفر الأطوار لبوا وعرفوا
لأبتذلن النفس حتى أصونها وغيري في قيد من الذل يرسف
فقد طالما ضيعت في العيش فرصة وهل ينفع الملهوف ما يتلهف
وإن قوافي الشعر ما لم أكن لها مسفسفة فيها عتيق ومقرف(٢)
أنا الفارس الوثاب في صهواتها وكل مجيد جاء بعدى مردف

وقال [من الطويل] :

بنو هاشم عين ، ونحن سوادها على رغم من يأبى ، وأنتم قذاتها
وأعجب ما يأتي به الدهر أنكم طلبتم علا ما فيكم أدواتها
وأملتم أن تدركوها طوالعا دعوها سيسعى للمعالى سعاتها
غرست غروسا كنت أرجو لقاحها وآمل يوما أن تطيب جناتها

(١) الموارن : جمع مارن ، وهو من الأنف أرنبته

(٢) العتيق : الأصيل ، والمقرف : قريب من الهجين ، إلا أن الاقراف يكون من قبل الذكر والهجنة تكون من قبل الأنثي

فإن أثمرت لى غير ما كنت آملا فلا ذنب لى إن حنظلت نخلاتها

وقال يرثى أبا منصور أحمد بن عبيد الله بن المرزبان الكاتب الشيرازى [من المنسرح] :

أى دموع عليك لم تصب وأى قلب عليك لم يجب
مالى وما للزمان يسلبنى فى كل يوم غرائب السلب
أما فتى ناضر الصبا كأخى عندى أو زائد المدى كأبى
وإننى للشقاء أحسبنى ألعب بالدهر وهو يلعب بى
ما نمت عنه إلا وأيقظنى من الرزايا بفيلق لجب
فى كل دار تغدو المنون ، ومن كل الثنايا مطالع النوب
يفوز بالراحة الفقيد وللـــفاقد طول العناء والتعب
أحمد ، كم لى عليك من كمد باق؟ ومن جود أدمع سرب
ولوعة تحطم الضلوع إذا ذكرت قرب اللقاء عن كثب
إن قطع الموت حبلنا فلقد عشنا وما حبلنا بمنقضب
كم مجلس صبحته ألسننا نفضن فيه لطائم الأدب
من أثر يونق الفتى حسن أو خبر يبسط المنى عجب
أو عرض أصبحت خواطرنا تساقط الدر منه فى الكتب
كالبارد العذب روقته صبا الـــفجر أو الظلم زين بالشنب
غاض غدير الكلام ما بقى الـــدهر وقرت شقاشق الخطب
يا علم المجد لم هويت وقد كنت أمين العماد والطنب؟
يا مقول الدهر لم صمت وقد كنت زمانا أمضى من الشهب؟
يا ناظر الفضل لم غضضت وما كنت قديما تغضى على الريب؟
كنت قرينى ولست لى لدة كنت نسيبى ولست من نسبى

مما يقوى العزاء عنك وإن تشرد قلبي العزاء بالكرب
أنك أحرزتها وإن رغم الدهـــر ثمانين طلقـــة الحقب
فإن دموعي جرين مهنها على أن قد ظفرت بالأرب
فليت عشرين بت أحسبها ناعدن بين الورود والقرب
إنى أظما إلى المشيب ، ومن ينج قليلا من الردى يشب
إن سرنى طالع البياض أقل ياليت ليل الشباب لم يغب
مر على ذلك التراب من الـــمزن خفوق الأعلام والعذب
فثم بشر أصفى من الغدق الـــعذب وجود أندى من السحب
لا تحسبن الخلود بعدك لى إن المنايا أعدى من الجرب
إن أنج منها وقد شربت بها فإن خيل المنـــون فى طلبى

ولست أدرى فى شعراء العصر أحسن تصرفا فى المراثى منه . ولما رثى أبا منصور الشيرازى بهذه القصيدة فى سنة ثلاث وثمانين رثى أبا إسحاق الصابى فى سنة أربع وثمانين بالقصيدة التى أوردتها فى بابه، ثم لما حال الحول وتوفى الصاحب فى سنة خمس وثمانين وتعجب الناس من انقراض بلغاء العصر الثلاثة على نسق فى ثلاث سنين، رثاه أيضا بقصيدة سأورد غررها فى مراثى الصاحب

وله من قصيدة رثى بها أبا محمد بن أبى سعيد السيرافى ، وكان من الأعيان الأعلام فى العربية وما يتعلق بها ، وتوفى بعيد الصاحب [من الكامل] :

لم ينسنا كافى الكفاة مصابه حتى دهانا فيك خطب مضلع
قرح على قرح تقارب عهده إن القروح على القروح لأوجع
وتلاحق الفضلاء أعدل شاهد أن الحمام بكل علق مولع

وقال من أخرى [من البسيط] :

لا قصعا بخست أيدى المنون به فقد تود ذليل الظهر مطواع

يسق أسنته حتى تفيض دماً ويهدم العيس من شد وأيضاع

وقال [من الكامل] :

هيهات أصبح سمعه وعيانه في الترب هد حجبتهما أقذاؤه

يمسي ولين مهاده حصباؤه فيـه ومؤنس ليله ظلماؤه

قد قلبت أعيانه . وتنكرت أعلامه . وتكسفت أضواؤه

مغف وليس للذة إغفاؤه مغض وليس لفكرة إغضاؤه

وجه كلمع البرق غاض وميضه قلب كصدر العضب فل مضاؤه

حكم البلى فيه فلو يلتى به أعداءه لرثى له أعداؤه

إن الذى كان النعيم ظلاله أمسى يطنب بالعراء خباؤه

قد خف عن ذاك الرواق حضوره أبداً . وعن ذاك الحمى ضوضاؤه

كانت سوابقه طراز فنائه يجلو جمال رواتهن رواؤه

ورماحه سفراؤه ، وسيوفه خفراؤه ، وجياده ندماؤه

ما زال يعدو والركاب حذاءه بين الصوارم والعجاج رداؤه

لا تعجبن فما العجيب فناؤه بيد المنون ، بل العجيب بقاؤه

من طاح فى سبل الردى آباؤه فليسلكن طريقهم أبناؤه

ومن قصيدة رثى بها والدته [من الكامل] :

أبكيك لو نقع الغليل بكائى وأقول لو ذهب المقال بدائى

وأعوذ بالصبر الجميل تعزياً لو كان فى الصبر الجميل عزائى

طوراً تكاثرنى الدموع ، وتارة آوى إلى أكرومتى وحيائى

كم عبرة موهتها بأناملى وسترتها متجملا بردائى

أبدى التجلد للعدو ، ولو درى بتململى لقد اشتفى أعدائى

فارقت فيك تمسكى وتجملى ونسيت فيك تعززى وإبائى

كم زفرة ضعفت فصارت أنة أتممتها بتنفس الصعداء
لهفـن أنزو فى حبائل كربة ملكت على جلادتى وعنائى
قدكنت أرجو أن أكون لك الفدا مما ألم فكنت أنت فدائى
وجرى الزمان على عوائد كيده فى قلب آمالى وعكس رجائى
وتفرق البعداء بعد مودة صعب فكيف تفرق القرباء
وتداول الأيام يبلينا ، كما يبلى الرشاء تطاوح الأرجاء
كيف السلو وكل موقع لحظة أثر لفضلك خالد بإزائى

وقال [من الكامل] :

قل لليالى قد ملكت فأسجحى ولغيرك الخلق الكريم الأسجح(١)
إن ساء فعلك فى فراق أحبتى فلسوء فعلك فى عذارى أقبح
ضوء تشعشع فى سواد ذؤابتى لا أستضىء به ولا أستصبح

ومنها :

والذل بين الأقربين مضاضة والذل ما بين الأباعد أروح
وإذا رمتك من الرجال قوارص فسهام ذى القربى أشد وأجرح
لو لم يكن لى فى القلوب مهابة لم يطعن الأعداء فى ويقدحوا

وقال [من المتقارب] :

أنا ابن الأناجب من هاشم إذا لم يكن نجب من نجب
ثلاث برودهم بالرماح ونلوى عمائمهم بالشهب
عتاق الوجوه . وعتق الجيا د فى الضمر تعرفه والقبب
يشف الوضاء خلال الشحو ب منها وخلف الدخان اللهب

---

(١) أسجحى . سرى وسهلى . والخلق الأسجح : اللين السهل .

وقال [من السريع] :

الراح والراحة ذل الفتى　　والعز فى شرب ضريب اللقاح
ما أطيب الأمر ولو أنه　　على رزايا نعم فى المراح

وقال وأجاد [من الرجز] :

ستعلمون ما يكون منى　　إن مد من ضبعى طول سنى
أأدع الدنيـا ولم تدعنى　　وسعت أيامى ولم تسعنى

* أفضل عنها وتضيق عنى *

وقال من أخرى [من الوافر] :

تجاذبنى يد الأيام نفسى　　ويوشك أن يكون لها الغلاب
نهضت وقد قعدن بى الليالى　　فلا خيـل أعز ولا ركاب
وماذنبى إذا اتفقت خطوب　　مغاضبة وأيام غضاب
وبعض العدم مأثرة وفخر　　وبعض المال منقصة وعاب
ثنانى والعنان إذا نبت بى　　ربى أرض ورجلى والركاب
سواء من أقل الترب منا　　ومن وارى معالمه التراب

كأنه من قول ابن نباتة [من الوافر] :

ـ ومن لبس التراب كمن علاه ـ

رجع :

وإن مزايل العيش اختصاراً　　مساو للذين بقوا فشابوا
وأولنـا العناء إذا طلعنا　　إلى الدنيا ، وآخرنا الذهاب
وإن مقام مثلى فى الأعادى　　مقام البدر تنبحه الـكلاب
رمونى بالعيوب ملفقات　　وقد علموا بأنى لا أعاب
وأنى لا تدنسنى المخازى　　وأنى لا يروعنى السباب

ولما لم يلاقوا فى عيبا كسونى من عيوبهم وعابوا

وقال [من الطويل] :

سأبذل دون العز أكرم مهجة إذا قامت الحرب العوان على رجل
وما ذاك أن النفس غير نفيسة ولكن رأيت الجبن ضرباً من البخل
وما المكرهون السمهرية فى الطلى بأشجع ممن يكره المال بالبذل

وقال فى ذم بعض الناس [من البسيط] :

الله يعلم ميلى عن جنابكم ولو تناهيت لى فى البر واللطف
فكيف بى وعلى عينيك ترجمة من الحقود وعنوان من السرف

أخذه من قول البحترى [من الوافر] :

وفى عينيك ترجمة أراها تدل على الضغائن والحقود

رجع :

أطوف منك بوجه غير ملتفت إلى المناجى وعطف غير منعطف
فما أغبك من عذر ولا شغل ولا أزورك من وجد ولا شغف
لاقدس الله نفساً منك جامعة كيد البغال وحقد الخلد والسرف
ولاسقى الغيث داراً أنت ساكنها إلا بأغبر نارى الذرى قصف

وقال [من المنسرح] :

زلت من موقفى على طلل بال فمن عاذرى من الطلل
لما تأملت قبح صورته رجعت أبكى دماً على أملى
وجه كظهر المجن مسترق الـحسن وأنف كغارب الجمل

وقال فى الخليفة القادر بالله [من الوافر] :

تخطينا الصفوف إلى رواق تحجب بالصوارم والرماح
وحيينا عظيماً من قريش كأن جبينه فلق الصباح

عليه سيمياء المجد يبدو وعنوان الشجاعة والسماح

وقال فى أبى الحسن النصيح ، وقد لامه فى تأخره عنه [من مجزوء الوافر] :

أكافينا النصيح بقيت فينا دائما أبدا
تحث إلى العلا قدماً وتبسط بالنوال يدا
لئن حرقتنى عذلا لقد نوهت بى صعدا
على طروق داركم وليس على أن أردا

أخذه من قول منصور :

على أن أزوركم وليس على أن أصلا

وقال [من المتقارب] :

أبيعك بيع الأديم النغل وأطوى ودادك طى السجل(١)
وأنفض ثقلك عن عاتقى فقد طالما آذيتنى يا جبل
قوارص لفظ كحز المدى وشزرات لحظ كوقع الأسل
وإن أذل الأذلين من يروم ببضع النساء الدول

وقال [من مجزوء الكامل] :

يا ليلة كرم الزما ن بها لو أن الليل باقى
كان اتفاقاً بيننا جار على غير اتفاق
فاستروح المشتاق من زفرات هم واشتياق
واقتص للحقب الموا ضى بل تسلف للبواقى
حتى إذا نسمت ريا ح الصبح تؤذن بالفراق
رد السوار لها فأحـ ـميت القلادة بالعناق

وله فى وزير بذل مالا كثيرا حتى يقلد الوزارة فاستصوب رأيه فى ذلك [من مجزوء الرمل] :

(١) نغل الأديم ـ من باب فرح ـ أى فسد فى دبغه .

اشتر العز بما يبـــع فما العز بغال
بالقصار الصفر إن شئـــت وبالسمر الطوال
ليس بالمغبون حظاً مشتر عزا بمال
إنما يدخر المـــال لحاجات الرجال
والفتى من جعل الأمـــوال أثمان المعالى

وقال [من السريع] :

ياعذبة المبسم بلى الجوى بنهلة من ريقك البارد
أرى غديراً شبما ماؤه باد فهل للماء من وارد(١)
من لى بذاك العسل الذائب الـــجارى خلال البرد الجامد

وقال [من الطويل] :

وسالمت لما طالت الحرب بيننا إذا لم تظفر فى الحروب فسالم

وقال [من الطويل] :

لنا الدوحة العليا التى نزعت لها إلى المجد أغصان الجدود الأطايب
إذا كان فى جو السماء عروقها فأين عواليها وأين الذوائب ؟

وله فى غلام أعجمى [من الطويل] :

حبيبى ما أزرى بحبك فى الحشا ولا غض عندى منك أنك أعجم
بنفسى من يستدرج اللفظ عجمة كما يمضغ الظبى الأراك ويبغم(٢)

وقال [من البسيط] :

كم المقام على جيل سواسية ترجو الندى من إناء قط مارشحا
تشاغل الناس باستدفاع شرهم عن أن تسومهم الإعطاء والمنحا

(١) الشبم — بفتح فكر — البارد
(٢) بغمت الظبية : صاحت إلى ولدها بأرخم ما يكون من صوتها ، تعطف عليه

وقال [من الكامل] .

واهاً على عهد الشباب وطيبه والغض من ورق الشباب الناضر
واها له ما كان غير دجنه قلصت صبابتها كظل الطائر
وأرى المنايا إن رأت بك شيبة جعلتك مرمى نبلها المتواتر
لو يفتدى ذاك السواد فديته بسواد عينى بل سواد ضمائرى
أبياض رأس واسوداد مطالب؟ صبراً على حكم الزمان الجائر !

وكان عمل قصيدة فى بهاء الدولة وأنفذها إليه . فنسبه بعض الحساد إلى الترفع عن إنشادها ، فقال [من الطويل] :

جنانى شجاع إن مدحت ، وإنما لسانى إن سيم النشيد جبان
وما ضر قوالا أطاع جنانه إذا خانه عند الملوك لسان
ورب حيى فى السلام وقلبه وقاح إذا لف الجياد طعان
ورب وقاح الوجه تحمل كفه أنامل لم يعرق بهن عنان
وفخر الفتى بالقول لا بنشيده ويروى فلان مرة وفلان .

وورد عليه أمر أشغل قلبه فقال [من السريع] :

إن أنشب الخطب فلا روعه أو عظم الأمر فصبر جميل
فليهون المرء بأيامه أن مقام المرء فيها قليل
إنا إلى الله وإنا له وحسبنا الله ونعم الوكيل

بعونه تعالى قد تم طبع القسم الثانى من يتيمة الدهر . حسب تقسيم المؤلف رحمه الله تعالى ، ويتلوه — إن شاء الله تعالى — القسم الثالث . ويشتمل على ملح أشعار أهل الجبال وفارس وجرجان وطبرستان .

نسأل الذى بيده الحول والطول أن يعين على إكماله . بمنه وفضله

القسم الثالث

من يتيمة الدهر ، فى محاسن أهل العصر

وهو يشتمل على ملح أشعار أهل الجبال وفارس وجرجان وطبرستان

بسم الله الرحمن الرحيم

أحمد الله على آلائه، وأسأله شكر نعمائه . وأصلى على محمد المصطفى المختار، وآله وصحبه الأطهار

وبعد ، فلما تم القسم الثانى من يتيمة الدهر أتبعته بالقسم الثالث منها ، وهو يشتمل على ملح أشعار أهل الجبال وفارس وجرجان وطبرستان من وزراء الدولة الديلمية وكتابها وقضاتها وشعرائها ، وسائر فضلائها وغربائها . وما ينضاف إليها من أخبارهم ، وغرر ألفاظهم

البـــاب الأول

فى ذكر ابن العميد ، وإيراد لمع من أوصافه وأخباره وغرره من نثره ونظمه

هو أبو الفضل محمد بن الحسين . عين المشرق ولسان الجبل وعماد ملك آل بويه وصدر وزرائهم وأوحد العصر فى الكتابة ، وجميع أدوات الرياسة . وآلات الوزارة ، والضارب فى الآداب بالسهام الفائزة ، والآخذ من العلوم بالأطراف القوية ، يدعى الجاحظ الأخير ، والأستاذ ، والرئيس . يضرب به المثل فى البلاغة ، وينتهى إليه فى الإشارة بالفصاحة والبراعة ، مع حسن الترسل وجزالة الألفاظ وسلاستها ، إلى براعة المعانى ونفاستها وما أحسن وأصدق ما قال له الصاحب — وقد سأله عن بغداد عند منصرفه عنها — بغداد فى البلاد . كالأستاذ فى العباد وكان يقال : بدئت الكتابة بعبد الحميد .

وختمت بابن العميد . وقد أجرى ذكرهما معا مثلا أبو محمد عبدالله بن أحمد الخازن الأصبهانى فى قصيدة فريدة مدح بها الصاحب ، فلما انتهى إلى وصف بلاغته قال وأحسن ماشاء [من البسيط] :

دعوا الأقاصيص والأنباء ناحية فما على ظهرها غير ابن عباد
والى بيان متى يطلق أعنته يدع لسان إياد رهن أقياد
ومورد كلمات عطلت زهرا على رياض ودرا فوق أجياد
وتارك أولا عبد الحميد بها وابن العميد أخيراً فى أبى جاد

ولم يرث ابن العميد الكتابة عن كلالة ، بل كان كما قال ذو الرمة فى وصف صياد حاذق [من البسيط] :

ألفى أباه بذاك الكسب يكتسب

لأن أباه أبا عبد الله الحسين بن محمد المعروف بكلة فى الرتبة الكبرى من الكتابة ورسائله مدونة بخراسان .

وذكر أبو إسحاق الصابى فى الكتاب التاجى أن رسائل أبى عبد الله لا تقصر فى البلاغة عن رسائل ابنه أبى الفضل ، وعندى أن هذا الحكم من أبى إسحاق فيه حيف شديد على ابن العميد ، والقاص لا يحب القاص .

ومن خبر أبى عبد الله أن أصله من قم ، وكان يكتب لما كان بن كاكى ، فلما قتل ماكان فى المعركة واستبيح عسكره ، وحمل قواده وخواصه مقرنين فى الأصفاد إلى الحضرة ببخارى ، وفى جملتهم أبو عبد الله نفعته شفاعة فضله ونبله ، فأطلق عنه وأكرم ورتب فى الدار السلطانية . ولما تقلد ديوان الرسائل للملك نوح بن نصر . ولقب الشيخ كالعادة فيمن يلى ذلك الديوان حسده أبو جعفر محمد بن العباس بن الحسن الوزير ، فقال فيه [من الطويل] :

تظلم ديوان الرسائل كله إلى الملك القرم الهمام وحق له

من أبيات أنسانيها تطاول المدة بها ، واستعجم على مكانها وكان إذ ذاك أبو القاسم على بن محمد النيسابورى الإسكافى يكتب فى ديوانه . ويرى نفسه أحق

برتبته ومكانه ، ويتمنى زوال أمره ليقوم مقامه ، ويقعد مقعده . وله فيه أبيات تستظرف وتستملح ، فنها قوله [من مجزوء الرجز] :

وقائل ماذا الذى من كلة تطلبه
قلت له أطلب أن يقلب منه لقبه

وقوله فيه ، وكان يحضر الديوان فى محفة لسوء أثر النقرس على قدمه [من مجزوء الكامل]

ياذا الذى ركب المحـــفه جامعاً فيها جهازه
أترى الإله يعيشنى حتى يرينيها جنازة

وقوله فيه ، وقد استوزر والديوان برسمه [من الطويل] .

أقول وقد سرنا وراء محفة وفيها أبو عبد الإله كسيرا
شقاؤك من شكوا الكثم شقاؤنا من أيام سوء قدمتك وزيرا
ترقيك من هذى المحفة حبة إلى النعش محمولا تصرصريرا

ولم تطل الأيام حتى أتت على أبى عبدالله منيته ، ووافت أبا القاسم أمنيته ، وتولى ديوان الرسائل فسبق من قبله وأتعب من بعده . ولم يزل أبو الفضل فى حياة أبيه وبعد وفاته بالرى وكور الجبل وفارس ، يتدرج إلى المعالى ويزداد على الأيام فضلا وبراعه ، حتى بلغ مابلغ ، واستقر فى الذورة العليا من وزارة ركن الدولة ، ورياسه الجبل ، وخدمه الكبراء ، وانتجعه الشعراء ، وورد عليه أبو الطيب المتنبى عند صدوره من حضرة كافور الإخشيدى ، فمدحه بتلك القصائد المتهورة السائرة التى منها [من الكامل] :

من مبلغ الأعراب أنى بعدهم شاهدت رسطاليس والإسكندرا
وسمعت بطليموس دارس كتبه متملكا متبدياً متحضرا
ولقيت كل الفاضلين كأنما رد الإله نفوسهم والأعصرا

نسقوا لنا نسق الحساب مقدما وأتى فذلك إذ أتيت مؤخرا
بأبى وأمى ناطق فى لفظه ثمن تباع به القلوب وتشترى
قطف الرجال القول وقت نباته وقطفت أنت القول لما نورا

ومدحه الصاحب بمدح كثيرة استفرغ فيها جهده ، وألقى حميته، فمن عيون شعره فيه قوله من قصيدة [من الخفيف] :

من لقلب يهيم فى كل واد وقتيل للحب من غير واد
إنما أذكر الغوانى والمقـــصد سعدى مكثرا للسواد
وإذا ما صدقت فهى مرامى ومنائى وروضتى ومرادى
وندى ابن العميد إنى عميد من هواها ألية الأمجاد
لو درى الدهر أنه من بنيه لازدرى قدر سائر الأولاد
أو رأي الناس كيف يهتز للجو د لما عددوه فى الأطواد
أيها الآملون حطوا سريعا برفيع العماد وارى الزناد
فهو إن جاد ضن حاتم طى وهو إن قال قل قس إياد
وإذا ما ارتأى فأين زياد من علاه وأين آل زياد
أقبل العيد يستعير حلاه من علاه العزيزة الأنداد
سيضحى فيه لمن لا يواليـــه ويبقى بقيـــة الأعياد
ومديحى إن لم يكن طال أبيا تا فقد طال فى مجالى الجياد
إن خير المداح من مدحته شعراء البلاد فى كل ناد

ما أحسن ما أدمج الافتخار فى أثناء المدح ! وإنما ألم فيه بقول يزيد بن محمد المهلبى لابن المدبر [من الخفيف] :

إن أكن مهدياً لك الشعر إنى لابن بيت تهدى له الأشعار

ومن مختار شعر الصاحب قوله فيه وقد قدم إصبهان [من الكامل] :

قدم الرئيس مقدما فى سبقه | وكأنما الدنيا جرت فى طرقه
فجبالها من حلمه ، وبحارها | من جوده ، ورياضها من خلقه
وكأنما الأفلاك طوع يمينه | كالعبد منقادا لمالك رقه
قد قاسمته نجومها : فنحوسها | لعدوه ، وسعودها فى أفقه
ما زلت مشتاقا لنور جبينه | شوق الرياض إلى السحاب وودقه
حتى بدا من فوق أجرد سابح | إن قال فت الريح فاه بصدقه
يحكى السحاب طلوعه فصهيله | من رعده ومسيره من برقه
فنظمت مدحاً لا وفاء بمثله | وسجدت شكراً لا نهوض بحقه

وقوله [من مجزوء الكامل] :

قالوا : ربيعك قد قدم | فلك البشارة بالنعم
قلت : الربيع أخو الشتا | ءأم الربيع أخو الكرم ؟
قالوا : الذى بنواله | يغنى المقل عن العدم
قلت : الرئيس ابن العميـ | ـد إذا ؟ فقالوا لى : نعم !

وقوله [من المنسرح] :

أما ترى اليوم كيف جاد لنا | بمستهل الشؤبوب منسجمه
يحكى أبا الفضل فى تفضله | هيهات أن يعتزى إلى شيمه
كم حاسد لى وكنت أحسده | يقول من غيظه ومن ألمه :
نال ابن عباد المنى كملا | إذ عده ابن العميد من خدمه

وقوله فى توديعه [من المتقارب] :

أودع حضرتك العالية | ونفسى لا دمعتى هاميه
ومن ذا يودع هذا الجناب | فتهنؤه بعده العافيه

جناب رعيت به جنه قطوف مكارمها دانيه
رأيت به فائضات العلا وعلمت ما للهمم العاليه
كأنى بغداد فى شوقها إليك وأدمعها الجاريه
وأنت المرجى لإظفارها بآمالها وبآماليه
ولو كنت تأذن لى فى المسير إذاً سرت فى جملة الحاشيه
سبقت جوادك مد الطريق وسرت وفى يدى الغاشيه

ولابن خلاد القاضى فيه مدح تشوبها ملح ، كقوله [من الوافر] :

بأسعد طالع عيدت يا من بطلعته سعادة كل عيد
فعش ما شئت كيف تشاء والبس جديد العمر فى زمن جديد
فقد شهدت عقول الخلق طرا وحسبك بالبصائر من شهود
بأن محاسن الدنيا جميعاً بأفنية الرئيس ابن العميد

ولأبى الحسن البديهى فيه من قصيدة [من المتقارب] :

إذا اعتمدتنى خطوب الزمان وكان اعتمادى على ابن العميد
تذكرت قربى من قلبه فيممته من مكان بعيد
تجاوز فى الجود حد المزيد وجل نداه عن المستزيد
وفات الأنام ، وفاق الكرام برأى سديد ، وبأس شديد

ومما يستبدع فيه ويستحسن معناه قول أبى على ابن مسكويه له عند انتقاله إلى قصر جديد بناه [من البسيط] :

لا يعجبنك حسن القصر تنزله فضيلة الشمس ليست فى منازلها
لو زيدت الشمس فى أبراجها مائة ما زاد ذلك شيئاً فى فضائلها

وأنشده ابن أبى الشباب (١) فى يوم مهرجان قصيدة فى مدحه أولها [من الطويل] :

(١) فى نسخة ب « ابن أبى الثياب »

أقبورنا طلت ثراك يد الطل وحيا الحيا المسكوب ذلك من ثل (١)

فتطير من الافتتاح بذكر القبر، وتنغص باليوم والشعر، وفى هذه القصيدة :

نعيم فقدناه فما نرتجى له معاودة إلا بفضل أبى الفضل

ودخل أبو بشر الفارسى الحافظ — وكان متقدما فى علم العربية ، متأخرا فى قول الشعر — عليه يوما ، وقد هاج به النقرس فأنشده [من الهزج] :

شكى النقرس نقريس أخو علم ونطيس

فما دام لكم قوس فنفسى لكم جوس

فقال له : يا أبا بشر ، هذه رقية النقرس

ولا غنى لهذا الشعر عن التفسير ، النقريس : الداهية ، والحاذق من الأدلاء ، والنطيس : الفطن بالأمور العالم بها ، وأنشد [من الرجز] :

وقد أكون مرة نطيساً طباً بأدواء النسا نقريسا

والقوس : صومعة الراهب ، والجوس : جمع جايس ، والجوسان : التردد ، وفى القرآن (فجاسوا خلال الديار)

ومن أمثل شعر أبى بشر قوله [من المتقارب] :

وأنى لا أكره من شيمتى زيارة حى بلا منفعه

ولا أحمد القول من قائل إذا لم يكن منه فعل معه

ومن ضاق ذرعاً بإكرامنا فلسنا نضيق بأن نقطعه

وكان كل من أبى العلاء السروى ، وأبى الحسن العلوى العباسى ، وابن خلاد القاضى ، وابن سمكة القمى ، وأبى الحسين بن فارس ، وأبى محمد بن هندو ، يختص به ويداخله وينادمه حاضرا . ويكاتبه ويحاوبه ويهاديه نثرا ونظما ، ويقال : إن أحسن رسائله الإخوانيات وما كاتب به أبا العلاء . لصدوره عن صدر مائل إليه محب له مناسب بالأدب إياه

* * *

(١) كذا ، وصدره غير مستقيم الوزن .

فصل من رسالة له إليه فى شهر رمضان وهو مما لم يسبق إليه

كتابى — جعلنى الله فداك — وأنا فى كد وتعب ، منذ فارقت شعبان ، وفى جهد ونصب من شهر رمضان، وفى العذاب الأدنى دون العذاب الأكبر من ألم الجوع ووقع الصوم ، ومرتهن بتضاعف حرور لو أن اللحم يصلى بعضها غريضا أتى أصحابه وهو منضج ، وممتحن بهواجر يكاد أوارها يذيب دماغ الضب ويصرف وجه الحرباء عن التحنق ، ويزويه عن التبصر ، يقبض يده عن إمساك ساق وإرسال ساق [من البسيط]

ويترك الجاب فى شغل عن الحقب ويقدح النار بين الجلد والعصب

ويغادر الوحش وقد مالت هواديها [من الطويل] :

سجوداً لدى الأرطى كأن رؤوسها علاها صداع أو فواق يصورها

وكما قال الفرزدق [من الطويل]

ليوم أتت دون الظلال شموسه تظل المها صوراً جماجمها تغلى

وكما قال مسكين الدارمى [من الطويل] :

وهاجرة ظلت كأن ظباءها إذا ما اتقتها بالقرون سجود
تلوذ بشؤبوب من الشمس فوقها كما لاذ من وخز السنان طريد

وممنو بأيام تحاكى ظل الرمح طولا ، وليال كإبهام القطاة قصراً ، ونوم كلا ولا قلة . وكحسو الطائر من ماء الثماد دقة ، وكتصفيقة الطائر المستحر خفة [من الطويل] :

كما أبرقت قوما عطاشا غمامة فلما رجوها أقشعت وتجلت

وكنقر العصافير وهى خائفة من النواطير يانع الرطب [١]

وأحمد الله على كل حال وأسأله أن يعرفنى فضل بركته . ويلقينى الخير

---

(١) البيت من المنسرح ، والكاف ليست منه ، وإنما اجتلبها للتشبيه .

فى باقى أيامه وخاتمته ، وأرغب إليه فى أن يقرب على القمر دوره ، ويقصر سيره ، ويخفف حركته ، ويعجل نهضته . وينقض مسافة فلكه ودائرته ، ويزيل بركة الطول من ساعاته ، ويرد على غرة شوال فهى أسر الغرر عندى وأقرها لعينى ، ويسمعنى النعرة فى قفا شهر رمضان ويعرض على هلاله أخفى من السر . وأظلم من الكفر ، وأنحف من مجنون بنى عامر ، وأضنى من قيس بن ذريح ، وأبلى من أسير الهجر ، ويسلط عليه الحور بعد الكور ، ويرسل على رقاقته التى يغشى العيون ضوءها . ويحط من الأجسام نوءها ، كلفا يغمرها ، وكسوفا يسترها ، ويرينيه مغمور النور ، مقمور الظهور ، قد جمعه والشمس برج واحد ودرجة مشتركة . وينقص من أطرافه كما تنقص النيرات من طرف الزند . ويبعث عليه الأرضة ، ويهدى إليه السوس ، ويغرى به الدود . ويبليه بالفار ويخترمه بالجراد ، ويبيده بالنمل . ويجتحفه بالذر . ويجعله من نجوم الرجم ويرمي به مسترق السمع ، ويخلصنا من معاودته ، ويريحنا من دورته ، ويعذبه كما عذب عباده وخلقه ، ويفعل به فعله بالكتان ويصنع به صنعه بالألوان . ويقاتله بما تقتضيه دعوة السارق إذا افتضح بضوئه وتهتك بطلوعه (ويرحم الله عبدا قال آمينا[١]) وأستغفر الله جل وجهه مما قلته إن كرهه ، وأستعفيه من توفيق لما يذمه وأسأله صفحا يفيضه ، وعفوا يسيغه ، وحالى بعد ما شكوته صالحة ، وعلى ما تحب وتهوى جارية . ولله الحمد تقدست أسماؤه والشكر .

وقد أجمع أهل البصيرة فى الترسل على أن رسالته التى كتبها إلى ابن بلكا ونداد خورشيد عند استعصائه على ركن الدولة غرة كلامه ، وواسطة عقده وما ظنك بأجود كلام ، لأبلغ إمام

* * *

(١) هذا عجز بيت من البسيط ينسب لمجنون ليلي ، وصدره قوله :

* يا رب لا تسلبني حبها أبدا *

فصل من أولها

كتابى وأنا مترجح بين طمع فيك ، ويأس منك ، وإقبال عليك ، وإعراض عنك ، فإنك تدل بسابق حرمة ، وتمت بسالف خدمة ، أيسرهما يوجب رعاية ، ويقتضى محافظة وعناية ، ثم تشفعهما بحادث غلول وخيانة ، وتتبعهما بآنف خلاف ومعصية ، وأدنى ذلك يحبط أعمالك ، ويمحق كل مايرعى لك ، لاجرم أنى وقفت بين ميل إليك ، وميل عليك : أقدم رجلا لصدمك ، وأؤخر أخرى عن قصدك ، وأبسط يداً لاصطلامك واجتياحك ، وأثنى ثانية لاستبقائك واستصلاحك ، وأتوقف عن امتثال بعض المأمور فيك ، ضناً بالنعمة عندك ، ومنافسة فى الصنيعة لديك ، وتأميلا لفيئتك وانصرافك ، ورجاء لمراجعتك وانعطافك ، فقد يغرب العقل ثم يؤوب ، ويعزب اللب ثم يثوب ، ويذهب الحزم ثم يعود ، ويفسد العزم ثم يصلح ، ويضاع الرأى ثم يستدرك ، ويسكر المرء ثم يصحو ، ويكدر الماء ثم يصفو ، وكل ضيقة إلى رخاء ، وكل غمرة فإلى انجلاء ، وكما أنك أتيت من إساءتك بما لم تحتسبه أولياؤك ، فلا بدع أن تأتى من إحسانك بما لا ترتقبه أعداؤك ، وكما استمرت بك الغفلة حتى ركبت ما ركبت ، واخترت ما اخترت ، فلا عجب أن تنتبه انتباهة تبصر فيها قبح ما صنعت ، وسوء ما آثرت ، وسأقيم على رسمى فى الإبقاء والمماطلة ما صلح ، وعلى الاستيناء والمطاولة ما أمكن ، طمعاً فى إنابتك ، وتحكيما لحسن الظن بك ، فلست أعدم فيما أظاهره من أعذار ، وأرادفه من إنذار ، احتجاجاً عليك واستدراجا لك ، فإن يشأ الله يرشدك ، ويأخذ بك إلى حظك ويسددك ، فإنه على كل شىء قدير ، وبالإجابة جدير .

* * *

فصـــل منها

وزعمت أنك فى طرف من الطاعة ، بعد أن كنت متوسطها ، وإذا كنت كذلك فقد عرفت حاليها ، وحلبت شطريها . فنشدتك الله لما صدقت عما سألتك . كيف وجدت مازلت عنه ؟ وكيف تجد ما صرت إليه ؟ ألم تكن من الأول فى ظل ظليل ، ونسيم عليل ، وريح بليل ، وهواء عذى(١) وماء روى ، ومهاد وطى ، وكن كنين ، ومكان مكين ، وحصن حصين . يقيك المتالف ، ويؤمنك المخاوف . ويكنفك من نوائب الزمان ، ويحفظك من طوارق الحدثان ، عززت به بعد الذلة ، وكثرت بعد القلة ، وارتفعت بعد الضعة ، وأيسرت بعد العسرة ، وأثريت بعد المتربة ، واتسعت بعد الضيقة ، وظفرت بالولايات ، وخفقت فوقك الرايات ، ووطىء عقبك الرجال ، وتعلقت بك الآمال ، وصرت تكاثر ويكاثر بك ، وتشير ويشار إليك ، ويذكر على المنابر اسمك ، وفى المحاضر ذكرك . ففيم الآن أنت من الأمر ؟ وما العوض عما عددت ، والخلف مما وصفت ؟ وما استفدت حين أخرجت من الطاعة نفسك ، ونفضت منها كفك ، وغمست فى خلافها يدك ؟ وما الذى أظلك بعد انحسار ظلها عنك ؟ أظل ذو ثلاث شعب ، لاظليل ولا يغنى من اللهب ؟ قل نعم ! كذلك ، فهو والله أكنف ظلالك فى العاجلة ، وأروحها فى الآجلة ، إن أقمت على المحايدة والعنود ، ووقفت على المشاقة والجحود .

ومنها — تأمل حالك وقد بلغت هذا الفصل من كتابى ، فستنكرها ، والمس جسدك ، وانظر هل يحس ؟ واجسس عرقك هل ينبض ؟ وفتش ما حنا عليك هل تجد فى عرضها قلبك ؟ وهل حلى بصدرك أن تظفر بفوت سريع ، أو موت مريح ؟ ثم قس غائب أمرك بشاهده ، وآخر شأنك بأوله .

(١) العذى هنا : الهواء الخالص

قال مؤلف هذا الكتاب :

بلغني عن بلكا — وكان آدب أمثاله — أنه كان يقول : والله ما كانت لى حال عند قراءة هذا الفصل إلا كما أشار إليه الأستاذ الرئيس . ولقد ناب كتابه عن الكتائب فى عرك أديمى واستصلاحى ، وردى إلى طاعة صاحبه

أقرأنى أبو الحسين محمد بن الحسين الفارسى النحوى — وقد اجتمعنا بإسفرائين عند زعيمها أبى العباس ، الفضل بن على — فصلا من كتاب لابن العميد إلى عضد الدولة ، وكنت مررت عليه وأنا عنه غافل ، فنبهنى على شرفه فى جنسه . وحرك منى ساكنا معجبا بحسنه متعجباً من نفاسة معناه ، وبراعة لفظه ، وهو : قد يعد أهل التحصيل فى أسباب انقراض العلوم وانقباض مددها . وانتفاض مررها . [والأحوال الداعية إلى ارتفاع جل الموجود منها ، وعدم الزيادة فيها : الطوفان بالنار والماء ، والموتان العارض من عموم الأوباء ، وتسلط المخالفين فى المذاهب والآراء ، فإن كل ذلك يخترم العلوم اختراما . وينتهكها انتهاكا . ويجتث أصولها اجتثاثا ، وليس عندى الخطب فى جميع ذلك يقارب ما يولده تسلط ملك جاهل تطول مدته ، وتتسع قدرته . فإن البلاء به لا يعدله بلاء ، وبحسب عظم المحنة بمن هذه صفته ، والبلوى بمن هذه صورته ، تعظم النعمة فى تملك سلطان عالم عادل ، كالأمير الجليل الذى أحله الله من الفضائل بملتقى طرقها ، ومجتمع فرقها ، وهى نور ، ونوافر عن لاقت حتى تصير إليه ، وشرد نوازع حيث حلت حتى تقع عليه . تتلفت إليه تلفت الوامق وتتشوف نحوه تشوف الصب العاشق . قد ملكتها وحشة المضاع ، وحيرة المرتاع

فإن تعش قوم بعده أو نزورهم فكالوحش يدنيها من الأنس المحل

* * *

وهذه فصول قصار له تجرى مجرى الأمثال

وقد أخرجتها مما أخرجه الأمير أبو الفضل عبيد الله بن أحمد الميكالى ، من غرره وفقره ، وكفانى شغلا شاغلا ، وقادنى منه شكره ، وليست تنكر أياديه عندى .

فمنها : من أسرداءه ، وستر ظمأه بعد عليه أن يبل من غلله ويبل من علله * متى خلصت للدهر حال من اعتوار أذى ، وصفا فيه شرب من اعتراض قذى * خير القول ما أغناك جده ، وألهاك هزله * الرتب لا تبلغ إلا بتدرج وتدرب ، ولا تدرك إلا بتجشم كلفة وتصعب * المرء أشبه شىء بزمانه ، وصفة كل زمان منتسخة من سجايا سلطانه * قد يبذل المرء ماله فى إصلاح أعدائه ، فكيف يذهل العاقل عن حفظ أوليائه * هل السيد إلا من تهابه إذا حضر ، وتغتابه إذا أدبر * اجتنب سلطان الهوى ، وشيطان الميل ، وغلبة الإرادة * المزح والهزل بابان إذا فتحا لم يغلقا إلا بعد العسر ، وفحلان إذا ألقحا لم ينتجا غير الشر .

* * *

ما أخرج من المكاتبات بالشعر التى دارت بينه و بين ابن خلاد القاضى

أهدى ابن خلاد إلى ابن العميد شيئاً من الأطعمة ، وكتب إليه فى وصفها ، وابن العميد إذ ذاك فى عقب مرض عرض له ، فكتب إلى ابن خلاد قصيدة أولها [من البسيط] :

قل لابن خلاد المفضى إلى أمد	فى الفضل برز فيه أى تبريز
يعدى اهتزازك للعلياء كل فتى	مؤخر عن مدى الغايات محجوز
ماذا أردت إلى منهوض ائبة	مدفع عن حمى اللذات ملهوز[1]

(١) الملهوز : المدفوع الممنوع

هززت بالوصف فى أحشائه ورما … مازال يهتز فيها غير مهزوز

لم يترك فيه لحوى ما وصفت له … من الأطايب عضواً غير محفوز(١)

أهديت نبرمة أهدت لآكلها … كرب المطامير فى آب وتموز(٢)

(نبرمة) هكذا فى النسخة . ولست أعرفها ، وأظن أنها شىء يجمع من الحبوب ، ويدق ويعجن بحلاوة .

ما كنت لولا فساد الحسن تأمل فى … جنس من السمن فى دوشاب شهريز(٣)

هل غير شتى حبوب قد تعاورها … جيش المهاريس أو نخز المناخيز

رمت الحلاوة فيها ثم جئت بها … تحذى اللسان بطعم جسد ممزوز

لو ساعدتك بنو حواء قاطبة … عليه ما كان فيهم غير ملموز(٤)

أوسعت للشعر فى أوصافها شغلا … بين القصائد تروى والأراجيز

لا أحمد المرء أقصى ما يجود به … إذا عصرناه أصناف الشواريز(٥)

ما متعة العين من خد توردَه … يزهى عليك بخال فيه مركوز

مستغرب الحسن فى توشيع وجنته … بدائع بين تسهيم وتطريز(٦)

يوفى على القمر الموفى إذا اتصلت … يسراه بالكأس أو يمناه بالكوز

أشهى إليك من الشيراز قد وضحت … فى صحن وجنتها حبات شونيز

(١) المحفوز : المطعون

(٢) المطامير : جمع مطمورة وهى الحفرة فى جوف الأرض

(٣) الشهريز والسهريز ، وبالضم والكسر : نوع من التمر يذكر صاحب القاموس أنه معروف .

(٤) الملموز : المعيب المطعون فيه

(٥) الشواريز : جمع شيراز ، وهو اللبن الرائب المستخرج ماؤه

(٦) التوشيع : التزيين ، والتسهيم : التخطيط ، وهما أيضا ضربان من البديع

وقد جرى الزيت فى متنى أسرتها ... فضارعت فضة تغلى بأبريز
ماذا السماح بتقريظ وتزكية ... وقد بخلت بمذخور ومكنوز

ومنها :

لاغرو إن لم ترح للجود راحته ... فالبخل مستحسن فى شيمة الخوزى

هكذا فى النسخة ، وأظن أنه «لم ترح للجود رائحه » .

فأجابه ابن خلاد بقصيدة منها [من البسيط] :

يا أيها السيد السامى بدوحته ... تاج الأكاسر من كسرى وفيروز
أتى قريضك يزهى فى محاسنه ... زهو الربى باشرت أنفاس نيروز
يا حسنه لو كفينا حين يبهجنا ... خطب النبارم فيه والشواريز
أقررت بالعجز والألباب قد حكمت ... به على فقدك اليوم تعجيزى
جوز قريضى فى بحر القريض فكم ... من قائل عد قوالا بتجويز
إن عدت فى حلبة تجرى بها طمعاً ... إنى لأشجع من عمرو بن جرموز
إنا لمن معشر حطوا رحالهم ... لما استبيروا على أسطمة الخوز[1]
لا نعرف السكسم والطرذين يوم قرى ... ولا الغبوف على لحم وخاميز

وأهدى ابن خلاد إليه كتاباً فى الأطعمة ، وابن العميد ناقه من علة كانت به ، فكتب إلى ابن خلاد قصيدة منها [من المتقارب] :

فهمت كتابك فى الأطعمة ... وما كان نولى أن أفهمه
فكم هاج من قرم ساكن ... وأوضح من شهوة مبهمه
وأرث فى كبدى غلة ... من الجوع نيرانها مضرمه

(١) استبيروا : أهلكوا ، والأسطمة : أوساط القوم وأشرافهم . والخوز : اسم يطلق على بلاد خوزستان .

فكيف عمدت به ناقها جوانحـه للطوى مسلمه
خفوق الحشى إن تصخ تستمع من الجوع فى صدره همهمه
تتيح له شرها موجعاً وتغرى به نهمة مؤلمـه
فأين الإخاء وما يقتضيـه منك بأسبابنا المبرمه
وأين تكرمك المستفيـض فينا إذا غاضت المكرمه
وهلا أضفت إلى ما وصفـت شيئاً نهش لأن نطعمه
يمـد الصديق إليه يدأ إذا ما رآه ويشجى فمه
وأين شواريزك المرتضاة إذا ما تفاضلت الأطعمة
وأين كواميخك المجتبا ة دون الأطايب بالتكرمه
وهل أنت راض بقولى إذا ذكرت : دعوه فما ألأمه !
إذا المرء أكرم شيرازه فلا أكرم الله من أكرمه
وكيف ارتقابى بقيا امرىء إذا ليم أعتب بالنبرمه
فإن كان يجزيك نعت الطعام إذا الجوع ناب أذاه فمه
إذا جعت فاعمد لمسموطة بجوذابة الموز مستفرمه
متى قستها بالمنى جاءتا سواء كما جاءت الأبلمه(١)
وبز السرابيل عن أفرخ تخال بها فلذ الأسنمه
تهب النفوس إلى نيئها كأن النفوس بها مغرمه
فلا الفم إن ذاقه مجـه ولا الطبع إن زاره استوخمه
ودونك وسطاً أجاد الصنا ع بلفيق شطريه بالهندمه
وعالى عى ذفـ سدا كتيما كما تحمل المقرمه

---

(١) يقال « المال بيننا شق الأبلمة » أى نصفين .

سدى من تنائف نيرت بهن فأضحت نسائجها ملحمه[١]
فمن صدر فائقة قد ثوت ومن عجز ناهضة ملقمه
ودنو بالجوز أجوازه ودرهم باللوز ما درهمه
وقانى بزيتونها والجبن صفائح من بيضة مدعمه
فمن أسطر فيه مشكولة ومن أسطر كتبت معجمه
وفوف بالبقل أعطافه فوافى كحاشية معلمه
موتى تخال به مطرفا بديع التفاويف والنمنمه
إذا ضاحكتك نباشيره أضاءت له المعدة المظلمه
وهاك خبيصاً إذا ما اقترحت على العبد إنعامه أنعمه
إذا سار فى ثغرة سدها أو انساب فى خلل لأمه
فإن شئت فادخل به مفرداً وإن شئت فادع إليه لمه[٢]
وإياك تهدم ما قد بنا ه هدماً وتنقض ما أبرمه
فإن لم تجد ذاك يجدى عليك إذا ما سغبت فقل لى لمه
تعد من الجود وصف الطعام ونست نقول بأن تطعمه
وتحظر ما قد أحل الإله ضراراً وتطلق ما حرمه
فهل نزلت فى الذى قد شرعت على أحد آية محكمه
وهل سنة فيه مأثورة رواها لأشياخكم علقمه
وقلت تواصوا بصبر جميل فأين ذهبت عن المرحمه
ومن عجب حاكم ظالم يرجى ليحكم فى مظلمه

(١) نيرت : أى جعل لها نير ، وهو جمع الخيوط إلى القصب
(٢) اللمة : الجماعة من الناس والأصحاب .

فأجابه ابن خلاد بقصيدة منها [من المتقارب] :

هلم الصحيفة والمقلمه وأدن المحبرة المفعمه
لأكتب ما جاش فى خاطرى فقد عظم الخوض فى النبرمه
وعجل على بهذى وذى فإنى من الخوض فى ملحمه
ألا حبذا ثم يا حبذا كتابى المصنف فى الأطعمه
كفانا به الله ما راعنا بعلة سيدنا المؤلمه
أطاب الحديث له فى الطعام ففتق شهوته المبهمه
وعاد بأوصافه للغذاء وطاب لنا شكر من سلمه
ومن يشكر الله يعط المزيد كما قال الأعمش عن خيثمه
أيا ذا الندى والحجى والعلا ومن أوجب الدين أن نعظمه
لئن كان نبرمتى أفسدت ولم تأت صنعتها محكمه
فسوف يزورك شيرازنا فنقسم بالله أن تكرمه
يميس بشونيزه كالعرو س يخطر فى الحلة المسهمه
ويبطل وسط مسموطة وجوذابة عندها محكمه(١)
ويزهى الخوان بتقديمه عليه ويحمد من قدمه
ويرمز إخواننا دونه كأن تحاورهم زمزمه

* * *

ما أخرج من إخوانياته

وكتب إلى أبى الحسن العباسى هذه الأبيات ، وهى من مشهور شعره وجيده [من البسيط] :

أشكو إليك زماناً ظل يعركنى عرك الأديم ومن يعدى على الزمن

---

(١) الجوذاب : طعام يتخذ من سكر وأرز ولحم .

وصاحباً كنت معبوطاً بصحبته دهراً فغادرنى فرداً بلا سكن
هبت له ريح إقبال فطار بها نحو السرور وألجانى إلى الحزن
نأى بجانبه عنى وصيرنى من الأسى ودواعى الشوق فى قرن
وباع صفو وداد كنت أقصره عليه مجتهداً فى السر والعلن
وكان غالى به حيناً فأرخصه يامن رأى صفو ود بيع بالغبن
كأنه كان مطوياً على إحن ولم يكن فى ضروب الشعر أنشدنى
« إن الكرام إذا ما أسهلوا ذكروا من كان يألفهم فى المنزل الخشن »

وكتب إلى بعض إخوانه هذه القصيدة ، ليعرضها على أبى الحسن العباسى ، وهى سائرة فى الآفاق ، وكأنه قد جمع فيها أكثر إحسانه ، فقال [من الكامل] :

قد ذبت غير حشاشة وذماء ما بين حر هوى وحر هواء
لا أستفيق من الغرام ولا أرى خلواً من الأشجان والبرحاء
وصروف أيام أقمن قيامتى بنوى الخليط وفرقة القرناء
ومثير هيج لا يشق غباره فيها خباه مهيج الهيجاء
وجفاء خل كنت أحسب أنه عونى على السراء والضراء
ثبت العزيمة فى العقوق ووده متنقل كتنقل الأفياء
ذى ملة يأتيك أثبت عهده كالخط يرقم فى بسيط الماء
أبكى ويضحكه الفراق ولن ترى عجباً كحاضر ضحكه وبكائى
نفسى فداؤك يا محمد من فتى نشوان من أكرومة وحياء
كأس من الشيم التى فى ضمنها درك العلا عار من العوراء
عذب الخلائق قد أحطت بخبره وبلوته فى شدة ورخاء
وبلوت حالته معاً فوجدته فى العود أكرم منه فى الإبداء

أبلغ رسالتي الشريف وقل له　　(قدك اتئب أربيت فى الغلواء)[١]
أنت الذى شتت شمل مسرتي　　وقدحت نار الشوق فى أحشائى
وجمعت بين مساءتى ومسرتى　　وقرنت بين مبرتى وجفائى
ونبذت حق عشرتى ومودتى　　وهرقت ماءى خلتى وإخائى
وثنيت آمالى على أدراجها　　ورددت خائبة وفود رجائى
فرجعت عنك بما يؤوب بمثله　　راجى السراب بقفرة بيداء
وعرضت ودى بالحقير ولم أكن　　ممن يباع وداده بلقاء
ورضيت بالثمن اليسير معوضة　　منى ، فهلا بعتنى بغلاء
وزعمت أنك لست تفكر بعدما　　علقت يداك بذمة الأمراء
هيهات لم تصدقك فكرتك التى　　قد أوهمتك غنى عن الوزراء
لم تغن عن أحد سماء لم تجد　　أرضاً ولا أرض بغير سماء
وسألتك العتبي فلم ترنى لها　　أهلا ، وجئت بغدرة الشوهاء
وردت مموهة ولم يرفع لها　　طرف ولم ترزق من الإصغاء
وأعار مطلقها التذمم سكتة　　فتراجعت تمشى على استحياء
لم تشف من كمد ، ولم تبرد على　　كبد ، ولم تمنح جوانب داء
من يشف من داء بآخر مثله　　أثرت جوانحه من الأدواء
داوت جوى بجوى . وليس بحازم　　من يستكف النار بالحلفاء
لا تغتنم إغضاءتى فلعلها　　كالعين تغضيها على الأقذاء
واستبق بعض حشاشتى فلعلنى　　يوماً أفيك بها من الأسواء
فلو أن ما أبقيت من جسمى قذى　　فى العين لم يمنع من الإغفاء

(١) هذا الشطر صدر بيت هو مطلع قصيدة لأبى تمام ، وتمامه * كم تعذلون وأنتم سجرائي *

نظيره قول المتنبي [من الطويل] :

ولو قلم ألقيت فى شق رأسه   من السقم ما غيرت من خط كاتب

رجع :

فلئن أرحت إلى غارب سلوتى   ووجدت فى نفسى نسيم عزاء
لأجهزن إليك قبح تشكر   ولأنثرن عليك سوء ثناء
ولأكسونك كل يوم حلة   متروعة من حية رقشاء
ولأعضلن مودتى من بعدها   حتى أزوجها من الأكفاء

وكتب إلى العلوى [من المجتث] :

يا من تخلى وولى   وصد عنى وملا
وأوسع العهد نكثاً   وأتبع العقد حلا
ما كان عهدك إلا   عهد الشبيبة ولى
أو طائفاً من خيال   ألم ثم تولى
أو عارضاً لاح حتى   إذا دنى فتدلى
ألوت به نسمات   من الصبا فتجلى
أهلا بما ترتضيه   فى كل حال وسهلا
ليجزينك ودى   بمثل فعلك فعلا
إن شئت هجراً فهجراً   أو شئت وصلا فوصلا
صبرت عنى فانظر   ظفرت بالصبر أم لا
إنى إذا الخل ولى   وليته ما تولى

وكتب إلى أبى محمد بن هندو ، وقد أهدى له مدادا ارتضاه [من المجتث] .

يا سيدى وعمادى   أمددتنى بمداد
كسكنبك جميعاً   من ناظرى وفؤادى

أو كاللىالى اللواتى رمينا بالبعاد

وكتب إلى أخيه أبى الحسن بن هندو صبيحة عرسه [من مجزوء الكامل

أنعم أبا حسن صباحا وازدد بزوجتك ارتياحا
قد رضت طرفك خاليا فهل استلنت له جماحا ؟
وقدحت زندك جاهدا فهل استبنت له اقتداحا ؟
وطرقت منغلقا فهل سنى الإله له انفتاحا ؟
قد كنت أرسلت العيو ن صباح يومك والرواحا
وبعثت مصغية بييـ ـت لديك ترتقب النجاحا
فغدت على بجمله لم يولنى إلا افتضاحا
وشكت إلى حلاخلا خرساً وأوشحة فصاحا
منعت وساوسها المنا مع أن نحس لكم صياحا

وهذه الأبيات بديعة فى فنها . ولم أسمع أملح منها فى معناها . إلا قول الصاحب وهو أقرب من التصريح وأظرف ، وأسات ابن العميد أحزن وأخفى ، وأدخل فى باب الكناية والتعريض من السريع :

قلبى على الجمرة يا أبا العلاء فهل فتحت الموضع المقفلا
وهل فككت الختم عن كيسه وهل كحلت الناظر الأكحلا
إنك إن قلت نعم صادقا أبعث نثارا يملأ المنزلا
وإن تجبنى من حياء بلا أبعث إليك القطن والمغزلا

* * *

هذا ما أخرج من مقارضاته

اجتمع عنده يوماً أبو محمد بن هندو ، وأبو القاسم بن أبى الحسين بن سعد . وأبو الحسين بن فارس ، وأبو عبد الله الطبرى ، وأبو الحسن البديهى . فحياه

بعض الزائرين بأترجة حسنة ، فقال لهم : تعالوا تتجاذب أهداب وصفها ، فقالوا : إن رأى سيدنا أن يبتدىء فعل ، فابتدأ وقال [من الطويل] :

* وأترجة فيها طبائع أربع *

فقال أبو محمد :

* وفيها فنون اللهو للشرب أجمع *

فقال أبو القاسم :

* يشبهها الرائى سبيكة عسجد *

فقال أبو الحسين بن فارس :

* على أنها من فأرة المسك أضوع *

فقال أبو عبد الله الطبرى :

* وما اصفر منها اللون للعشق والهوى *

فقال أبو الحسن البديهى :

* ولكن أراها للمحبين نجمع *

وسئل بعض حاضرى مجلسه عن قصة له ، فقال ولم يقصد وزنا [من مجزوء الخفيف] :

أى جهد لقيته وشقاء شقيته ؟

فقال الأستاذ : قولوا على هذا الوزن شعرا . وفى المجلس أبو الحسن العباسى ، وابن خلاد القاضى ، فقال أبو الحسن :

بى غزال مقرطق شفنى إذ هويته
أحرز السحر طرفه وحوى الغنج ليته(١)
زادنى الكبر عامدا إذ رآنى وليته

(١) الليت صفحة العنق

حسبي الله والرئيـــس لما قد دهيته

وقال ابن خلاد :

يا خليلى ساعدا نى على ما دهيته
انظرا أى معـذل بقضاء أتـيتـه
سامنى السيد الرئيـــس محالا شنيته
ظل مستعديا على رشإ قـد هويته
عجبا أن يكون لى واليا من وليته
ما خشيت الحروب فيـــه ولكن خشيته
فاز روحى لو أننى فى منامى أريته

وقال الأستاذ :

أى جهد لقيته وشـقاء شـقيته
من نصيح أود من نصحه لى سكوته
قال صـبرا وما درى أن صبرى ررسه
قلت عنك الملام ما باختيارى هويتـه
لم أكن أجشم البلا ء لو أنى كفيته
رب ثوب من المذلـــة فيـه كسيته
ضل عندى بجلدى فكأنى نسـيته
فى فؤادى هوى يحـــرقنى لو وطيتـه
يا ابن خـلاد الذى شاع فى الناس صـيته
أنصف الهائم الذى بتجافى مبيتـه
قل لمن أشبه المهـا مقلتـاه وليتـــه[1]
نعره قد أشت شمـــل اصطبارى شتيته

(١) الليت — بكسر أوله — العنق

ليس يحيي المتيم الـــصب إلا بميته
أنت قوتى وما بقا ء امرىء بان قوته
أى ذنب سوى المذلـــة فى الحب جيته
ما أسيغ السلو عنـــك لو أنى سقيته
كيف يرجو البقاء إن باين المـاء حوته
ما أشاء السلو عنـــك فإن شئت شيته
كل شيء رضيته من غرامى رضيته

* * *

ما أخرج من شعره فى الغزل

قال من قصيدة [من الطويل] :

هل البث إلا ما تحملنيه أم البرح إلا ما تكلفنيه
متى علقت نفسى حبيبا تعلقت به غير الأيام تسلبنيه
شفيعى إذا استشفعت غير مشفع ووجهى إذا وجهت غير وجيه

وقال [من الكامل] :

ظلت تظللنى من الشمس نفس أعز على من نفسى
فأقول واعجباً ومن عجب شمس تظللنى من الشمس

وقال فى الفصد لمعشوقه [من البسيط] .

ويح الطبيب الذى جست يداه يدك ما كان أجهله فيما قد اعتمدك
بأى شيء تراه كان معتذرا من مسه بحديد مؤلم جسدك
لو أن ألحاظه كانت مباضعه ثم انتحاك بها من رقة فصدك

ما أخرج من شعره فى سائر الفنون

وقال من قصيدته الهرية عارض فيها ابن العلاف [من المنسرح] :

ياهر فارقتنا مفارقة عمت جميع النفوس بالثكل
لو كان بالحادثات لى قبل إذاً أتاك الصريخ من قبلى
يامثلا سائراً إذا ذكر الـحسن تركت الحسان كالمثل
وقيل هل تفتديه إن قبل الد هر فداء فقلت حيهل
أفديه بالصفوة الكرام من الا إخوان دون الأخدان والخلل
بل بمحل الكرى ومعتلج الـفكر وحب القلوب والمقل
بل بسكون لوجيب يجلبه الا أمن إلى قلب خائف وجل
بل بحلول الشفاء يجنبه الـصحة بعد الأوصاب والعلل
بل ببلوغ المنى وقاصية الـبعية عفواً ونهبة الأمل

وقال فى المغنى القرشى [من الوافر] :

إذا غنانى القرشى يوماً وعنانى برؤيته وضربه
وددت لو أن أذنى مثل عينى هناك وأن عينى مثل قلبه

وللمهلبى فى هذا المعنى [من مجزوء الوافر] :

إذا غنانى القرشى دعوت الله بالطرش
وإن أبصرت طلعته فو الهفى على العمش

وقال فيه أيضاً [من مجزوء الوافر] :

إذا غنى لنا أمماً حشوت مسامعى صمما
وإن أبصرت طلعته كحلت نواظرى بعمى

وقال [من مجزوء الكامل] :

آخ الرجال من الأبا عد . والأقارب لا تقارب

إن الأقارب كالعقا رب ، بل أضر من العقارب

وقال [من الطويل] :

وللرأى زلات يظل بها الفتى مركة فوق الثنايا أنامله

* * *

هذا ما أخرج من شعره فى المعمي

قال فى السفرجل [من المتقارب] :

يقولون خطب من البين جلا ولم أر سير الخليط استقلا
وقد لقبوه نوى غربة ولم أر أقرب منه محلا
وبزت سرابيله عنوة فألفى لما تعرى تحلى
وأفرد من بين أترابه فما غض من حسنه أن تخلى
وزل فقلنا لعاً ناعشاً لعال إذا ما تعلى تدلى
تزيد مكاسره لذة إذا ما الغمام عليه استهلا
إذا نال منه السليم استقل وإن نال منه السقيم استبلا
إذا ما امرؤ مل روح الحياة فحاشا لذلك من أن يملا

وقال فى ماء الورد [من مجزوء الكامل] :

قل للأديب أبى الحسين أتتك صماء الغبر
بكراء فى حالاتها لذوى البصائر معتبر
دهياء يعترف الضمير بها وينكرها البصر
ماذا ترى فى درهم قد مسه قد الإبر
وتحمة من بعده باشراً طرفاً وزر(١)
أررى به وسط الردى وهو الحياة المشتهر
فاكشف لنا عن سره بلطيف حدسك والنظر

(١) كذا ،

وقال فى الشمس [من البسيط] :

ماذا ترى يا أبا العباس فى عجب   تشابهت مه أولاه وأخراه
ترى مقدمه شروى مؤخره   حسناً ، ويمناه فى تمثال يسراه(١)
من حيث واجهته أرضاك منظره   وكيف قابلته أغناك معناه
يهوى المباعد منه قرب منزله   حتى إذا ما نغشاه تحاماه

* * *

الباب الثانى

فى ذكر ابنه أبى الفتح ذى الكفايتين

والأخذ بطرف من طرف أخباره ، وملح بنات أفكاره

هو على بن محمد ، ثمرة تلك الشجرة ، وشبل ذلك القسورة (وحق على ابن الصقر أن يشبه الصقرا) وما أصدق ما قال الشاعر [من الكامل] :

إن السرى إذا سرى فبنفسه   وابن السرى إذا سرى أسراهما

وكان نجيباً ذكياً ، لطيفاً سخيا ، رفيع الهمه ، كامل المروءه ، ظريف التفصيل والجملة ، قد تأنق أبوه فى تأديبه وتهذيبه ، وحاش به أدباء عصره ، وفضلاء وقته . حتى تخرج وخرج حسن الترسل . متقدم القدم فى النظم ، آخذاً من محاسن الآداب بأوفر الحظ ، ولما قام مقام أبيه قبل الاستكمال . وعلى مدى بعيد من الاكتهال . وجمع تدبير السيف والقلم لركن الدولة. لقب بذى الكفايتين ، وعلا شأنه ، وارتفع قدره ، وبعد صيته ، وطاب ذكره ، وجرى أمره أحسن مجرى . إلى أن توفى ركن الدولة وأفضت حال أبى الفتح إلى ما سيأتى ذكره آخر الباب بمشيئة الله وعونه .

ومن طرف أخباره ما حدثنيه أبو جعفر الكاتب، وكان أبو بكر الخوارزمى

---

(١) الشروى : ــ بفتح فسكون ــ المثل والنظير .

يدعوه القمغدى لكونه قمى المولد بغدادى المنشأ ، وكان أبو جعفر هذامن حاشية أبى الفتح فترامت به بعده الحوادث إلى نيسابور ، قال : كان الأستاذ الرئيس قد قبض جماعة من ثقاته فى السر يشرفون على الأستاذ أبى الفتح فى منزله ومكتبه ويشاهدون أحواله ويعدون أنفاسه وينهون إليه جميع ما يأتيه ويذره ويقوله ويفعله . . فرفع إليه بعضهم أن أبا الفتح اشتغل ليلة بما يشتغل به الأحداث المترفون ، من عقد مجلس الأنس واتخاذ الندماء ، وتعاطى مايجمع شمل اللهو ، فى خفية شديدة ، واحتياط تام ، وأنه كتب فى تلك الحالة رقعة إلى من سماه لى أبو جعفر ، ونسيت اسمه ، فى استهداء الشراب ، فحمل إليه ما يصلحهم من المشموم والمشروب والنقل . فدس الأستاذ الرئيس إلى ذلك الإنسان من أتاه برقعة أبى الفتح الصادرة إليه ، فإذا فيها بخطه :

بسم الله الرحمن الرحيم . قد اغتنمت الليلة ـ أطال الله بقاك ياسيدى ومولاى ! ـ رقدة من عين الدهر ، وانتهزت فيها فرصة من فرص العمر ، وانتظمت مع أصحابى فى سمط الثريا ، فإن لم تحفظ علينا النظام ، بإهداء المدام ، عدنا كبنات نعش ، والسلام .

فاستطير الأستاذ فرحاً وإعجابا ، بهذه الرقعة البديعة ، وقال : الآن ظهر لى أثر براعته ، ووثقت بجريه فى طريقى ، ونيابته منابى ، ووقع له بألفى دينار .

وحكى أبو الحسين بن فارس ، قال : كنت عندالأستاذ أبى الفتح فى يوم شديد الحر فرمت الشمسُ بجمرات الهاجرة . فقال لى : ماقول الشيخ فى قلبه ؟ فلم أحر جواباً لأنى لم أفطن لما أراد . فلما كان بعد هنية أقبل رسول والده الأستاذ الرئيس يستدعينى إلى مجلسه فقمت إليه ، فلما مثلت بين يديه تبسم ضاحكاً إلى وقال : ما قول الشيخ فى قلبه ؟ فبهت وسكت ، وما زلت أفكر حتى تنبهت على أنهما أراد الخيش . فكأن من كان يشرف على أبى الفتح من جهة أبيه الأستاذ أتاه بتلك اللفظة فى تلك الساعة ، وافرط اهتزازه لها أراد

بجاراتى . وقرأت صحيفة السرور من وجهه إعجاباً بها ، ثم أخذت أتحفه بنكت نثره ، وملح نظمه .

وكان مما أعجب به ، وتعجب منه . واستضحك له . حكايتى رقعة له وردت على ، وصدرها : رقعة الشيخ أصغر من عنفقة بقة ، وأقصر من أنملة نملة .

قال أبو الحسين : وجرى فى بعض أيامنا ذكر أبيات استحسن الأستاذ الرئيس وزنها ، واستحلى رونقها ، وأنشد جماعة ممن حضر ماحضرهم على ذلك الروى ، وهو قول القائل [من المجتث] :

لئن كففت وإلا شققت منك ثيابى

فأصغى إلينا الأستاذ أبو الفتح ، ثم أنشدنى فى الوقت [من المجتث] :

يا مولعاً بعذابى أما رحمت شبابى
تركت قلبى قريحاً نهب الأسى والتصابى
إن كنت تنكر مابى من ذلتى واكتئابى
فارفع قليلا قليلا عن العظام ثيابى

قال : فتأمل هذه الطريقه . وانظر الى هذا الطبع . فإنه أتى بمثل ما أنشده فى رشاقته وخفته ، ولم يعد الجنس ، ولم يقصر دونه . وبذلك تعرف قدرة القادر على الخطابة والبلاغه .

قال : ومن شعره وهو فى المكتب قوله من قصدة فى أبيه أولها [من الهزج] :

أليل هو أم شعر وبرق هو أم ثغر
وحر الصدر ماضمنت الأحشاء أم جمر ؟
ويهماء كمثل البحر يرتاع لها السفر
تعسفت على هول وتحتى بازل جسر
إلى من وجهه بدر ومن راحته بحر
ومن جدواه مد للـ ورى ليس له جزر

هو الغيث هو الليث هو الفخر هو الذخر
لأمر مظلم يخشى وخطب فادح يعرو

وقوله من نيروزية فيه [من الكامل] :

أبشر بنيروز أتاك مبشرا بسعادة وزيادة ودوام
واشرب فقد حل الربيع نقابه عن منظر متهلل بسام
وهديتى شعر عجيب نظمه ومديحه يبقى على الأيام
فاقبله واقبل عذر من لم يستطع إهداء غير نتيجة الأفهام

ومن إحساناته المشهورة قوله من قصيدة [من الكامل] :

عودى وماء شبيبتى فى عودى لا تعمدى لمقاتل المعمود
وصليه مادامت أصايل عيشه تورويه فى فىء لها ممدود
مادام من ليل الصبا فى فاحم رجل الذرى فينان كالعنقود
قبل المشيب فطارقات جنوده يبدلنه يققاً بسحم سود

وقوله لما تقلد الوزارة بعد أبيه [من المتقارب] :

دعوت الغنى ودعوت المنى فلما أجابا دعوت القدح
إذا بلغ المرء آماله فليس له بعدها مقترح

وقال [من الطويل] :

إذا أنا بلغت الذى كنت أشتهى وأضعافه ألفاً فكلنى إلى الخمر
وقل لنديمى قم إلى الدهر فاقترح عليه الذى تهوى ودعنى مع الدهر

وله [من الخفيف] :

أين لى من يبى شكر الليالى إذ أضاقت خيالها وحيالى
لم يكن لى على الزمان اقتراح غير[illegible]

وقوله فى أترجة أهداها إلى والده الأستاد الرئس [من البسيط] :

أتتك صفراء تحكى لون ذى مقة   وريح راح حشاها شادن خنث
زففتها حين زفت لى على أمل   إلى غلامك لا مين ولا عبث

وقوله من قصيدة أخرى فى عضد الدولة . أولها [من الطويل] :

عتبت على الأيام لو عرفت عتباً   وعاتبتها لو أعقبت ذنبها عتبى
قضت بيننا أحكامها البين كلما   طلعن بنا شرقاً غربن بها غربا
تحجب عنى الشمس من نور وجهها   وتمنح رياها الركائب والركبا

ومنها :

وكنت أظن الحب قبل حلاوة   فها هو ذا يغرى بمحلبه الخلبا
تدور السقاة بالأباريق بيننا   فنحسبها سرباً يزجى لنا سربا

ومنها :

وقد نظمت شمل العصابة روضة   منوره النوار تحسبها عصبا

ومنها فى وصف النجائب :

متى لم أنل أقصى المنى بجابها   فلا نهضت نحواً تسير بنا نجبا
ولا رحلت نحو العفاة رحالها   ولا كان لى ما بين آمالها نهب
ولا كنت عبداً للذى الدهر عبده   أعد النجوم بعد صحبه صحبا

وقوله من قصيدة أخرى فيه . أولها [من الطويل] :

أقصت عهود أم أقصت مدامع   وهذى دموع أم شموس هوامع
على الملك فوام وللدين حافظ   وللمال وهاب وللجار مانع
أسود وسكن الحرب عرينه   شموس ولكن "صعوف مطالع
أساحوا وسحوا وسامرا ومسوا   وكان هم تحت المنايا مواقع

ومنها فى ذل الأعداء :

أذالهم ذل الهزيمة فانحنت قناة الظهور واستقام الأخادع
وكان لهم لبس المعصفر عادة فخاطت لهم منه السيوف القواطع

ومنها :

نطرتم فطرتم والعصا زاجر من عصى وتقويم عبد الهون بالهون نافع

ومنها :

تبسمت والخيل العتاق عوابس وأقدمت والبيض الرقاق هوالع
صدعت بصبح النصر ليل جموعهم وكيف بقاء الليل والصبح صادع
فما الصبح منآد ولا الليل خاذل ولا النصل خوان ولا السهم طالع

ومنها فى وصف الشعر :

ومقترحات فى القوافى بداءة بدائع للإحسان فيهـــا ودائع
كلام شكور أطلقت من عنانه صنائع تخجل النهار نواصع
خدمت بقولى ذا ومن قبل قوله خدمت وغى والقول للفعل شافع

وقال من أخرى . وقد ذكر الشعر [من الطويل] :

فإن كان مسخوطاً فقل شعر كاتب وإن كان مرضيا فقل شعر كاتبى

* * *

ذكر آخر أمره

حدثنى أبو منصور سعيد بن أحمد البريدى ، قال : لما توفى ركن الدوله ، وقام مقامه مؤيد الدولة خليفة لأخيه عضد الدولة . أقبل من أصبهان إلى الرى . ومعه الصاحب أبو القاسم . وخلع على أبى الفتح خلعة الوزارة . وألقى إليه مقالبد المملكة ، والصاحب على جملته فى الكتابة لمؤيد الدولة والاختصاص

به ، وشدة الحظوة لديه ، فكره أبو الفتح مكانه ، وأساء الظن به ، فبعث الجند على أن يشغبوا عليه ، وهموا بما لم ينالوا منه ، فأمره مؤيد الدولة بمعاودة أصبهان وأسر فى نفسه الموجدة على أبى الفتح لهذا الشأن وغيره ، وانضاف ذلك إلى تغير عضد الدولة واعتقاده عليه لأشياء كثيرة فى أيام أبيه وبعدها ، منها مايلته بختيار ، ومنها ميل القواد إليه ، بل غلوهم فى موالاته ومحبته ، ومنها ترفعه عن التواضع له فى مكاتباته ، واجتمعت آراء الأخوين على اعتقاله ، وأخذ أمواله ، ولما اعتقل فى بعض القلاع بدرت منه كلمات نمت إلى عضد الدولة ، فزادت فى استيحاشه منه ، وأنهض من حضرته من طالبه بالأموال ، وعذبه ومثل به ، ويقال : إنه سمل إحدى عينيه ، وقطع أنفه ، وجز لحيته ، ففى تلك الحال يقول أبو الفتح وقد يئس من نفسه ، واستأذن فى صلاة ركعتين ، فصلاهما ودعا بدواة وقرطاس وكتب [من السريع] :

بدل من صورتى المنظر لكنه ما غير المخبر
ولست ذا حزن على فائت لكن على من لى يستعبر
ووالة القلب لما مسنى مستخبر عنى ولا يخبر
فقل لمن سر بما ساءنا لابد أن يسلك ذا المعبر

وأخبرنى أبو جعفر الذى قدمت ذكره ، وكان مختصاً به ، قال : كان أبو الفتح قبيل النكبة التى أتت على نفسه ، قد أغرى بإنشاد هذين البيتين ، لا يجف لسانه من ترديدهما فى أكثر أوقاته وأحواله ، ولست أدرى أهما له أم لغيره [من الرمل] :

دخل الدنيا أناس قبلنا رحلوا عنها وخلوها لنا
ونزلناها كما قد نزلوا ونخليها لقوم بعدنا

ولما حصل فى الاعتقال ، واستيقن أن القوم يريدون دمه لامحالة ، وأنه لا ينجو منهم وإن بذل ماله ، مد يده إلى جيب جبة عليه ففتقه عن رقعة فيها

ثبت مالا يحصى من ودائعه وكنوز أبيه وذخائره ، فألقاها فى كانون نار بين يديه ، وقال للقائد الموكل به المأمور بقتله بعد مطالبته : اصنع ما أنت صانع فوالله لا يصل من أموالى المستورة إلى صاحبك دينار واحد ، فما زال يعرضه على العذاب ، ويمثل به ، حتى تلف رحمه الله تعالى ، وفيه يقول بعض أصحابه [من الكامل] :

آل العميد وآل برمك مالكم قل المعين لكم وذل الناصر !
كان الزمان يحبكم فبداله إن الزمان هو المحب الغادر

ولأبى بكر الخوارزمى فى مرثيته من قصيدة [من الكامل] :

يادهر إنك بالرجال بصير فلذاك ما تجتاحهم وتبير

وهى تذكر فى موضعها من شعره ، إن شاء الله سبحانه وتعالى

* * *

الباب الثالث

فى ذكر الصاحب أبى القاسم إسمعيل بن عباد

وإيراد لمع من أخباره ، وغرر نظمه ونثره

ليست تحضرنى عبارة أرضاها للإفصاح عن علو محله فى العلم والأدب وجلالة شأنه فى الجود والكرم ، وتفرده بغايات المحاسن ، وجمعه أشتات المفاخر ، لأن همة قولى تنخفض عن بلوغ أدنى فضائله ومعاليه ، وجهد وصفى يقصر عن أيسر فواضله ومساعيه . ولكنى أقول : هو صدر المشرق ، وتاريخ المجد ، وغرة الزمان ، وينبوع العدل والإحسان ومن لا حرج فى مدحه بكل ما يمدح به مخلوق ، ولولاه ما قامت للفضل فى دهرنا سوق . وكانت أيامه للعلوية والعلماء ، والأدباء والشعراء . وحضرته محط رحالهم ، وموسم فضلائهم ومترع آمالهم . وأمواله مصروفة إليهم . وصنائعه مقصورة عليهم . وهمته فى مجد يشيده . وإنعام يجدده . وفاضل يصطنعه . وكلام حسن

يصنعه أو يسمعه ولما كان نادرة عطارد فى البلاغة ، وواسطه عقد الدهر فى السماحة ، جلب إليه من الآفاق وأقاصى البلاد كل خطاب جزل ، وقول فصل . وصارت حضرته مشرعا لروائع الكلام ، وبدائع الأفهام . وثمار الخواطر ، ومجلسه مجمعاً لصوب العقول وذوب العلوم، ودرر القرائح . فبلغ من البلاغة ما يعد فى السحر ، ويكاد يدخل فى حد الإعجاز ، وسار كلامه مسير الشمس ، ونظم ناحيتى الشرق والغرب ، واحتف به من نجوم الأرض ، وأفراد العصر ، وأبناء الفضل ، وفرسان الشعر ، من يربى عددهم على شعراء الرشيد ، ولا يقصرون عنهم فى الأخذ برقاب القوافى وملك رق المعانى ، فإنه لم يجتمع بباب أحد من الخلفاء والملوك مثل ما اجتمع بباب الرشيد من فحولة الشعراء المذكورين ، كأبى نواس . وأبى العتاهية . والعتّابى ، والنمرى ومسلم بن الوليد ، وأبى الشيص ، ومروان بن أبى حفصة ، ومحمد بن مناذر ، وجمعت حضرة الصاحب بأصبهان ، والرى وجرجان ، مثل أبى الحسين السلامى ، وأبى بكر الخوارزمى ، وأبى طالب المأمونى ، وأبى الحسن البديهى ، وأبى سعد الرستمى ، وأبى القاسم الزعفرانى ، وأبى العباس الضبى . وأبى الحسن بن عبد العزيز الجرجانى ، وأبى القاسم بن أبى العلاء ، وأبى محمد الخازن وأبى هاشم العلوى ، وأبى الحسن الجوهرى ، وبنى المنجم ، وابن بابك ، وابن القاشانى ، وأبى الفضل الهمذانى ، وإسمعيل الشاشى ، وأبى العلاء الأسدى ، وأبى الحسن الغويرى ، وأبى دلف الخزرجى ، وأبى حفص الشهزورى . وأبى معمر الإسماعيلى ، وأبى الفياض الطبرى ، وغيرهم ممن لم يبلغنى ذكرهم أو ذهب عنى اسمه ، ومدحه مكاتبة الشريف الموسوى الرضى ، وأبو إسحاق الصابى ، وابن حجاج ، وابن سكرة ، وابن نباتة . ولذكر كل من هؤلاء مكان من هذا الكتاب ، إما متقدم أو متأخر ، وما أحسن وأصدق قول الصاحب [من الخفيف :

إن خير المداح من مدحته شعراء البلاد فى كل نادى

* * *

لمع من أخبار محاسنه، وملح من نوادر توقيعاته

سمعت أبا بكر الخوارزمى يقول : إن مولانا الصاحب نشأ من الوزارة فى حجرها . ودب ودرج فى وكرها ، ورضع أفاويق درها ، وورثها من أبيه كما قال أبو سعيد الرستمى [من الكامل] :

ورث الوزارة كابراً عن كابر   موصولة الإسناد بالإسناد
يروى عن العباس عباد وزا   رته وإسماعيل عن عباد

قال : ولما ملك فخر الدولة واستعفى الصاحب من الوزارة قال له: لك فى هذه الدولة من إرث الوزارة ، ما لنا فيها من أرث الإمارة . فسبيل كل منا أن يحتفظ بحقه .

وحدثنى عون بن الحسين الهمدانى التميمى ، قال : كنت يوماً فى خزانة الخلع للصاحب، فرأيت فى ثبت حسبانات كاتبها — وكان صديق — مبلغ عمائم الخز التى صارت تلك الشتوة فى خلع الخدم والحاشية ، ثمانمائة وعشرين قال : وكان يعجبه الخز ويأمر بالاستكثار منه فى داره ، فنظر أبو القاسم الزعفرانى يوماً إلى جميع من فيها من الخدم والحاشية عليهم الخزوز الفاخرة الملونه ، فاعتزل ناحية وأخذ يكتب شيئاً ، فسأل الصاحب عنه . فقيل : إنه فى مجلس كذا يكتب . فقال : على به . فاستمهل الزعفرانى ريثما يكمل مكتوبه ، فأعجله الصاحب ، وأمر بأن يؤخذ ما فى يده من الدرج ، فقام الزعفرانى إليه ، وقال : أيد الله الصاحب [من الكامل] :

اسمعه ممن قاله تزدد به   عجبا فحسن الورد فى أغصانه

قال : هات يا أبا القاسم . فأنشده أبياتا منها [من المتقارب] :

سواك يعد الغنى ما اقتنى   ويأمره الحرص أن يخزنا
وأنت ابن عباد المرتجى   تعد نوالك نيل المنى

وخيرك - من باسط كفه   وممن نناها - قريب الجنى
عمرت الورى بصنوف الندى   فأصغر ما ملكوه الغنى
وغادرت أشعرهم مفحما   وأشكرهم عاجزاً ألكنا
أيا من عطاياه تهدى الغنى   إلى راحتى من نأى أو دنا
كسوت المقيمين والزائرين   كسى لم يخل مثلها ممكنا
وحاشية الدار يمشون فى   ضروب من الخز إلا أنا
ولست أذكر لى جاريا   على العهد يحسن أن يحسنا

فقال الصاحب : قرأت فى أخبار معن بن زائدة ، أن رجلا قال له : احملنى أيها الأمير ، فأمر له بناقة وفرس وبغلة وحمار وجارية، ثم قال له : لو علمت أن الله تعالى خلق مركوبا غير هذه لحملتك عليه، وقد أمرنا لك من الخز بجبة وقميص ودراعه وسراويل وعمامة ومنديل ومطرف ورداء وجورب ، ولو علمنا لباسا آخر يتخذ من الخز لأعطيناكه ، ثم أمر بإدخاله الخزانة ،وصب تلك الخلع عليه و تسليم ما فضل عن لبسه فى الوقت إلى غلامه

وحدثنى أبو عبد الله محمد بن حامد الحامدى . قال : عهدى بأبى محمد الخازن ماثلا بين يدى الصاحب ينشده قصيدة له فيه، أولها [من البسيط] :

هذا فؤادك نهبى بين أهواء   وذاك رأيك شورى بين آراء
هواك بين العيون النجل مقتسم   داء لعمرك ما أبلاه من داء
لاتستقر بأرض أو تسير إلى   أخرى بشخص قريب عزمه نائى
يوما بحزوى ويوما بالعقيق وبالـ   ـعذيب يوماً ويوما بالخليصاء
وتارة تنتحى نجدا وآونه   شعب العقيق وطورا قصر تيماء

قال : فرأيت الصاحب مقبلا عليه بمجامعه حسن الإصغاء إلى إنشاده ، مستعيدا أكثر أبياته ، مظهرا من الإعجاب به ، والاهتزاز له ، ما يعجب

الحاضرين فلما بلغ قوله :

أدعى بأسماء نبزا فى قبائلها كأن أسماء أضحت بعض أسمائى

أطلعت شعرى وألقت شعرها طربا فألفا بين إصباح وإمساء

زحف عن دسته طربا ، فلما بلغ قوله فى المدح :

لو أن سحبان باراه لأسحبه على خطابته أذيال فأفاء

أرى الأقاليم قد ألقت مقالدها إليه مستبقات أى إلقاء

فساس سبعتها منه بأربعة أمر ونهى وتثبيت وإمضاء

كذاك توحيده ألوى بأربعة كفر وجبر وتشبيه وإرجاء

جعل يحرك رأس مستحسن ، فلما أنشد :

نعم تجنب « لا » يوم العطاء كما تجنب ابن عطاء لثغة الراء

استعاده وصفق بيديه ، ولما ختمها بهذه الأبيات :

أطرى وأطرب بالأشعار أنشدها أحسن ببهجة إطرابى وإطرائى

ومن منائح مولانا مدائحه لأن من رنده قدحى وإيرائى

فخذ إليك ابن عباد محبرة لا البحترى يدانيها ولا الطائى

قال : أحسنت أحسنت ، ولله أنت . وتناول النسخة وتشاغل بإعارتها نظره ، ثم أمر له بخلعة وحملان وصلة

وسمعت أبا عبد الله أيضا يقول : أهدى إلى الصاحب هدية أهدى منها إلى شيخ الدولتين أبى سعيد الشبيبى . وكتب معها رقعة مصدرة بهذا البيت [من البسيط]

رويت فى السنة المشهورة البركه أن الهدية فى الإخوان مشتركه

وحدثنى أبو الحسين محمد بن الحسين الفارسى النحوى ، قال : سمعت الصاحب يقول : أنفذ إلى أبو العباس تاش الحاجب رقعة فى السر بخط صاحبه

نوح بن منصور ملك خراسان يريدنى فيها على الانحياز إلى حضرته . ليلقى إلى مقاليد مملكته . ويعتمدنى لوزارته ، ويحكمنى فى ثمرات بلاده . فكان فيما اعتذرت به من تركى امتثال أمره والصد عن رأيه . ذكر طول ذيلى وكثرة حاشيتى وضمنتى وحاجتى لنقل كتبي خاصة إلى أربعمائة جمل، فما الظن بما يليق بها من تحمل مثلى !

وحدثنى أيضا ، قال : سمعت الصاحب يقول : حضرت مجلس ابن العميد عشية من عشايا شهر رمضان . وقد حضره الفقهاء والمتكلمون للمناظرة ، وأنا إذ ذاك فى ريعان شبابى ، فلما تقوض المجلس ، وانصرف القوم ، وقد حل الإفطار نكرت ذلك فيما بينى وبين نفسى ، واستقبحت إغفاله الأمر بتفطير الحاضرين مع وفور رياسته ، واتساع حاله ، واعتقدت ألا أخل بما أخل به إذا قمت يوما مقامه ، قال : فكان الصاحب لا يدخل عليه فى شهر رمضان بعد العصر أحد كائنا من كان فيخرج من داره إلا بعد الإفطار عنده، وكانت داره لا تخلو فى كل ليلة من ليالى شهر رمضان من ألف نفس مفطره فيها ، وكانت صلاته وصدقاته وقرباته فى هذا الشهر تبلغ مبلغ ما يطلق منها فى جميع شهور السنة

وحدثنى بديع الزمان أبو الفضل الهمذانى ، قال : لما أدخلنى والدى إلى الصاحب ووصلت إلى مجلسه ، واصلت الخدمة بتقبيل الأرض . فقال لى . يا بنى اقعد ، كم تسجد ؟ كأنك هدهد !

قال : وقد قال يوما لبعض من تأخر عن مجلسه لعلة وجدها : ما الذى كنت تشتكيه ؟ قال « الحما » قال « قه » يعنى «الحمافه» فقال « وه» يعنى «القهوة»

قال : واستأذن عليه الحاجب يوما لإنسان طرسوسى فقال « الطر » فى لحيته ، و « السوس » فى حنطته

وسمعت الأمير أبا الفضل الميكالى يقول : سمعت بعض ندماء الصاحب يقول: كنت يوما بين يدى الصاحب فقدم البطيخ فقلت « لا مترك » فقال « بالعجلة لمترك » (؟) وكنت أريد أن أقول لا مترك للبطيخ فسبقنى إلى التنادر بهذا التجنيس

حدثنى أبو منصور البيع قال : دخلت يوما على الصاحب فطاولته الحديث فلما أردت القيام قلت : لعلى طولت فقال : لا بل تطولت

وحدثنى أبو منصور اللجيمى الدينورى ، قال أهدي العميرى قاضى قزوين إلى الصاحب كتبا وكتب معها [من الخفيف] :

العميرى عبد كافى الكفاة ومن اعتد فى وجوه القضاة
خدم المجلس الرفيع بكتب مفعمات من حسنها مترعات

فوقع تحتها [من الخفيف] :

قد قبلنا من الجميع كتابا ورددنا لوقتها الباقيات
لست أستغنم الكثير ، فطبعى قول خذ ، ليس مذهبى قول هات

قال : وكتب إليه بعض العلوية يخبر بأنه رزق مولودا ، ويسأله أن يسمبه ويكنيه فوقع فى رقعته

أسعدك الله بالفارس الجديد ، والطالع السعيد . فقد والله ملأ العين قرة ، والنفس مسرة مستقرة . والاسم على ليعلى الله ذكره ، والكنية أبو الحسن ليحسن الله أمره . فإنى أرجو له فضل جده ، وسعادة جده وقد بعثت لتعويذه دينارا من مائة مثقال . قصدت به مقصد الفال ، رجاء أن يعيش مائة عام ، ويخلص خلاص الذهب الإبرز من نوب الأيام ، والسلام

قال : وكتب إليه أبو منصور الجرجانى [من مجزوء الرجز] :

قل للوزير المرتجى كافى الكفاة الملتجى

إني رزقت ولدا كالصبح إذ تبلجا
لا زال في ظلك ظل المكرمات والحجى
فسمه وكنه مشرفا متوجا

فوقع تحتها [من مجزوء الرجز] :

هنئته هنئته شمس الضحى بدر الدجى
فسمه محسنا وكنه أبا الرجا

وعرض على بعض الإصبهانيين رقعة لأبي حفص الوراق الإصبهاني ، قد أخذ منها البلى ، وفيها توقيع الصاحب ، وهذه نسخة الرقعة :

لولا أن الذكرى — أطال الله بقاء مولانا الصاحب الجليل ! — تنفع المؤمنين ، وهزة الصمصام تعين المصلتين . لما ذكرت ذا كرا ، ولا هززت ماضيا . ولكن ذا الحاجة لضرورته يستعجل النجح ، ويكد الجواد السمح . وحال عبد مولانا — أدام الله تأييده ! — في الحنطة مختلفه ، وجرذان داره عنها منصرفه . فإن رأى أن يخلط عبده بمن أخصب رحله ، ولم يشد رحله ، فعل إن شاء الله تعالى ... وهذه نسخة التوقيع :

أحسنت أبا حفص قولا ، وسنحسن فعلا ، فبشر جرذان دارك بالخصب ، وأمنها من الجدب . فالحنطة تأتيك في الأسبوع ، ولست عن غيرها من النفقة بممنوع ، إن شاء الله تعالى

وسمعت أبا النصر محمد بن عبد الجبار العتبي ، يقول : كتب بعض أصحاب الصاحب رقعة إليه في حاجة فوقع فيها ، ولما ردت إليه لم ير فيها توقيعا ، وقد تواترت الأخبار بوقوع التوقيع فيها . فعرضها على أبي العباس الضبي ، فما زال يتصفحها ، حتى عثر بالتوقيع وهو ألف واحده وكان في الرقعه : فإن رأى مولانا أن ينعم بكذا فعل ، فأثبت الصاحب أمام « فعل » ألفاً يعني « أفعل » .

وسمعت الأمير أبا الفضل الميكالى ، يقول : كتب بعض العمال رقعة إلى الصاحب فى التماس شغل ، وفى الرقعة : إن رأى مولانا أن يأمر بإشغالى ببعض أشغاله ، فوقع تحتها : من كتب إشغالى ، لا يصلح لأشغالى .

وحدثنى أبو الحسن على بن محمد الحميرى ، قال : ورفع الضرابون من دار الضرب قصة إلى الصاحب فى ظلامة لهم مترجمة بالضرابين ، فوقع تحتها « فى حديد بارد » .

وحدثنى أبو سعد نصر بن يعقوب ، قال : كان الصاحب يقول بالليالى لجلسائه إذا أراد أن يبسطهم ويؤنسهم : نحن بالنهار سلطان ، وبالليل إخوان

وحدثنى أيضا قال : قال الصاحب : ما أفحمنى أحد كالبديهى ، فإنه كان عندى يوماً ، وأتينا بفاكهة ومشمش فأمعن فيه ، فاتفق أنى قلت : إن المشمش يلطخ المعدة ، فقال : لا يعجبنى الميزبان إذا تطبب .

وسمعت أبا نصر سهل بن المرزبان يقول : كان الصاحب إذا شرب ماء ثلج أنشد على أثره [من الرجز] :

قعقعة الثلج بماء عذب تستخرج الحمد من أقصى القلب

ثم يقول : اللهم جدد اللعن على يزيد .

وحدثنى أبو الحسن الدلفى المصيصى ، قال : انتحل فلان (يعنى أحد المتشاعرين) بحضرة الصاحب شعراً له ، وبلغه ذلك . فقال : أبلغوه عنى [من المجتث] :

سرقت شعرى ، وغيرى يضام فيه ويخدع
فسوف أجزيك صفعاً يكد رأساً وأخدع
فسارق المال يقطع وسارق الشعر يصفع

قال فاتخذ الليل جملا . وهرب من الرى

وحدثني غيره قال : كتب إنسان إلى الصاحب رقعة وقد أغار فيها على رسائله وسرق جملة من ألفاظه ، فوقع فيها (هذه بضاعتنا ردت إلينا)

ووقع فى رقعة استحسنها (أفسحر هذا أم أنتم لا تبصرون ؟)

ووقع فى كتاب بعض مخالفيه (فويل لهم مما كتبت أيديهم وويل لهم مما يكسبون)

. ووقع فى رقعة أبى محمد الخازن وكان ذهب مغاضباً ثم كتب إليه يستأذنه فى معاودة حضرته (ألم نربك فينا وليداً ولبثت فينا من عمرك سنين وفعلت فعلتك التى فعلت)

وعرض على أبو الحسن الشقيقى البلخى توقيع الصاحب إليه فى رقعة : من نظر لدينه نظرنا لدنياه ، فإن آثرت العدل والتوحيد ، بسطنا لك الفضل والتمهيد وإن أقمت على الجبر ، فليس لكسرك من جبر

ووقع فى رقعة بعض خطاب الأعمال : التصرف لا يلتمس بالتكفف إن حتجنا إليك صرفناك ، وإلا صرفناك

ورفع إليه بعض منهى الأخبار : أن رجلا ممن ينطوى له على غير الجميل يدخل داره فى الناس ، ثم يتلوم على استراق السمع ، فوقع : دارنا هذه خان ، يدخلها من وفى ومن خان

وحدثنى أبو الحسين النحوى قال : كان مكى المنشد قد انتاب الصاحب بجرجان ، وكان قديم الخدمة له ، فأساء أدبه غير مرة ، فأمر الصاحب بحبسه ، فحبس فى دار الضرب وهى بجواره بجرجان ، فاتفق أنه صعد يوما سطح داره لحاجة فى نفسه وأشرف على دار الضرب ، فلما رآه مكى نادى بأعلى صوته : (فاطلع فرآه فى سواء الجحيم) فضحك الصاحب وقال (اخسئوا فيها ولا تكلمون) ثم أمر بإطلاقه

وحدثنى أبو النصر العتبى قال : سمعت أبا جعفر دهقان بن ذى القرنين يقول : قدمت إلى الصاحب هدية أصحبنيها الأمير أبو على محمد بن محمد برسمه واعتذرت إليه بأن قلت : إنها إذا نقلت إلى حضرته من خراسان كانت كالتمر ينقل إلى كرمان . فقال : قد ينقل التمر من المدينة إلى البصرة على جهة التبرك وهذه سبيل ما يصحبك

وحدثنى الهمدانى قال : كان واحد من الفقهاء يعرف بابن الخضيرى ، يحضر مجلس النظر للصاحب بالليالى ، فغلبته عيناه مرة وخرج منه ريح لها صوت ، فخجل وانقطع عن المجلس . فقال الصاحب : أبلغوه عنى [من البسيط] :

يا ابن الخضيرى لا تذهب على خجل لحادث منك مثل الناى والعود
فإنها الريح لا تسطيع تحسبها أذ أنت لست سليمان بن داود

وحكى أن مثل هذا الأمر وقع للبهذانى فى مجلس الصاحب فخجل، وقال : صرير التخت ، فقال الصاحب : أخشى أن يكون صرير التحت . فيقال إن هذه الخجلة كانت سبب مفارقته لتلك الحضرة وخروجه إلى خراسان

وحدثنى أبو نصر الثغرى بجرجان قال : سمعت القاضى أبا الحسن على بن عبد العزيز يقول : انصرفت يوما من دار الصاحب ، وذلك قبيل العيد ، فجاءنى رسول بعطر الفطر ومعه رقعة بخطه فيها هذان البيتان [من الكامل] :

يا أيها القاضى الذى نفسى له مع قرب عهد لقائه مشتاقه
أهديت عطرا مثل طيب ثنائه فكأنما أهدى له أخلاقه

وقال : وسمعته يقول : إن الصاحب يقسم لى من إقباله وإكرامه بجرجان أكثر مما يتلقانى به فى سائر البلاد ، وقد استعفيت يوما من فرط تحفيه بى و توضعه لى ، فأنشدنى [من الكامل] :

أكرم أخاك بأرض مولده وأمده من فعلك الحسن
فالعز مطلوب وملتمس وأعزه مانيل فى الوطن

ثم قال لى : قد فرغت من هذا المعنى فى العينية ، فقلت : لعل مولانا يريد قولى [من الطويل] :

وشيدت مجدى بين قومى فلم أقل ألا ليت قومى يعلمون صنيعى

فقال : ماأردت غيره ، والأصل فيه قول الله تعالى (ياليت قومى يعلمون بما غفر لى ربى وجعلنى من المكرمين) .

وحدثنى أبو حنيفة الدهشتانى ، قال : كتب الصاحب إلى أبى هاشم العلوى وقد أهدى إليه فى طبق فضة عطراً [من الكامل] :

العبد زارك نازلا برواقكا يستنبط الإشراق من إشراقكا
فاقبل من الطيب الذى أهديته ما يسرق العطار من أخلاقكا
والظرف يوجب أخذه مع ظرفه فأضف به طبقاً إلى أطباقكا

وحدثنى عون بن الحسين الهمدانى ، قال : سمعت أبا عيسى بن المنجم يقول سمعت الصاحب يقول : ما استأذن لى على فخر الدولة وهو فى مجلس الأنس إلا انتقل إلى مجلس الحشمة ، فيأذن لى فيه وما أذكر أنه تبذل بين يدى ومازحنى قط إلا مرة واحدة ، فانه قال لى فى مجون الحديث ، بلغنى أنك تقول المذهب مذهب الاعتزال ، والنيك نيك الرجال . فأظهرت الكراهة لانبساطه وقلت بنا من الجد مالا نفرغ معه للهزل ، ونهضت كالمغاضب ، فما زال يعتذر إلى مراسلة ، حتى عاودت مجلسه ، ولم يعد بعدها لما يجرى مجرى الهزل والمدح .

وسمعت أبا الحسن العلوى الهمدانى الوصى ، قال . لما توجهت تلقاء الرى فى سفارتى إليها من جهة السلطان . فكرت فى كلام ألقى به الصاحب ، فلم يحضرنى ما أرضاه ، وحين استقبلنى فى العسكر ، وأفضى عنانى إلى عنانه . جرى على

لسانى (ماهذا بشرا إن هذا إلا ملك كريم) فقال (إنى لأجد ريح يوسف لولا أن تفندون) ثم قال : مرحباً بالرسول ابن الرسول ، الوصى ابن الوصى .

وحدثنى أبو الحسين النحوى قال . كان الصاحب منحرفا عن أبى الحسين ابن فارس لانتسابه إلى خدمة ابن العميد ، وتعصبه له . فأنفذ إليه من همدان كتاب الحجر من تأليفه ، فقال الصاحب : رد الحجر من حيث جاءك ، ثم لم تطب نفسه بتركه ، فنظر فيه وأمر له بصلة .

وسمعت أبا القاسم الكرخى يقول : دخل أبو سعيد الرستمى يوما دار الصاحب فنظر إلى الخلع والأحبية السلطانية المحمولة برسم الصاحب ، والناس يقيمون رسم النثار لها ، فارتجل قصيده أولها [من البسيط] :

ميلوا إلى هـــده النعمى نحييها ودار ليلى محلوها لأهليها

وسمعت أبا جعفر الطبرى الطبيب المعروف بالبلاذرى . يقول : إن للصاحب رسالة فى الطب لوعلها ابن قرة وابن زكرياء لمازادا عليها . فسألته أن يعيرنيها إن كانت عنده ، فذكر أنها فى جملة ماغاب عنه من كتبه ، فاستغربت واستبعدت ما حكاه من تطبب الصاحب ونسبته فى نفسى إلى التزيد والتكثر ، إلى أن ظفرت فى نسخة الرسائل المؤلفه المبوبة للصاحب برسالة قدرتها تلك التى ذكرها أبو جعفر ، ووجدتها تجمع إلى ملاحة البلاغة ، ورشاقة العبارة ، حسن التصرف فى لطائف الطب وخصائصه ، وتدل على التبحر فى علمه وقوة المعرفة بدقائقه ، وهذه نسختها . وأكثر ظنى أنه قد كتبها إلى أبو العباس الضبى .

قدعرفت ماشرحه مولاى من أمره ، وأساعنه من أحوال جسمه ، فدلتنى جملته على بقايا فى البدن يحتاج معها إلى الصبر على التنقية . والرفق بالتصفية . فأما الذى يشكوه من ضعف معدته وقلة شهوته فلأمرين أحدهما أن الجسم كما قلت آنفاً لم ينق فتنفتق الشهوة الصادقة وترجع العادة السابقة . والآخر أن

المعدة إذا دامت عليها المطفئات ولزت بها المبردات قلت الشهوة وضعف الهضم ، ومع ذلك فلا بد مما يطفئ ويغذى ، ثم يمكن من بعد أن يتدارك ضعف المعدة بما يقوى منها ويزيل العارض المكتسب عنها ، كما يقول الفاضل جالينوس : قدم علاج الأهم ثم عد وأصلح ما أفسدت . والأقراص فى آخر الحميات خير ما نقيت به المعدة ، وأصلحت به العروق ، وقوى به الطحال ، ليتمكن من جذب العكر لا سيما والذى وجده مولاى ليس الذنب فيه للحميات التى وجدها والبلدة التى وردها، فلو صادف الهواء المتغير جسداً نقياً من الفضول لما أثر هذا التأثير ، ولا طول هذا التطويل وإنما اغتر مولاى بأيام السلامة فكان يتبسط فى أنواع الطعام ويسرف فى تناول الشراب ، فامتلأ الجسم من تلك الكيموسات الرديئة ، وورد بلداً شديد التحليل مضطرب الأهوية فوجدت النفس عوناً على حل ما انعقد ، ونقض ما اجتمع . وسيتفضل الله بالسلامة فتطول صحبتها وتتصل مدتها لأن الجسد يخلص خلاص الإبريز ، إذا زال عنه الخبث ، وسبك ففارقه الدرن . وأما الرعشة التى يتألم مولاى منها ، ويضيق صدراً بها ، فليست والحمد لله محذوره العاقبة ، وإنها لتزول بإقبال العافية فالرعشه التى تتخوف هى التى تعرض من ضعف القوة الحيوانية كما تعرض للمشايخ ، وتؤدى لمشاركتها الدماغ كثيرا من العظام ، وأما هذه التى نعتـاد عقيب الحمى فهى على ما قال جالينوس من أن حدوثها يكون إذا شاركت العروق التى تحدث فيها علة العصب ، وتزول عنه بزوال الفضل . وعجب مولاى من سكرهه شم الفواكه، ولا غرو إذا عرف السبب ، فإن العفونه التى فى العروق قد طبقت روائحها آلات الشم ، فما يصل إليها من الروائح الزكية ، يرد على النفس معموراً بتلك الروائح الخبيثة فتكرهها ولا تقبلها . وتأباها ولا تؤثرها

ألا رى مولاى أن ا‍[illegible] شد الحلاوة وجد فى فم ذى الصفراء بطعم الأشياء المرة ، لاستلاء المرارة المصادفة للحلاوة على آلات الذوق والمضغ والإدارة

وهذا راجع إلى مثل ما حكمنا به أولا من أن هناك فضلا لا يمكن الهجوم على تحليله ، لما يخشى من سقوط القوة ، وإن كان مما لم يخرج لم يوثق بوفور الصحة ، وأنا أحمد الله إذ ليست شهوة سيدى متزايدة ، فالشهوة الغالبة مع الأخلاط الفاسدة تغرى صاحبها بالأكل الزائد ، وتعرض للمزاج الفاسد . إلا أن التغذى لا يجوز إهماله دفعة والتبرم به ضربة فإن البدن إذا احتاج إليه وجب للعليل أن يتناوله تناول الدواء الذى يصبر عليه ، وذلك أن فى دقة الحمية وترك الرجوع أول فأول إلى عادة الصحة إماتة للشهوة ، وخيانة للقوة

وجالينوس يشرط فى العلاجات أجمع استحفاظ القوى ، لأن الذى يفعله الضعف لا يتداركه أمر ، إلا أن ذلك بإزاء ما قال الحكيم الأول بقراط فى البدن السقيم : إنك متى مازدته غذاء زدته شرا ، وهو فى نفسه يقول : إن الحمية التى فى غاية الدقة ليست بمحمودة ، فالطرفان من الإسراف والإجحاف مذمومان ، والواسطة أسلم ، أغنى الله مولاى عن الطب والأطباء بالسلامه والشفاء

وسمعت عوناً الهمدانى يقول أتى الصاحب بغلام متاقف ، فلعب بين يديه ، فاستحسن صورته ، وأعجب بمثاقفته ، فقال لأصحابه : قولوا فى وصفه ، فلم يصنعوا شيئاً ، فقال الصاحب [من السريع] :

مثاقف فى غاية الحذق فاق حسان الغرب والشرق
شبهته والسيف فى كفه بالبدر إذ يلعب بالبرق

وأنشدنى أبو سعيد بن دوست الفقيه ، قال : أنشدنى أبو على العراقى العوامى الرازى ، قال : أنشدنى الصاحب لنفسه [من السريع] :

كم نعمة عندك موفوره لله فاشكر يا ابن عبـــاد
قم فالتمس زادك وهو التقى لن تسلك الطرق بلا زاد

جرى الشعراء بحضرة الصاحب
فى ميدان اقتراحه الديارات

أقرأنى أبو بكر الخوارزمى كتاباً لأبى محمد الخازن ورد عليه فى ذكر الدار التى بناها الصاحب بإصبهان وانتقل إليها ، واقترح على أصحابه وصفها . وهذه نسخته بعد الصدر .

نعم الله عند مولانا الصاحب أدام الله تأييده مترادفه ، وأياديه لديه متضاعفة ، وأرى أولياء النعم كبت الله أعداءهم تتظاهر كل يوم حسناً فى إعظامه وبصائرهم تترامى قوة فى إكرامه ، والوفود على بابه المعمور ، كرجل الجراد ، وانتقل إلى البناء المعمور بالفأل المسعود فرأينا يوماً مشهودا ، وعيدا يجنب عيدا ، واجتمع المادحون ، وقال القائلون . ولو حضرتنى القصائد لأنفذتها إلا أنى علقت من كل واحدة ما علق بحفظى والشيخ مولاى يعرف ملك النسيان لرقى ، فقصيدة الأستاذ أبى العباس الضبي أولها [من البسيط] :

دار الوزارة ممدود سرادقها ... ولاحق بذرى الجوزاء لاحقها
والأرض قد واصلت غيظ السماء بها ... فقطرها أدمع تجرى سوابقها
يودها أنها من أرض عرصتها ... وأن أنجمها فيها طوابقها
فمن مجالس يخلفن الطواوس قد ... أبرزن فى حلل شاقت شقائقها
ومن كنائس يحكين العرائس قد ... ألبسن مجسدة راقت طرائقها
تفرعت شرفات فى مناكبها ... يرتد عنها كليل العين رامقها
مثل العذارى وقد شدت مناطقها ... وتوجت بأكاليل مفارقها
كل امرىء سوغته الحجب رؤيتها ... وأشرقت فى محياه مشارقها
مخلف قلبه فيها وناظره ... إذا تجلت لعينيه حقائقها
والدهر حاجبها يحمى مواردها ... عن الخطوب إذا صالت طوارقها

موارد كلما هم العفاة بها عادت مفاتح للنعمى مغالقها
دار الأمير التى هذى وزارتها أهدت لها وشحا راقت نمارقها
هذى المعالى التى اغتص الزمان بها وافك منسوقه والله ناسقها
إن الغنائم قد آلت معاهدة لا زايلتها ولا زالت تعانقها
لأرضها كلما جادت مواهبها وفى ديار معاديها صواعقها

ومن قصيدة الشيخ أبى الحسن صاحب البريد وهو ابن عمة الصاحب [من البسيط]:

دار على العز والتأييد مناها وللمكارم والعلياء معناها
دار تباهى بها الدنيا وساكنها طرا . وكم كانت الدنيا تمناها
فاليمن أصبح مقرونا بيمناها واليسر أصبح مقرونا بيسراها
من فوقها شرفات طال أدناها يد الثريا فقل لى كيف أقصاها
كأنها غلمة مصطفة لبست بيض الغلائل أمثالا وأشباها
أنظر إلى القبة الخضراء مذهبة كأنما الشمس أعطتها محياها
تلك الكنائس قد أصبحن رائقة مثل الأوانس تلقانا وتلقاها
فالربع بالمجد لا بالصحن متسع والبهو لا بالحلى بل بالعلا باهى
لما بنى الناس فى دنياك دورهم بنيت فى دارك الغراء دنياها
فلو رضيت مكان البسط أعينا لم نبق عين لنا إلا فرشناها
وهذه وزراء الملك قاطبة بيادق ، لم تزل ما بيننا شاها
فأنت أرفعها مجداً وأسعدها جدا وأجودها كفا وأكفاها
وأنت آدبها بل أنت أكتبها وأنت سيدها بل أنت مولاها
كسوتنى من لباس العز أشرفه المال والعز والسلطان والجاها
ولست أفرح إلا بالولاء وإن كانت لنفسى من علياك قرباها

ومن قصيدة مولاى أبى الطيب الكاتب [من الطويل] :

ودار ترى الدنيا عليها مدارها نحوز السماء أرضها وديارها
بناها ابن عباد ليحرض همة على همم إسرافهن اقتصارها
يرد على الدنيا بها كل غدرة إذا ما تبارت داره وديارها
وإن قيل بهتا قد حكت تلك هذه فقد يتوارى ليلها ونهارها
فإن لم يكن فى صحن دارك بعض ما أصدر فالدنيا يصح اعتذارها

ومن قصيدة أبى سعيد الرستمى [من الطويل [1] :

نصبن لحبات القلوب حبائلا عشية حل الحاجبات حمائلا
نشدن عقولا يوم برقة منشد ضللن فطالبنا بهن العقائلا
عقائل من أحياء بكر ووائل يحببن للعشاق بكراً ووائلا
عيون تكلن الحسن منذ فقدنها ومن ذا رأى قبلى عيوناً ثواكلا
جعلت صنى حسمى لديها ذرائعاً وسائل دمعى عندهن وسائلا
وركب سروا حتى حسبت بأنهم لسرعتهم عدوا إليك المراحلا
إذا نزلوا أرضاً رأونى نازلا وإن رحلوا عنها رأونى راحلا
وإن أخذوا فى جانب ملت آخذا وإن عدلوا عن جانب ملت عادلا
وإن وردوا ماء وردن وإن طووا طويت وإن قالوا تحولت قائلا
وإن نصبوا للحر حرّ وجوههم تمثلت حرباء على الجذل مائلا
وإن عرفوا أعلام أرض عرفتها وإن أنكروا أنكرت منها المجاهلا
وإن عزموا سيراً شددت رحالهم وإن عزموا حلا حللت الرحائلا
وإن وردوا ماء حملت سقاءهم أو انتجعوا غيثاً حدوت الزواملا
أو استنفدت خوص الركائب منهلا أعدت لهم من فيض دمعى مناهلا
يظنون أنى سائل فضل زادهم ولولا الهوى ماظننى الركب سائلا

وأقسمت بالبيت الجديد بناؤه ... يحي ومن يحفى إليـــه المراقلا
هى الدار أبناء الندى من حجيجها ... نوازل فى ســـاحاتها وقوافلا
يزرنك بالآمال مثنى وموحدا ... ويصدرن بالأموال دثرا وجاملا
قواعد إسمعيل يرفع سمـــكها ... لنا كيف لا نعتدهن معاقلا
فكم أنفس تأوى إليها مغـذة ... وأفئدة تهوى إليهـا حوافلا
وسامية الأعلام تلحظ دونها ... سنا النجم فى آفاقها متضائلا
نسخت بها إيوان كسرى بن هرمز ... فأصبح فى أرض المدائن عاطلا
فلو أبصرت دار العماد عمادها ... لأمست أعاليها حياء أسافلا
ولو لحظت جنات تدمر حسنها ... درت كيف تبنى بعدهن المجادلا
يناطح قرن الشمس من شرفاتها ... صفوف ظباء فوقهن موائلا
وعول بأطراف الجبال تقابلت ... ومدت قرونا للنطاح موائلا
كأشكال طير الماء مدت جناحها ... وأشخصن أعناقا لها وحواصلا
وردت شعاع الشمس فارتد راجعا ... وسدت هبوب الريح فارتد ناكلا
إذا ما ابن عباد مشى فوق أرضها ... مشى الزهو فى أكنافها متمايلا
كنائس ناطت بالنجوم كواهلا ... وعادت فألقت بالنجوم كلاكلا
وفيحاء لو مرت صبا الريح بينهـا ... لضلت فظلت تستنير الدلائلا
متى ترها خلت السماء سرادقا ... عليها وأعلام النجوم تماثلا

ومنها فى وصف المـاء الجاري ، وهو أحسن ما سمعت فيه على كثرته .

هواء كأيام الهوى فرط رقه ... وقـد فقد العشاق فيهـا العواذلا
وماء على الرضراض يجرى كأنه ... صفائح تبر قد سبكن جداولا
كأن بهـا من شدة الجرى جنـة ... فقد ألبستهن الرياح سلاسـلا
ولو أصبحت دار آلك الأرض كلها ... لضاقت بمن ينتاب دارك آملا

ولو كنت تبنيها على قدر همة سمت بك واستسرت إليك المراسلا
عقدت على الدنيا جدارا لحزتها جميعا ، ولم تترك لغيرك طائلا
وأغنى الورى عن منزل من بنت له معاليه فوق الشعريين منازلا
ولا غرو أن يستحدث الليث بالسرى عرينا ، وأن يستطرف البحر ساحلا
ولم يعتمد دارا سوى حومة الوغى ولا خدما إلا القنا والقنابلا
ولا حاجبا إلا حساماً مهندا ولا عاملا إلا سنانا وعاملا
ووالله ما أرضى لك الدهر خادما ولا البدر منتابا ولا البحر نائلا
ولا الفلك الدوار دارا ولا الورى عبيدا ولا زهر النجوم قبائلا
أخذت بضبع الأرض حتى رفعتها إلى غاية أمسى بها النجم جاهلا
فإن الذى يبنيه مثلك خالد وسائر ما يبنى الأنام إلى بلى

ومن قصيدة أبى الحسن الجرجانى [من الطويل] :

ليهن ويسعد من به سعد الفضل بدار هى الدنيا ، وسائرها فضل
تولى له تقديرها رحب صدره على قدره ، والشكل يعجبه الشكل
بنية مجد تشهد الأرض أنها ستطوى وما حاذى السماء لها مثل
تكلف أحداق العيون تخاوصاً إليه كأن الناس كلهم قبل
منار لأبصار الرواة ، وربها منار لآمال العفاة إذا ضلوا
سحاب علا فوق السحاب مصاعدا وأحر بأن يعلو وأنت له وبل
وقد أسبل الخيرى كمى مفاخر تصحن به للملك يجتمع الشمل
كما طلع النسر المنير مصفقا جناحيه لولا أن مطلعه عقل
بنيت على هام العداة بنية تمكن منها فى قلوبهم الغل
ولو كنت ترضى هامهم شرفا لها أتوك بها جهد المقل ولم يألوا
ولكن أراها لو هممت برفعها أبى الله أن نعلو عليك فلم تعلو

تحج لها الآمال من كل وجهة ويحر فى حافاتها البخل والمحل
وما ضرها إلا نقابل دجلة وفى حافتيها يلتقى الفيض والهطل
تجلى لأطراف العراق سعودها معاد إليها الملك والأمن والعدل
كذا السعد قد ألق عليها شعاعه فليس لنحس فى مطارحها فعل
وقالوا تعدى خلقه فى بنائها وكان وما غير النوال به شغل
فقلت إذا لم يلهه ذاك عن ندى فماذا على العلياء إن كان لا يخلو
إذا النصل لم يذمم بجاراً وشيمة تأنق فى غمد يصان به النصل
تمل على رغم الحواسد والعدى علاك . وعش للجود ماقبح البخل

ومن قصيدة أبى القاسم الزعفرانى [من الخفيف] :

سرك الله بالبناء الجديد تلك حال الشكور لا المستزيد
هذه الدار جنة الخلد فى الدنيا فصلها وأختها بالخلود
أمه زينت لسيدها الما لك لا زينة الفتاة الرود
حليها حسنها فقد غنيت عن كل مستطرف بلبس التليد
إرم المسلمين لاذكر شداد بن عاد فيها ولا اسم شديد
ماتشككت أن رضوان قد خان وإلا لم مثلها فى الصعيد ؟
كل مستخدم فداء وزير خدمته الرجال بعد الأسود
ألزم الإنس كل جاف شديد عمل الجن كل جاف مريد
فابتنوا مالو أن هامان يدنو منه لم يرض صرحه للصعود
قد نولى الإفضال خدمته فيه على رسمه كبعض الجنود
ودرى أنه يزيد معيناً مثله فاستعان بالتسميد
قال للجص كن رصاصاً وللآجر لما علاه كن من حديد
فتناهى البنيان وارتفع الإيوان حتى أناف بالتشديد

وتبدت من فوقه شرفات كنساء أشرفن فى يوم عيد
فسما لامدحت بعد ابن عبا د منيل الشباب والتخليد
لا لقيت الزمان إلا بوجه ماؤه لا يجول فى جلمود
ويد ما حسرت ردنى عنها فهى سيف يصان عن تجريد
أجمع الناس أنه أفضل النا س اضطرارا أغنى عن التقليد
فلهذا أعد قربى منه نعمه ليس فوقها من مزيد
لاذكرت العراق ما عشت إلا أن أراه بؤمه فى الجنود

ومن قصيدة أبى القاسم بن أبى العلاء من الكامل :

دار تمكنت المناهج فيها نطقت سعود العالمين بفيها

ومن قصيدة أبى محمد بن المنجم [من الطويل] :

هجرت ولم أنو الصدود ولا الهجرا ولاأضمرت نفسى الصروف ولاالغدرا
وكيف وفى الأحشاء نار صبابة تشبب لى فى كل جارحة جمرا
ول لى الأفكار لما دعوتها لتنظم فى معمور بنيانه شعرا
بى متسكناً بانى المفاخر أم فخرا وجنتنا الأولى بدت أم هى الأخرى؟
أم الدار قد أجرى الوزير سعودها فلم تجر دار فى الثرى ذلك المجرى
وتبدو صحون كالظنون فسيحة نقدرها حلما فتنعتها حزرا
وفى القبة العلياء زهر كواكب من الضرب المضروب والذهب المجرى
إذا ما سما الطرف المحلق نحوها رآها سماء صحف أنجمها تقرا

ومن قصيدة أبى عيسى بن المنجم [من الطويل] :

هى الدار قد عم الأقاليم نورها ولو قدرت بغداد كانت تزورها
ولو خيرت دار الخلافة بادرت إليها وفيها تاجها وسريرها
ولو قد نبقت سر من را بحالها اسار إليها دورها وقصورها

لتسعد فيها يوم حان حضورها وتشهد دنيا لا يخاف غرورها
فما حلمت عين الزمان بمثلها وحاشا لها من أن يحس نظيرها
يقول الأولى قد فوجئوا بدخولها وحيرهم تحبيرها وحبيرها
أفى كل قطر غادة وحليها وفى كل بيت روضة وغديرها
وأبوابها أتوابها من نفوسها فلا ظلم إلا حين ترخى ستورها
معظمة إلا إذا قيس سمكها بهمه بانيها فتلك نظيرها
نمى الهمة الطولى أجالت بفكرها مبانى تكسوها العلا ويعيرها
فجاء بدار دار بالسعد نجمها وجنبت المحذور ليس يطورها
وقال لها الله الوفى ضمانه سأحميك ما ضم الليالى كرورها
أهنيك بالعمران والعمر دائم نبانيك ما أفنى الدهور مرورها
وقد أسجل الإقبال عهدة ملكها وخطت بأقلام السعود سطورها
ودارت لها الأفلاك كيف أدرتها ودانت إلى أن قيل أنت مديرها
وهاك ابنة الفكر التى قد خطبتها وقدم من قبل الزفاف مهورها
فإن كان للدار التى قد بنيتها نظير ففى عرض القريض نظيرها
وإلا جررت الذيل فى ساحة العلا وقلت القوافى قد أعيد جريرها

ومن قصيدة أبى القاسم عبيد الله بن محمد بن المعلى ، أبوه يكتب لأبى دلف سهلان بن مسافر ، وقد ورد الباب منذ أشهر ، وهو ممن يفهم ويدرى ، وله بديهة ومعرفة حسنة [من البسيط] :

بى من هواها وإن أظهرت لى جلدا وجد يذيب وشوق يصدع الكبدا
رمت بأسهم هجر لا تقوم لها خيل العزاء وإن ألبستها زردا
من مملع عنى الماهات مألكة تحيي الصديق وتردى كل من حسدا

أنى ترحلت عن قومى بها فنصاً فإن رجعت إليهم أبصروا أسدا
قل للوزير ابن عباد بنيت علا أم منزلا أم كلا هذين أم بلدا
فمن رأى دار مولانا وزينتها رأى بها كوكبا فى أفقه فردا
رأى الربيع رأى الروض المريع رأى الـــطود المنيع رأى ثهلان قد ركدا

ومن قصيدة أبى العلاء الأسدى [من الكامل] :

أسعد بدارك إنها الخلد والعيش فيها ناعم رغد
دار ولكن أرضها شرف ربع ولكن سقفه مجد
قد أثمرته همـــة صعد هى قبل والدنيا لها بعد
هى للعفاة وللندى قبل صلى إليها الشكر والحمد
إيوان كسرى فى مدائنه مند ابتنيت دموعه سرد
ولمـــارد هم يعانقه وكذاك يشجى الأبلق الفرد
والجعفرية لاقوام لها وصفا البديع وولول القرد
أحييت عبادا وأسرته فضلا ولم يشقق لهم لحد
والحى من حيث مناقبه بان يؤرخ باسمه المجد
هذى العقيلة من بنى أسد تجلى وتحذر صولها الأسد
بكر فلم يعرض لها بشر قبلى ولم يقدح لها زند
رفت إليك وحليها أدب وزكت لديك ومهرها نقد

ومن قصيدة أبى الحسن الغويرى [من مجزوء الكامل] :

دار غدت للفضل داره أفلاك أسعده مداره
منها المحامد مستقا ة والمحاسن مستعاره
شرفاتها هيف الخصو ر لها محاسن وشاره
فلكل طرف نحوها ولكل جارحة إشاره

وعلى جميع الدور فى الـــدنيا تقلدت الإماره
فترابها مسك سحيـــق شق برد الليل فاره
لا تهتدى لنعوت أد ناها الفحول بنو عماره

ومن قصيدة لبعض الشبان من أهل البلد [من الخفيف] :

هى دنيا بنيتها أم دار لجميع الأفلاك فيها تدار

ولبعض الشعراء من الغرباء من قصيدة أولها [من الهزج] :

رأينا طالعــة الدار شموساً مع أقــار
ولى مسألة بعـــد فعاجلنى بأخبـــار
بنيت الدار فى دنيــا ك أم دنيــاك فى الدار

أخذ هذا المعنى من حيث أخذه أبو الحسن بن أبى الحسن البريدى [من البسيط] :

* لمــا بنى الناس فى دنياك دورهم *

وهما أخــذاه من قول أبى العيناء حين قال له المتوكل : كيف ترى دارنا هذه ؟ فقال : يا أمير المؤمنين ، عهدى بالناس يبنون الدور فى هــذه الدنيا ، وأنت بنيت الدنيا فى دارك هذه .

ولبعضهم قصيدة أولها [من السريع] :

إن الوزير قد بنى دارا والسعد فى أكنافها دارا

ومن قصيدة أخرى [من الكامل] :

هنئت جنتك التى تبنيها وبقيت غضا ناضرا تبليها

ومن قصيدة هزلية لابن عطية الشاعر [من الكامل] :

الملك ملك والأمير أمير والدار دار والوزير وزير

ومنها وقد جد :

تزهى الملوك بدورها ولأنت من تزهى به الدنيا فكيف الدور
لا يعدم الأمراء منك سياسة لولا سعادتها وهى التدبير

وكان فى جملة الطارئين شيخ أنطاكى فى زى الكتاب حسن البيان ظريف اللهجة قد أنافت سنوه على الثمانين وخنقت التسعين ، فقال قصيدة أولها [من المنسرح] :

ما أنصف الدار واقف فيها يبنى على غيرها ويطريها
فقف بها ناشراً محاسنها وانح به ما حوت نواحيها
ووفها النعت غير مختصر فليس نزر الثناء يكفيها
يكاد يجرى السفين سافلها يكاد يعلو النجوم عاليها
لم يبق فى الناس من إذا ذكرت بوحدة الكون لم يقل إيها
فعج بها الصحب واقض واجبها وقف بها وقفة المهنيها
إن أغد ذا نعمة فواهبها أنت فداك الورى ومنشيها
وما تراه على من حلل فأنت كاس بها ومعطيها
وكل ماضم منزلى ويدى من نعمة لى فأنت موليها
لا نسى الله حسن فعلك بل أسأله فى الحياة ينسيها

قال مؤلف الكتاب : وأنشدنى أبو بكر الخوارزمى لنفسه قصيدة فى دار الصاحب عارض بها قصيدة الرستمى فى الوزن والقافية إذ هى أجود القصائد فيها [من الطويل] :

أكل بناء أنت بانيه معجز بنيت المعالى أم بنيت المنازلا
فلا الإنس تبنى مثلهن معالماً ولا الجن تبنى مثلهن معاقلا
كنائس أضحت للغمام عمائما علواً وأمست فى الظلام قنادلا

رحاب كأن قد شاكلت صدر ربها ... وبيض كأن قد نازعته الشمائلا
وبهو تباهى الأرض منه سماءها ... بأوسع منها آخرا وأوائلا
وصحن يسير الطرف فيه ولم يكن ... ليقطعه بالسير إلا مراحلا
تلوح نقوش الجص فى جدرانه ... كما زين الوشم الدقيق الأناملا
وماء إذا أبصرت منه صفاءه ... حسبت نجوم الليل ذابت سوائلا
رأيت سيوفاً قد سللن على الثرى ... وصارت لها أيدى الرياح صياقلا
وروض كعيش السائليك نضارة ... ووجهك بشراً حين تلحظ آملا
أصائله للنـور أضحت هواجرا ... هواجره للطيب أضحت أصائلا
هى الدار أمست مطرح العلم فاغتدى ... لها ناهل الآمال ريان ناهلا
إذا ما انتحاها الركب لم يتطلبوا ... إليها دليلا غير من كان قافلا
وأنت امرؤ أعطيت ما لو سألته ... إلهك قال الناس أسرفت سائلا
وإنى وإلزاميك بالشعر بعد ما ... نعلمته منك الندى والفواضلا
كملزم رب الدار أجرة داره ... ومثلك أعطى من طريقين نائلا

وأنشدنى أيضاً لنفسه فيها [من مجزوء الوافر] :

بنيت الدار عالية ... كمثل بنائك الشرفا
فلا زالت رءوس عدا ... ك فى حيطانها شرفا

* * *

ذكر البرذونيات

لما نفق برذون أبى عيسى بن المنجم بأصبهان وكان أصدا قد حمله الصاحب عليه وطالت صحبته له أوعز الصاحب إلى الندماء المقيمين فى جملته أن يعزوا أبا عيسى ويرثوا أصداه فقال كل منهم قصيدة فريدة ، فمن قصيدة أبى القاسم الزعفرانى [من الخفيف] :

كن مدى الدهر فى حمى النعماء ... مستهينا بحادث الأرزاء

ينتنى الخطب حين يلقاك عن طو د شـــديد الثبات للنـكباء
بك يا أحمـد بن موسى التسلى والتعزى عن سائر الأشيـاء
ومعزيك لا يزيدك خـــبرأ بالذى قـد عرفته بالعزاء
قـد سخا طرفك المفارق بالنفـــس وطرفى من بعـــده بالماء
يا له جمـــرة ونجما وشؤبو بأ وبرقا وطائراً فى الرواء
راكب الليل خائض السيل عين الـــخيل ـ عانته أعين الأعداء
فقد الوحش منـــه أول قطا ع إليهـا المدى أمام الضراء
واستراحت من نقعه مقلة الشمـــس ومن لاطمه خدود الفضاء
ما بدا والصباح قد لاح إلا جاءنا من فنامه بالمساء
وترى الطود حين يمثل بجمو ءٍ على ضمر القنا فى الهواء
كم ركبت البراق منه أبا عيـــسى وإن لم نكن من الأنبياء
فرس لو علاه ذو الزهد عمرو بـــن عبيد لتاه فى الخيـلاء
عـدة الفارس الذى خانه الصبـــر فرامى بصدره فى اللقاء
مد تمليته وإن كنت ما شا هدت فى ظهره وغى الهيجاء
فترى ما يراه غيرك فى الحر ب ونقلى طريقه الندماء
كل بؤسى أتتك من قبل اللـــه فسلم فيها لجارى القضاء
سوف تعتاض من خصيبك فلا لم بشنه سطاره بالخصاء
من لهى سيد سخى سرى يشترى بالعلاء كل العلاء
أى رزء وأىّ وزر على من بتقوى أنهض الوزراء
أيهـا الصاحب الجليل أتم اللـــه نعماك عنـــدنا بالنماء
كم كرعنا من حر عرفك فى كفـــك أصفى ماء بأوفى إناء

سنة سنها فتى لا يريد الـ ـوصل بين البيضاء والصفراء
جمع الله شمل معتصم منـ ـك بحبلى مودة وولاء

ومن قصيدة أبي الحسن بن عبد العزيز الجرجاني [من الخفيف] :

جل والله ما دهاك وعزاً فعزاء إن الكريم معزى
والحصيف الكريم من إن أصابت نكبة بعد ما يعز يعزى
هي ما قد علمت أحداث دهر لم تدع عدة تصان وكنزا
قصدت دولة الخلافة جهرا فأبادت عمادها والمعزا
وقديما أفنت جديساً وطسما حفزتهم إلى المقابر حفزا
اصغ والحظ ديارهم هل ترى من أحد منهم ونسمع ركزا
ذهب الطرف فاحتسب وتصبر للرزايا فالحر من يتعزى
فعلى مثله استطير فؤاد الـ ـحازم الندب حسرة واستفزا
لم يكن يسمح القياد على الهو ن ولا كان نافرا مشمئزا
رب يوم رأيته بين جرد تتقفاه وهو يجمز جمزا
وكأن الأبصار تعلق منه بحسام يهز في الشمس هزا
وتراه يلاعب العين حتى تحسب العين أنه يتهزا
وسواء عليه هجر أو أسـ ـرى أو انحط أو تسنم نشزا
وكأن المضمار يبرز منه متن حسى ينز بالماء نزا
استراحت منه الوحوش وقد كا ن يراها فلا ترى منه حرزا
كم غزال أنحى عليه وعير نال منه وكم تصيد فزا[1]
وصروف الزمان تقصد فيما يستفيد الفتى الأعز الأعزا
فإذا ما وجدت من جزع النكـ ـبة في القلب والجوانح وخزا

(١) الفز : الظبي الفزع .

فتذكر سوابقاً كان ذا الطر ف إليهن حين يمدح يعزى
أين شق وداحس وصبيب غمزتها حوادث الدهر غمزا[١]
غلن ذا اللمة الجواد ولزت طوبا واللزاز والسلب لزا
واقد بزت الوجيه ومكتو ماً بنى أعصر وأعوج بزا
وتصدت للاحق ومته وغراب وزهدم فاستفزا
فاحمد الله إن أهون ما تر زأ ما كنت أنت فيه المعزى
قد رثينا ولم نقصر وبالعـــنا وفى البعض ما كفاه وأجزى
ومن العدل أن تتاب أبا عيـــسى على قدر ما فعلنا ونجزى

ومن قصيدة أبى القاسم بن أبى العلاء [من الطويل] :

عزاء وإن كان المصاب جليلا وصبراً وإن لم يغن عنك فتيلا
وخفض أبا عيسى عليك ولا تفض دموعاً وإن كان البكاء جميلا
وراجع حجاك الثبت لا يغلب الأسى أساك وإن حملت منه ثقيلا
ولا تستفزنك الهموم وبرحها حلمك قبل اليوم كان أصيلا
وإن نفق الطرف الذى لو بكيته دماً كان فى حكم الوفاء قليلا
أقب يروق العين حسناً ومنظرا ويرحمها يوم الحضار كليلا
إذا مابدا أبدى لعطفك هزه ونفسك إعجاباً به وقبولا
كلمع الشهاب خفة وتوقدا وجذع الحضار هادياً ودليلا
إذا قلت قف أبصرته الماء جامداً وإن قلت سر ماء أصاب مسيلا
خلت قصبات السبق منه وأيقنت رياح الصبا أن لا تجدن رسيلا
بكته جلال الخز وانتحبت له مخالى حرير رحن منه عطولا

---

(١) شق . وداحس ، وصبيب، وذا اللمة ، وطرب ، واللزاز ، والسلب والوجيه ، ومكتوم . وأعصر ، وأعوج ، ولاحق ، وغراب . وزهدم . كلها أسماء أفراس سوابق للعرب

أقام عليه آل أعوج مأتماً وأعلى له آل الوجيه عويلا
ففي كل إصطبل أنين وزفرة تردد فيه بكرة وأصيلا
ولو وفت الجرد الجياد حقوقه لما رجعت حتى الممات صهيلا
وقد أنصفته الخيل ماذقن بعده شعيراً ولا تبناً ومتن غليلا
فقدت أبا عيسى بطرفك مركباً جليلا وخلا ما علمت نبيلا
عتادك في الجلى وكهفك في الوغى وعونك يوما إن أردت رحيلا
غرفتما لا عن تقال وكنتما لفرط التصافي مالكا وعقيلا
وهبت لعقبان الفلاة لحومه وكنت بها لولا القضاء بخيلا
ووزعتها بين النسور غنيمة صفايا ومرباعا لها وفضولا(١)
وأعززته دهراً فلما سطا به الـ ـردى لم تجد بدا فصرت مذيلا
على أنها الأيام شتى صروفها تذل عزيزا أو تعز ذليلا

ومن قصيدة أبي الحسن السلامى [من الوافر] :

فدى لك بعد رزئك من ينام ومن يصبو إذا سجع الحمام
ونفسى بالفداء عنيت لا من ينام عن الحفوق ولا يلام
ألا نفق الجواد فلا عجاج تقوم به الحروب ولاضرام
وكان إذا طغت حرب عوان جرى ورسيله الموت الزؤام
إذا رميت به الغابات صلت صفوف الخيل وهو لها إمام
تمهر في الوقايع وهو مهر ولا سرج عليه ولا لجام

(١) الصفايا : جمع صفى ، وهو ما كان يأخذه رئيس الجيش لنفسه من الغنيمة قبل قسمها . والمرباع : هو ربع كان يختص به الملك من الغنيمة في الجاهلية ، وقال شاعرهم :

لك المرباع وحدك والصفايا وحكمك والنشيطة والفضول

فلما لم يدع فى الأرض قرناً   تخونه فعاجله الحمام
وعود عافيات الطير طعماً   وشرب دم إذا حرم المدام
فلما لم يطق نهضاً أتته   فقال لها أنا ذاك الطعام
وجاد بنفسه إذا لم يجد ما   يجود به. كذا الخال الكرام
وكنت البدر عارضه كسوف   بنحس حين تم له التمام
فلا تبعد وإن أبعدت عنا   فهذا العيش لبس له انتظام
إذا لم نكشف الأصدا همومى   فليت الخيل أصداء وهام(١)
طوى الحدثان طرفك يا ابن يحيى   فطرفى ما يعاوده المنام
ولم أحضره يوم قضى فيشكو   تحمحمه الذى صنع السقام
ولا حبرت ليلة جر جسم   ركت عندى له نعم جسام
ألم أقسم عليك لتخبرنى   أمحمول على النعش الهمام(٢)
مضوا يتناقلون به خفافاً   عليه من الضباع له قيام
فبزوه وما عروه درعا   نبت عنه الصوارم والسهام
أيقتله الحمام أشد قرن   وأكرمه وتسلبه اللئام
أبا عيسى تعز فدتك نفسى   فإن الموت قرن لا يضام
أقم فى ظل إسماعيل تضمن   لك الدرك السلامة والدوام
إذا بقى الوزير لنا وفينا   فقل للدهر يهلك والأنام
وعطت بها أخا ورثيت مالا   وأدبت الأمانة واسلا

---

(١) الأصداء : جمع صدى . وهى صوت طائر يصر بالليل تزعم الجاهلية أنه يخرج من رأس المقتول ، والهام — ومثله الهامة — الطائر الذى يخرج من رأس القتيل ، وقال ذو الأصبع العدوانى .
يا عمرو إلا تدع شتمى ومنقصتى   أضربك حيث تقول الهامة اسقونى
(٢) هذا البيت للنابغة الذبيانى يخاطب به صاحب النعمان بن المنذر وحاجبه عصاما .

ومن قصيدة أبي محمد الخازن [من المنسرح] :

لو سامح الدهر أعصما صدعا أو كاسراً فوق مربإ وقعا
أو صاحباً ساقه نواهضه أو سبعا في عرينه شبعا
أبقى لنا ذلك الجواد ولم يغدو لصفو الهبات منتزعا
لست أقيل الزمان عثرته فليس يدرى الزمان ماصنعا
آه على ذلك الجواد فقد جرع قلبي من كأسه جرعا
آه عليه من أصدأ جزع طاوع دهراً أودى به جزعا
آه عليه وقد سرى لمعاً فراح غيضا كبارق لمعا
لم يكب في جريه إذا كبت الـ ـخيل ولا قال راكبوه لعا
صفا أديماً وحافراً وقحاً والعين والساعدين والسفعا(١)
عريض زور وبلدة وصلا رحيب صدر ومنخر ومعا(٢)
إذا هوى فالعقاب منخفضاً وإن رقى فالسحاب مرتفعا
كأنه بالسماك منتعل فليس يشكو في وقعه وقعا
أوجعك الله يازمان فقد رحت حزيناً بفقده وجعا
قد لان للموت أخدعاه ومن خادعه الدهر عاد منخدعا
كم قلت للنفس وهي مزعجة أيتها النفس أجملي جزعا(٣)
قد شرع القائلون باباً إلى الصـ ـبر عليه فأصبحوا شرعا
لا تصحب الهم في الجواد أبا عيسى ودعه ولا تكن جزعا
فنائل الصاحب الجليل أبي الـ ـقاسم إسماعيل الحيا همعا
وانظر إليه كأنه قمر أزهر من ثنى دسته طلعا

(١) السفع ، من الخيل : مواضع الوسم
(٢) البلدة : الصدر . والصلا : وسط الظهر ، والمعا : هي الأمعاء
(٣) العجز : صدر مطلع مرثية لأوس بن حجر ، وعجزه
* إن الذى تحذرين قد وقعا *

ولا نضق بالذى فقدت يداً إن لنـا فى نداه منسعا
فاسمع قريضاً من موجع جزع ويرحم الله صاحباً سمعا

ومن قصيدة أبى سعيد الرستمى [من المنسرح] .

لو أعتب الدهر من يعاتبه ولان للعاذلين جانبـه
أو كان يصغى إلى شكاة شج صبت على قلبه مصائبه
أحسنت عنك المناب فى حرق تشعلها فى الحشى نوائبـه
ولم أزل عن شكاته أبداً ولم أزل دائباً أعاتبه
لهفى على ذلك الجواد وهل يفك رهن المنون نادبه
لو كان غير الممات حاوله لفللت دونه مخالبـه
أو كان غير المنون يخطبه رمل أنف أبداه خاطبـه(١)
أو حارب الدهر مشفق حدب لقمت فى وجهه أحاربه
من لجوى حل بى عساكره وحط بين الحشى مضاربه
فلست أرجو انقلاعه أبدا أو يجلب الصبر لى جوالبـه
يرند بين الضلوع لى نفس من ذكره ضاق بى مساربه
لهفى على ذلك الجواد مضى فى سفر لا يؤوب غائبـه
لو عرف الخيل من نعيت لها ضاقت بها فى السرى مذاهبه
أو علم القفر من نعيت له لانسد للسالكين لاحبـه
نباشر الوحش فى الفلاة له فقد صفت بعده مشاربه
فنام ملء الجفون شارده وسام ملء البطون ساربه
بكى لتقريبه الرياح معاً فهن فى جريهـا أقاربه
عهدى به والجنوب تجنبه إذا جرى والصبا تجانبـه
والهوج فى حضره تحاذره والنكب فى سيره تناكبه

(١) أخذ هذا من قول المهلهل وقد أكره على تزويج ابنته :

لو بأبانين جاء يخطبهـا رمل ما أنف خاطب بدم

ياحسنه والعيون ترمقه وأنت يوم الرهان راكبه
ترخي عليه العنان فى عنق حتى إذا ما التوى تجاذبه
إن سار فى السهل هاج ساكنه أو سار فى الحزن صاح صاحبه
يوسعه إن رآه حاسده مدحاً ويثنى عليه جاذبه

أخذه من قول أبى تمام :

« عوذه الحاسد بخلا به »

رجع :

أصدأ يحكى الظلام . غرته البدر . وتحجيله كواكبه
أعاره الروض وتى زهرته فعاد فى لونه يناسبه
وطالب لايعوز هاربه وهارب لا ينال طالبه
كم موكب سار فى جوانبه فاهتز زهواً به كتائبه
وعسكر زانه تحمحمه فارتج من صوته مواكبه
ومجهل راح وهو جائبه لولاه لم تطوه نجائبه
صبراً جميلا وإن سلبت أبا عيسى جليلا فالموت سالبه
والموت إن جار فى الحكومة أو أنصف فالمرء لا يغالبه
فى الصاحب المرتجى لنا خلف من كل ماض خفت ركائبه
إن نفق الطرف أو أصيبت به مانفقت عندنا مواهبه
لم يود طرف وإن فقدت به علقاً نفيسا ماعاش واهبه
دام لنا فى النعيم ماطلعت شمس وجلى الظلام ثاقبه

ومن قصيدة أبى العباس الضبى [من الطويل] :

دعا ناظرى يفقد لذيذ اغتماضه وقلبي يستسعر أليم ارتماضه
فقد باد سباق الجياد بنفسه فلا ظهر منها لم يمل لانهاضه

أبيد فما للبيد طرف وضرفه صحيح ولم يقرحه حر ارفضاضه

نفوس عتاق الخيل فيضى افتقده وأعينها فيضى لوشك انقراضه

وأظهرها حطى السروج نفجه له وردى ماء الردى من حياضه

لقد كان وفق الجو عند ارتفاعه نشاطاًوملءالأرض عندانخفاضه

لو أن خدود الورد أرض لأرضه لما مسها منه أذى بارتكاضه

يريك نحول السهم عند اقتباله ويبدى مثول الطود عند اعتراضه

وقور إذا خليته وطاعه وإن هز الأرضين فرط انتفاضه

ويخفي اصطفاق الرعد رجع صهيله ويخفت صوت الليث بين غياضه

نعز أبا عيسى وليك ثابت وجل التسلى لم يرع بانتقاضه

ومن عرف الدنيا استهان بخطبها ولا سيما من طال عهد ارتياضه

ولو قبل الدهر الخؤون ذخائرى لقدمتها عنه رضى باعتياضه

ولكنه يبقى الذى لا نوده ويردى الذى نهوى بصرف غضاضه

وهذا الذى فى لوغدا زاد مرسع لشيب فوديه اشتعال بياضه

سقا الأصدأ الكدرى ما نقع الصدا غمام حداه الرعد عند انتهاضه

وفى بعض حملان الوزير معوضة وسلوان قلب مسلم لانقضاضه

فنبر كيفما آثرت فوق جياده ومس كيفما أحببت بين رياضه

ومن أرجوزة أبي دلف الخزرجي [من الكامل] :

دهر على أبنائه وثاب نعجمهم أنيابه الصلاب

فما لهم من كيده حجاب يالك دهراً كله عقاب

أصبح لا يردعه العتاب إن المنايا ولها أسباب

تصيدنا والصيد مستطاب واهاً لنساء ماله إياب

لكل قلب بعده اكتئاب مسوم تعنو له الأسراب

أصدأ بادى الحسن لا يعاب ... قد كملت فى طبعه الآداب
وهذبت أخلاقه العذاب ... أقب مما ولد الأعراب
ذو نسب تحسده الأنساب ... وميعة ينزو بها الشباب
كأنما غرته شهاب ... كأنما لباته محراب
كأنما حجوله سراب ... كأنما حافره مجواب
للصخر عند وقعه التهاب ... إذا تدانى فهو الحباب
إن القرارات له أنصباب ... وإن علا فالصقر والعقاب
للريح فى مذهبه ذهاب ... فالوحش ما يلقاه والهراب
دماؤها لنحره خضاب ... يا غائبا طال به الإياب
لا خبر منك ولا كتاب ... ما كنت إلا روضة تنتاب
مستأنساً تألفك الرحاب ... تعشقك العيون والألباب
ترتج كالموج له عباب ... تناوبتك للردى أنياب
تجزع من أشالها الأحباب ... وكنت لو طالت بك الأوصاب
يخف فى مصرعك المصاب ... ما طاب عن أضرابك الإضراب
ولا صحا من حبك الأصحاب ... وأنت فرد ماله أتراب
يا حزناً إذ ضمك الخراب ... وأغلقت من دونك الأبواب
كصارم أسلمه القراب ... وقد جرى من فمك اللعاب
وامتار منه النحل والذباب ... واعتورتك الفئة الغضاب(١)
وفيك أطراف المدى تنساب ... حتى نضى عن جسمك الإهاب
هل هو إلا هكذا العذاب ... وقد غدا الإصطبل والجناب
يبكيك والسائس والبواب ... والسرج واللجام والركاب

---

(١) امتار النحل والذباب : جنى الزهر

قل لأبي عيسى وما الإسهاب بنافع تم لك النــــواب
والرأى فى دفع الردى صواب فاسكن فهـذا الصاحب الوهاب
شـــيمته السخاء والإيجاب فى جـوده وفضـله مناب
آلاؤه ليس بهـا ارتيـاب يضـل فى إحصائهـا الحساب
لا زال والدعاء يستجاب يبقى لنـا ما بقى التراب

ومن قصيدة أبى محمد محمود [من الطويل] :

بكاء على الطرف الذى يسبق الطرفا على ذلك الإلف الذى فارق الإلفا
وقف مدد الأحزان وقفـاً مؤبداً عليه وخل الدمع يجرى له وكفا
على أصدأ زان الحلى إذا اغتدت عليه وزان البيض والبيض والزغفا(١)
على أصدأ جاراه ألف مشهر عتيق فوافانا وقد سبق الألفا
على فرس جارى الرياح على حفاً فغادرها حسرى وخلفها ضعفى(٢)
جواب الذى ينعى إليه أبا لهفا على ذلك الأصدا وقل له لهفى
أقام بمثواه الجياد مناحـة كما عقدت وحش الفلاة به فصفا
وآل الغراب والوجيـه ولاحق أدامت عويلا لا أطيق له وصـفا
فكم أقرحت خداً وكم ألهبت حشاً وكم أوجعت قلباً وكم أدمعت طرفا
ولو عرفت حسناء داود حقـه لما ضفرت شعراً ولا خضبت كفا
فكم قد حماها يوم حرب وغارة ولم نزعت من خوفها القلب والشنفا(٣)

---

(٢) البيض : السيوف ، والبيض ، جمع بيضة ، وهى غطاء الرأس فى الحرب ، والزغف : الدروع اللينة الواسعة المحكمة الرقيقة

(٢) الحفا : رقة القدم والخف

(٣) القلب ـ بضم القاف ـ سوار المرأة . والشنف : حلية تلبسها فى أعلى الأذن

يطير على وجه الصعيد إذا جرى فما إن يمس الأرض من أرضه حرفا
ويعطيك عفواً من أفانين ركضه إذا سمته التقريب أو سمته القطفا(١)
له ذنب ضاف يجر على الثرى طويل كأذيال العرائس بل أضفى(٢)
له غره مثل السراج ضياؤها وأى سراج بالنوائب لا يطفا
سقى الغيث رهواً مشبهاً ذلك الكنفا وطوداً منيفاً حاكياً ذلك الردفا
يواجه وجه الوحش إن سار خلفها فيجعلها من حيث لم يحتسب خلفا
ويرجع مخضوب البنان كأنه عروس وقد زفت إلى خدرها زفا
وإن خاف من عين النواظر أهله عليه فدوا دون مربطه سجفا
إذا ما غزا الغازي عليه قبيلة فلا حافراً أبقى عليه ولا خفا
يراه كميت وهو لهفان واله لميتته يطوى الظلام وما أغفى
ولو أنه فد كان حقق موته لجز عليه للأسى الشعر الوحفا(٣)
وما أنا ممن يظهر الشجو آمناً وإن عظيمات المصائب لا تخفى
ولولا وفاء فيه كنت أقوده إليك بلا من ولكنه استعفى
كراهيه من أن يقوم مقامه حفاظاً وبعض الخيل يستعمل الظرفا
وأعفيته أن الوزير معوض ومن ذا الذى يرجو نداه ولا يكفى
فعول أبا عيسى عليه فإنه سيكفيك خطب الدهر وهو به أكفى
ولو لم يرد تعويضه لك عاجلا لقال له رفقا وقال له وقفا
فإن صروف الدهر تحت يمينه فإن شاءها بعثا وإن شاءها صرفا
هو البحر يغنى الناس من كل جانب فغرفاً من البحر الذى زرنه غرفا

---

(١) التقريب : ضرب من العدو ، أو أن يرفع رجليه معا ويضعهما معا
(٢) الأضفى : السابغ الكثير
(٣) الوحف : الشعر الكثير الأسود

هو الغيث يعطى كل غاد ورائح ... عطاء جزيلا لا بكيئا ولا نشفا(١)
كريم إذا ما جاءه ابن حظيـة ... ألان له عطفاً وأبدى له عطفا
أقام مناراً للندى والهدى معا ... فعاد انسا كهفا وصار لطفا
تعز أبا عيسى وإن أعوز الأسى ... وعاود هديت اللهو والطيب والعرفا
وهاك كأمثال الرياض سوابقا ... نسير قوافى الشعر من خلفها خلفا

ومن قصيدة أبى عيسى [من الطويل] :

لقد عظمت عندى المصيبه فى الأصدا ... وأبدت لى اللذات من بعده صدا
وأهدي إلى قلبى المصاب بفقده ... من الحزن ما لو نال يذبل لانهدا
وأصبحت مشغول المدامع بالبكا ... ولى مهجة تستشعر الحزن والوجدا
ولو كان يغنينى الفـداء فديته ... بنفسى وأهلى فهو أهل لأن يفدى
ولـكنه لبي المنون مبادرا ... ويالبتـه لما دعاه الردى ردا
مضى الطرف واستولى على الطرف دمعه ... وألهب فى الأحشاء من حرق وقدا
مضى الفرس السباق فى حلبة الوغى ... فعادت عيون الخيل من بعده رمدا
يبيد الرياح كلها فى حضاره ... فتتركه كرها وقد بذلت جهدا
مواقفه عند الطراد شهيره ... تجاور فى أعجازها الوصف والحدا
نسيم الصبا يحكيه فى هزل سيره ... وتزهبه ريح الشمال إذا جدا
فقد صار نهبى بين وحش وطائر ... غدا سبدا فيها وراح لها عبدا
تسل أبا عيسى ولا تقرب الأسى ... وكن حازما شهما وكن بازلا جلدا
فقد كمد الأخوان من فرط حزنهم ... وقد تمت الحساد مذ فقد الأصدا
وأصبح أبناء الشجاعة حسرا ... فمن قارع سنّ ومن لاطم حدا
وقد هاج لى حزنا عليه تحسرى ... فهيمنى وجدا وذكرنى نجدا

---

(١) البكيء : القليل ، والنشف كذلك

جواد عزيز أن يجود بمثله جواد ومن يعدى عليه إذا استعدى
سوى الصاحب المأمول للجود والندى ومن كفه من صيب خضل أندى
أتاح لنا الإحسان من كل جانب فحصل منا الشكر والنشر والحمدا
له همة فوق السماء مقيمة تعلم من يرجوه أن يطلب الرفدا

ومن قصيدة لبعض أهل نيسابور قالها على لسان أحد الندماء [من مخلع البسيط] :

كل نعيم إلى نفاد كل قريب إلى بعاد
كل هبوب إلى ركود كل نفاق إلى كساد
وكل ملك إلى زوال وكل كون إلى فساد
وصادق من يقول فاسمع والسمع باب إلى الفؤاد
قد بلغ الزرع منتهاه لا بد للزرع من حصاد
لهفى على أصدأ جواد من همة الصالح الجواد
منقطع المثل فى البلاد وغرة الطرف والتلاد
لهفى على أصدأ مسيح قد كان ماء وأنت صادى
وكان ناراً وكل نار فمنتهاها إلى الرماد
كان من العين والفؤاد فى العين من مركز السواد
لو شرب الصافنات راحا لكان ريحانة الجياد
عهدى به شاهقا منيفا يمر مرا إلى صعاد
أسرع من لحظة وأحلى فى العين من طارق الرقاد
أجرأ من ضيغم وأجرى من سيل ليل بقعر وادى
سليل ريح أخو شهاب طود جمال هلال نادى
عدة سار عتاد غاد فعدة قار عماد بادى
أسير مما يقال فيه والشعر حوابه البلاد

كأنما خلقه سداد   قد صب فى قالب السداد
كأنه ساحر عليم   من راكب الطرف بالمراد
عين أصابته لا رأت من   تهوى لقاه إلى التنادى
نفذت يا دهر شر سهم   أتى على خير مستفاد
لو كان يغنى الدفاع عنه   جعلت ترسا له فؤادى
فاصبر لحكم الإله وانقد   للحق يا فاقد الجواد
هون عليك الملم يا أبا   عيسى وكن ثابت العماد
أنت من الصاحب المرجى   ما عشت فى نائل معاد

* * *

ذكر الفيليات

لما حصل الصاحب فى رفعة جرجان على الفيل الذى كان فى عسكر خراسان، أمر من بحضرته من الشعراء أن يصفوه فى تشبيب قصيدة على وزن قافية قول عمرو بن معدى كرب [من مجزوء الكامل] :

أعددت للحدثان سا   بغة وعداء علندى(١)

فمن قصيدة أبى القاسم عبد الصمد بن بابك [من مجزوء الكامل] :

قسما لقد نشر الحيا   بمناكب العلمين بردا
وتنفست يمنــة   تستضحك الزهر المندى
وجريحة اللبات تنــ   ـسر من سقيط الدمع عقدا
نازعتها حلب الشئو   ن وقلما استعبرت وجدا
ومساجل لى قد شققـــ   ـت لداته فى فى خدا
لا ترم بى فأنا الذى   صيرت حر الشعر عبدا

(١) السابغة : الدرع ، والعلندى : الغليظ من كل شىء ، وأراد به الفرس

بشوارد شمس القيا د يزدن عند القرب بعدا
ومسك البردين فى شبه النقا شية وقدا
فكأنما نسجت عليـــه يدالغمام الجون جلدا
وإذا لوتك صفاته أعطاك مس الروع فقدا
فكأن معصم غادة فى ما ضغيه إذا تصدى
وكأن عوداً عاطلا فى صفحتيه إذا تبدى
يحدو قوائم أربعاً يتركن بالتلعات وهدا
جاب المطرف قد تفر د بالفراهة واستبدا
وإذا تخلل هضبة فكأن ظل الليل مدا
وإذا هوى فكأن ركـــناً من عماية قد تردى
وإذا استقل رأيت فى أعطافه هزلا وجدا
منقرط أذنا تعى زجر العسوف إذا تعدى
خرقاء لايجد السرا ر إذا تولجها مردا
أوطأته مرعى· نسيـــبي واجتنبت وصال سعدى
ملك رأى الإحسان من عدد العواقب فاستعدا
كافى الكفاة إذا انثنت مقل القنا الخطى رمدا
نكسوه نشر العرف كـــف من جفون الطل أندى
لا زلت ياأمل العفا ة لفارط الآمال وردا
والق الليالى لابساً عيشاً برود الظل رغدا

ومن قصيدة أبى الحسن الجوهرى [من مجزوء الكامل] :

قل للوزير وقد نبدى بستعرض الكرم المعدا
أفنت أسباب العلا حتى أبت أن تستجد

لو مس راحتك السحا ب لأمطرت كرماً ومجدا

لم ترض بالخيل التى شدت إلى العلياء شدا

وصرائم الرأى التى كانت على الأعداء جندا

حتى دعوت إلى العـدى من لا يلام إذا تعدى

متقصياً تيه العلو ج وفطنة أعيت معدا

فيلا كرضوى حين يلـبس من رقاق الغيم بردا

مثل الغمامة ملئت أكنافها برقا ورعدا

رأس كقلة شاهق كسيت من الخيلاء جلدا

فتراه من فرط الدلا ل مصعرا للناس خدا

يزهى بخرطوم كمثـل الصولجان يرد ردا

متمرد كالأفعوا ن تمده الرمضاء مدا

أو كم راقصة تشيـر به إلى الندمان وجدا

وكأنـه بوق تحر كه لتنفخ فيه جدا

يسطو بساريتى لجيـن يحطمان الصخر هدا

أذناه مروحتان أسـندتا إلى الفودين عقدا

عيناه غائرتان ضيـقتا لجمع الضوء عمدا

قاسوه باسطرلاب تجـمع نقبه ما لن يحدا

تلقاه من بعد فتحـسبه غماماً قد تبدى

متنً كبنيان الخور ق ما يلاقى الدهر كدا

ردما كدكة عنبر متمايل الأوراك نهـدا

ذنباً كمثل السوط ضـرب حوله ساقا وزندا

يخطو على أمثال أعـمدة الخباء إذا تصدى

أو مثل أميال نضـد ن من الصخور الصم نضدا
متورد حـوض المنيــة حيث لا يشتاق وردا
متلفعاً بالـكبريا ء كأنه ملك مفدى
أدنى إلى الشيء البعيــد يراد من وهم وأهـدى
أذكى من الإنسان حـــتى لو رأى خللا لسدا
لو أنه ذو لهجـة وفى كتاب الله سردا
قل للوزير عبدت حـــتى قد أتاك الفيل عبـدا
سبحان من جمع المحا سن عنده قربا وبعدا .
لو مس أعطاف النجو م جرين فى التربيع سعدا
أو سار فى أفق السما ء لأنبتت زهرا وورد

ومن قصيدة أبي محمد الخازن [من مجزوء الكامل] :

حازوا سعود ديار سعدى ورعوا جناب العيش رغدا
وقضوا مآرب للصبا مذ أبدلوا بالغور نجدا
سكنوا محلا بالدمى أضحى محـلا مستجدا
عطفت على ظباؤه ما شئت سالفة وقدا
وشفيت حر الوجد من برد سقى الأكباد بردا
عجبا أشيم لثغرها برقا ولست أحس رعدا
وغدوت أجنى من غصو ن البـان تفاحا وودا
وبنفسى القمر الذى لما تصدى تم صـدا
يا هذه أهدى الوصا ل تكرما إن كان يهدى
وتذكرى عهد الصبا فى بيت عاتكة المفدى
لا تنكرى تتيما أنـــه نفوده وقدا فوقـدا

وتعلى أن الشبا ب وإن وفى فرض يؤدى
وإذا أعير فإنه لا بد من أن يستردا
كم ليلة ساورتها وقضيتها حسنا وجدا
وأرى النجوم لآلئاً فى الجو تجلو اللازوردا
حتى تحول أدهم الـــظلماء فى الأفقين وردا
وبدا الصباح يحل من جيب الدجى ما كان شدا
وقريت همى أعسا تذر الربى بالوخد وهدا
فوردن أفنيــه العلا معمورة بمحمدن وردا
حيث الفضائل والفوا ضل فمن إحصاء وعدا
حيث الوغى مشبوبه نيرانها وهجاً ووقدا
ومهابة كادت لها صم الجبال تخر هدا
أقياله بقدحى فى ظلم الوغى زندا فزندا
تسرى كسحم سحائب بجنائب تزجى وتحدى
ولبسن دكن ملابس غبرا معاطفهن ربدا[1]
ورمقن عن أجفان مضـــمرة على الأعداء حقدا
وفغرن أفواها كأفـــواه المزاد تروع دردا[2]
وكشرن عن أنيابها مثل الحراب شباً وحدا
من كل جهم خلته يوم الوغى غولا تصدى
كبنية من عسبر دعمت سوارى الساج نضدا
وعليه طارومه نزهى بها حرا وبردا

---

(١) الدكن : جمع الأدكن . وهو المائل إلى السواد . والربد : جمع أربد . وهو الذى لونه إلى الغبرة (٢) فغر فاه : فتحه . وتروع : تطلب ، والدرد : جمع أدرد . وهو الذاهب الأسنان

لولا انقلاب لسانه لرأيته خصما ألدا
متوليا أمرا ونهـــيا مالكا حلا وعقدا
وكأنما خرطومه راووق خمر مد مدا
أو مثل كم مسبل أرخته للتوديع سعدى
وإذا التوى فكأنه الـــثعبان من جبل تردى
وكأنما انقلبت عصا موسى غداة بها تحدى
متعطفاً كالصولجا ن بساحة الميدان يحدى
يكسى الحداد وتارة يكسى نسيج الدرع سردا
وكأنما هو خاضب بالإثمد الجارى جلدا
لون حكى إظلامه لون المشبه ليس يهدى
مستيقظ أبداً ويكـــبر أن يعير العين رقدا
كفل تموج كالـكثيـــب تهيله صوبا وصعدا
قد ساد كل بهيمة كيسا ومعرفة وجدا
فكأنه يوم الوغى يكسى من الخيلاء بردا
وإذا انثنى من حربه يسعى فيرقص دستبندا
أودى بمن عادى الوزيـــر وعمهم حصرا وحصدا
من عزمه كالعضب قـــد وعلمه كالبحر مدا
مستوحش بالسلم لم تألف ظباه قط غمدا
كالغيث يهطل سائحا والليث يبرز مستبدا
وزر الملوك ونابها الـ أعلى وساعدها الأشدا
أى اسم فخر لم يحز ه؟ وأى مجد لم يعدا؟
أم أى ثغر لم يفتـ ـه ولم يشده ولم يسدا؟

كافى الكفاة المرتجى والسيد الهادى المفدى
ما الحر إلا من غدا للصاحب المأمول عبدا
ولئن أجدت مديحه فلطالما أغنى وأجدى
وقربت منه فالتفت إلى الزمان وقات بعدا
واعتضت غير مخيب من مستمر النحس سعدا
وكفيت ثمداً ناضبا وسقيت ماء العيش رغدا
ومنحت إنصافا بعو ن الله من دهر تعدى
خذها إليك شواهدا فى ألسن الراوين شهدا
هذبتها وجلوتها لحسن خاتمة ومبدا
قد كان يكدى خاطرى لكن بمدحك هد أبدا
أعددت للحدثان جو دك دون عداء علندى
وعلمت أنك واحد فى العالمين خلقت فردا
تذر الوعيد نسيئة كرما وتحو الوعد نقدا
ويفوح خلقك عن عبيـ ـر حوله زهر سندى
أنا غرسك الزاكى بكفـ ـك مثمراً أدبا وودا
فسأملأ الدنيا بما استمليت من جدواك حمدا
هى طاعتى حتى أرى متبوئا فى الترب لحدا
نفديك نفسى من عوا دى كل مكروه ومردى

ولم يحضرنى الآن من الفيليات أكثر من هذه الثلاث . وإذا وجدت من أخوتها ما يصلح الإلحاق بها ألحقته بمشيئة الله تعالى وإذنه . والحمد لله أولا وآخراً . وظاهراً وباطنا

خبر سبطه الشريف أبي الحسن عباد بن على الحسنى

لما أتت الصاحب البشارة بسبطه أبي الحسن عباد أنشأ يقول [من مجزوء الرمل]:

أحمد الله لبشرى أقبلت عند العشى
إذ حباني الله سبطا هو سبط للنبي
مرحبا ثمة أهلا بغلام هاشمي
نبوى علوى حسنى صاحبي

ثم قال [من البسيط] :

الحمد لله حمدا دائما أبدا إذ صار سبط رسول الله لى ولدا

فقال أبو محمد الخازن على وزنه ورويه قصيدة أولها [من البسيط] :

بشرى فقد أنجز الإقبال ماوعدا وكوكب المجد فى أفق العلا صعدا
وقد تفرع فى أرض الوزارة عن دوح الرسالة غصن مورق رشدا
لله آية شمس للعلا ولدت نجما وغابة عز أطلعت أسدا
وعنصر من رسول الله واشجة كريم عنصر إسماعيل فانحدا
وبضعة من أمير المؤمنين زكت أصلا وفرعا وصحت لحمة وسدى
ومثل هذى السعادات القوية لا يحوزها غيره دامت له أبدا
يادهره حق أن تزهى بمولده فمثله منذ كان الدهر ما ولدا
تعجبوا من هلال العيد يطلع فى شعبان ، أمر عجيب قط ما عهدا
فمن موال يوالى الحمد مبهلا ومخلص يستديم الشكر مجتهدا
وكادت الغادة الهيفاء من طرب تعطى مبشرها الإرهاف والغيدا
فلا رعى الله نفسا لم تسر به ولا وقاها وغشاها رداء ردى
وذى ضغائن طارت روحه شفقا منه وطاحت شظايا نفسه قددا

علما بأن الحسام الصاحبي غدا مجردا والشهاب الفاطمي بدا
وأنه أسد شعب كان منصدعا به وأمرع شعب كان محتصدا
فأرفع المجد أعيانا وأسمقه مجد يناسب فيه الوالد الولدا
فليهنأ الصاحب المولود ولترد السـعود تجلو عليه الفارس النجدا
لم يتخذ ولدا إلا مبالغة فى صدق توحيد من لم يتخذ ولدا

ما أشرف معنى هذا البيت وأبدعه وأبرعه ! !

ومنها :

وخذ إليك عروسا بت ليلتها من خادم مخلص وداً ومعتقدا
أهديتها عفو طبعي وانتحيت بها سحرا وإن كنت لم أنفث له عقدا
وازنت ما قلته شكراً لربك إذ جاء المبشر بيتاً سار واطردا
الحمد لله شكراً دائما أبدا إذ صار سبط رسول الله لى ولدا

وقال أبو الحسن الجوهرى فى التهنئة قصيدته التى منها [من السبط] :

كافى الكفاة تقصد من صرائمه حامى الحماة بحصد من مناصله
مازال يخطب منه الدين مجتهدا وربى توطد من علبا وسائله
وكان عد رسول الله كافله فصار جد بنيه عند كافله
هلم للخبر المأثور مسنده فى الطالقان فقرت عين آمله
فذلك الكنز عاد وقد وضحت عنه الإمامة فى أولى مخايله

لما روت الشيعة أن بالطالقان كنزاً من ولد فاطمة يملأ الله به الأرض عدلا كما ملئت جورا . والصاحب من قرية الطالقان من قرى أصبهان . ورزق سبطا فاطمياً ، أولوا له هذا الخبر . وأنا برىء من عهدته .

الصاحبي نجاراً فى مطالعه والطالبي غرارا فى مقاتله
يهنى الوزير ظبأ فى وجه صارمه من صارم وشباً فى حد عامله

وقال عبد الصمد بن بابك قصيدة منها [من الوافر] :

كساك الصوم أعمار الليالى وأعقبك الغنيمه فى المآب
فلا زالت سعودك فى خلود نارى بالمدى يوم الحساب
أتاك العز يسحب بردتيه على مشاء حاليه التراب(١)
بدر من بنى الزهراء سار تعرى عنه جلباب السحاب
تفرع فى النبوه ثم ألقى ضبعيه إلى خير الصحاب
تلاقت لابن عباد فروع النبوة والوزارة فى نصاب
فلا تغرر برقدته الليالى ولا تشحذ له الهمم النوابى
فمن خضعت له الأسد الضوارى ترفع عن مراوغه الذئاب

وكان الصاحب إذا ذكر عبادا أنشد وقال [من البسيط] :

يارب لا تخلى من صنعك الحسن يارب حظى فى عباد الحسن

ولما فطم قال [من الطويل] :

فطمت أبا عباد يابن الفواطم فقال لك السادات من آل هاشم
لئن فطموه عن رضاع لبانه لما فطموه عن رضاع المكارم

ولما أملك عباد بكريمه بعض أقرباء فخر الدولة أبى الحسن قال أبو إبراهيم إسماعيل بن أحمد الشاشى قصيده منها [من البسيط] :

المجد ما حرست أولاه أخراه والفخر ما التف أقصاه بأدناه
والسعى أجلبه للحمد أصعبه والذكر أعلاه فى الأسماع أغلاه
والفرع أذهبه فى الجو أنضره والأصل أرسخه فى الأرض أنقاه
اليوم أنجزت الآمال ماوعدت وأدرك المجد أقصى ماتمناه
اليوم أسفر وجه الملك مبتسما وأقبلت ببريد السعد بشراه

---

١ انيثنا — بزنة حسناء — الأرض السهلة . وتجمع على ميث كهيف

اليوم ردت على الدنيا نشاشتها وأرضى الملك والإسلام والله
والملك شدت عراه بأسوه فار تزت دعائمه واشتد ركناه(١)
وصار يعزى ببوساسان فى مصر صنع من الله أسداء فأسناه
فد رف من جده كافى الكفاة إلى من حاله ملك الدنيا شهنشاه(٢)
سلطان سدى رسول الله سلكهما وأخم الله ما قد كان سداه
أولاد أحمد ريحان الزمان ومو لانا الوزير من الريحان رياه
أولاد أحمد مسه لا يميرهم عنه ولاء ولا مال ولا جاه
مى ابتى واحد منهم بواحده فإنما صافحت يمناه يسراه

قال مؤلف الكتاب : كنت عزمت على إيراد غرر مما مدح به الصاحب فى هذا المكان ، فاقتصرت على ما سمى منها عند ذكر شعرائه . وسياقه البدائع من محاسنهم . والوسائط من ولائدهم . بإذن الله سبحانه وتعالى ومشيئته وإرادته

. . .

وهذه غرر من فقر ألفاظ الصاحب تجرى مجرى الأمثال

وقد جمعت فيها من ما أخرجه الأمير أبو الفضل عبد الله بن أحمد منها فى كتابه «ملح الخواطر . وسمح الجواهر » . ومن ما أخرجته أنا سالكا سبيله . وحدونا تمثيله

من استماح البحر العذب . استخرج اللؤلؤ الرطب من طالت يده بالمواهب ، امتدت إليه ألسنة المطالب من كفر النعمة . استوجب النقمة من نبت لحمه على الحرام . لم يحصده غير الحسام من غرته أيام اسلامه . حدثته أماني الندامه

---

(١) ارتز : ثبت

(٢) شاهنشاه : لقب فارسى معناه ملك الملوك ، وروى عن سفيان الثورى تحريمه

* من لم يجزه يسير الإشارة ، لم ينفعه كثير العبارة * رب لطائف أقوال ، تنوب عن وظائف أموال . الصدر يطفح بما جمعه . وكل إناء مؤد ماأودعه * اللبيب تكفيه اللمحة ، وتغنيه اللحظة عن اللفظة الشمس قد تغيب ثم تشرق والروض قد يذبل ثم يورق ، والبدر يأفل ثم يطلع ، والسيف ينبو ثم يقطع * العلم بالتذاكر ، والجهل بالتناكر إذا تكرر الكلام على السمع تقرر فى القلب .. الضمائر الصحاح ، أبلغ من الألسنة الفصاح * الشيء يحسن فى إبانه كما أن الثمر يستطاب فى أوانه * الآمال ممدودة ، والعوارى مردودة * الذكرى ناجعة . وكما قال الله تعالى نافعة . متن السيف لين . ولكن حده خشن . ومتن الحية ألين ، ونابها أخشن * عقد المن فى الرقاب . لايبلغ إلا بركوب الصعاب بعض الحلم مذلة ، وبعض الاستقامة مزلة * كتاب المرء عنوان عقله ، بل عيار قدره ولسان فضله ، بل ميزان علمه * إنجاز الوعد ، من دلائل المجد ، واعتراض المطل ، من أمارات البخل . وتأخير الإسعاف ، من قرائن الإخلاف * خير البر ما صفا وضفا ، وشره ما تأخر وتكدر * فراسة الكريم لاتبطى ، وفيافة الشر لاتخطى ، قد ينبح الكلب القمر . فليلقم التاج الحجر * كم متورط فى عثار ، رجاء أن يدرك بثار بعض الوعد كنقع التراب . وبعضه كلمع السراب * قد يبلغ الكلام . حيث تقصر السهام ربما كان الإقرار بالقصور . أنطق من لسان الشكور . ربما كان الإمساك عن الإطالة ، أوضح فى الإبانة والدلالة . لكل امرىء أمل ، ولكل وقت عمل إن نفع القول الجميل . وإلا نفع السيف الصقيل . شجاع ولا كعمرو ، ومندوب ولا كصخر ، لايذهبن عليك تفاوت ما بين الشيوخ والأحداث ، والنسور والبغاث كفران النعم . عنوان النقم جحد الصنائع ، داعية القوارع تلقى الإحسان بالجحود ، تعريض النعم للشرود * قد يقوى الضعيف ، ويصحو النزيف

ويستقيم المائد . ويستيقظ الهجد * للصدر نفثة إذا أحرج ، وللمرء نتة إذا أحوج * ما كل امرىء يستجيب للمراد ، ويطيع يد الارتياد * قد يصلى البرىء بالسقيم ، ويؤخذ البر بالأثيم * ما كل طالب حق يعطاه ، ولا كل شائم مزن يسقاه * إن الأحداث لا رياضة لهم تدبير الحوادث * إن السنين تغير السنن من ثقلت عليه النعمة خف وزنه . ومن استمرت به الغرة طال حزنه * أطع سلطان النهى ، دون شيطان الهوى .

***

ملح وظرف من ألفاظه

أخبرنى عن سفرتك . وعما حصل بها فى سفرتك . وجدت حرا يشبه قلب الصب ، ويذيب دماغ الضب أنوب فيه نيابة الوكيل المكترى ، بل المملوك المشترى * قد تحملت مع يسير الفرقة ، عظيم الحرقة . ومع قليل البعد . كثير الوجد على أن أقول . وما على القبول : لا أعترض بين الشمس والقمر ، والروض والمطر أكره أن أمل ، وقد قصدت أن أجل ، وأن أعق . وقد قصدت أن أقضى بالحق * مرحبا بزائر لباسه حرير . وأنفاسه عبير * وجهه وسيم ، وريحه نسيم . وفضله جسيم . بستان رق نوره النضر . وراق ورقه النضير * فلان بين سكرى الشباب والشراب * غصن طلعه نضير ، وليس له نظير * خط أحسن من عطفات الأصداغ ، وبلاغة كالأمل أذن بالبلاغ فقر كما حيدت الرياض ، وفصول كما تغازلت المقل المراض * ألفاظ كما نورت الأشجار . ومعان كما تنفست الأسحار نثر كنثر الورد . ونظم كنظم العقد كتابك رقية القلب السليم . وغرة العيش البهيم كلام يدخل على الأذن بلا إذن فلان كريم ملء لباسه موفق مد أنفاسه . ذو جد كعلو الجد . وهز كحديقة الورد . عشرته ألطف من نسيم الشمال . على أديم الماء الزلال . وألصق بالقلب ، من علاقة

الحب * شكره شكر الأسير لمن أطلقه . والمملوك لمن أعتقه * أثنى عليه ثناء العطشان الوارد ، على الزلال البارد * قلب نغل ، وصدر دغل * وعده برق خلب ، وروغان ثعلب * فلان يتعلق بأذيال المعاذير ، ويحيل على ذنوب المقادير

* * *

فصول له ورقاع فى الملاطفة والمداعبة

فصل من كتاب له إلى أبى العلاء الأسدى

ذكرت أن أدهمك قطع الدهر رباطه . أو قطع الموت نياطه . ووصفت الحمار الذى استعضته . فلا أدرى أقرظته . أم عضدته ؟ وقد كتبت بابتياع مركوب لك يعبوب ، أو يعسوب ، أو مرجوب(١) بل رسمت أن يقاد إليك فى كيس أعجر ، فإن شئت فاتركه عندك أشهب ، وإلا فابتع به أدهم أو أشقر ، والتوقيع درج كتابى فليوصل ، وانتقد عند الحافر ، وبه يملك الخف والحافر ، ويجنب الأعز السائل ، والأقرح النادر

* * *

فصل من كتاب فى الغضائرى

الغضائرى . وما أدراك ما الغضائرى . يتزاد إلى تمام جمالا ، وعاد بدرا وكان هلالا ، فإن شئت فالغصن ميالا . وإن شئت فالدعص منهالا

[من الطويل] :

كأن جميع الناس يلقون وجهه   بناظرك المفتون ، واخض شامل
رويدك إن احببت فالغصن مائل   وإن تصب بدا الدعص فالدعص حامل

---

(١) اليعبوب : الفرس السريع الطويل ، أو الجواد السهل فى عدوه . واليعبوب الجدول الشديد الجرى ، واليعسوب : النحل وفرس للنبى صلى الله عليه وسلم

وهو يهدى إليك سلاماً كرقة خده ، ونسيم عرفه ، وغزارة دمعك من بعده [من الطويل] :

سلاماً كما رق النسيم على الصبا وجاء رسول الورد فى زمن الورد

تأبى أيها العبد الصالح ، إلا أن تغمسنا معك فى مزح المازح [من الطويل]:

ألا رب ذى مزح يحرك حبله وحبل التقى من قلبه محصد شزر

* فصل — وما الشأن إلا فى أنك تتنقل فى الهوى تنقل الأفياء ، وتتميل فى الحب كشارب الصهباء . فمرة الغضائرى . حتى إذا حسبناك قد صرت له وصار لك ، وعلق بك أمله وأملك . بعت قديما بحديث . وتليداً بطريف ، واستهوتك حبائل القمى فقمت تفتل فى حبله ، وتحرص على وصله، ثم تطمع أن تضم ضدا إلى ضد ، وتجمع سيفين فى غمد . وهيهات ! إن الغضائرى قد بلغه ذلك فازور وتنمر . وغار وتنكر وقد كان له عزم فى المسير إلى أصبهان ، ففتر بفتور صبوتك . وخف بظهور نبوتك [من الكامل] :

نقل فؤادك حيث شئت من الهوى ما الحب إلا للحبيب الأول

وقد جعله بعض الشعراء للحبيب الآخر . وأما نحن فننشد لكثير من الطويل] :

إذا ما أرادت خلة أن تزيلنا أبينا وقلنا الحاجبية أول

والله يسقى عهدك صوب العهاد . ويعيذنا وإياك على البعاد

* * *

رقعة استزارة

هذا اليوم يا سيدى طارونى [١] بعجبنى برؤيه الفاختى ، وإذ قد عاءت تمس

---

(١) الطاروني. ضرب من الخز، ونسبة اليوم إليه من باب المجاز، كأنما كان لباسهم شتاء ، والفاختى : نسبة إلي الفاختة ، وهى طائر أسود

السماء عنا . فلابد أن تدنو شمس الأرض منا . فإن نشطت للحضور ، شاركتنا في السرور . وإلا فلا إكراه ولا إجبار ، ولك متى شئت الاختيار .

* * *

وفي مثلها

غداً ياسيدى ينحسر الصيام ، ونطيب المدام . فلابد من أن نقيم أسواق الأنس نافقة ، وننشر أعلام السرور خافقة . فالفتوة فإنها قسم للظراف ، يفرض حسن الإسعاف ، لما بادرتها ولو على جناح الرياح ، إن شاء الله تعالى

أخرى — نحن ياسيدى في مجلس غنى إلا عنك ، شاكر إلا منك . قد تفتحت فيه عيون النرجس ، وتوردت فيه خدود البنفسج ، وفاحت مجامر الأترج . وفتقت فارات النارنج ، وأنطقت ألسنة العيدان ، وقام خطباء الأوتار ، وهبت رياح الأقداح ، ونفقت سوق الأنس ، وقام منادى الطرب ، وطلعت كواكب الندماء ، وامتدت سماء الند ، فبحياتى لما حضرت ، لتحصل بك في جنة الخلد ، وتتصل الواسطة بالعقد .

في مثلها — نحن وحياتك في مجلس راحه ياقوت ، ونوره در ، ونارنجه ذهب ، ونرجسه دينار ودرهم ، ويحملها زبرجد . وألسنة العيدان تخاطب الظراف ، بهلم إلى الأقداح ، لكننا بغيبتك كعقد غيبت واسطته ، وشباب أخذت حدته ، فأحب أن تكون إلينا أسرع من المـــاء في انحداره . والقمر في مداره .

في مثلها — مجلسنا ياسيدى مفتقر إليك . معول في إغنائه عليك ، وقد أبت راحه أن تصفو إلا أن تتناولها يمناك ، وأقسم غناؤه لا طاب أو تعيه أذناك . فأما خدود نارنجه فقد احمرت خجلا لإبطائك ، وعيون نرجسه فقد

حدوث بأملا للقائك . ومجيئي عائك لما عجلت . لئلا يخبث من يومى
ما طاب . ويعود من همى ما طار

فى مثلها — صرنا أيد الله مولانا فى بستان كأنه من خلقه خلق . ومن
خلقه سرق . فرأينا أشجاراً تميل فتذكر تبريح الأحباب ، وقد تداولتهم أيدى
الشراب ، وأنهارا كأنها من يد مولانا تسبل ، أو من راحته تفيض ، وحضرنا
فلان فعلا نجمنا . وحمد أمرنا ، وتسهل طريق الخير لنا ، فما دبت الكؤوس
فيهم دبيب البرء فى السقم ، والنار فى الفحم . رأى أن نحعل أنسنا غداً عنده
فقلت سمعا ، ولم أستجز لأمره دفعا ، والتمس أن أخلفه فى تجشيم مولاى
إلى المجمع ، ليقرب علينا متناول البدر بمشاهدته . ولمس الشمس بمطالعته ،
فإن رأى أن ينشطنى أسعفنى إن شاء الله تعالى .

فصل أنا على طرف بستان أذكرنى ورده المتفتح بخلقك ، وجدوله
لسائح بضعك . وزهره الجنى بقربك .

* * *

فصل من كتاب آخر

علقت هذه الأحرف ، وأنا على حافة حوض ذى ماء أزرق كصفاء
ودى لك . ورقة قولى فى عتابك ، ولو رأيته لأنسيت أحواض مأرب
ومشارب أم غالب . وقد تألفت نشافاق كالزجاج تجارحت فسالت دماؤها
وضعف حتى دموعها . وسامتنى أحجار كأن الحور أعارتها أثوابها ، وكستها
أبرادها وحمرتى . . . ت كسكرات من سقف ذهبت ، أو ثدى أبكار
حاقت . وقد برم فى الحاضرون لطول الكتاب فوقفت وكففت ، وصدفت
عن كثير مما له تشوفت

ومن رقعة ـــ مضيت وشاهدت أحسن منظر : فالأرض زمردة ، والأشجار وشى ، والماء سيوف ، والطيرفيان .

* * *

رقعة فى الاعتذار من هفوة الكأس

سيدى أعرف بأحكام المروءة من أن يهدى إليها ، وأحرص على عمارة سبل الفتوة من أن يحض عليها ، وقديماً حملت أوزار السكر على ظهور الخمر ، وطوى بساط الشراب ، على مافيه من خطأ وصواب ، وكنت البارحة بعقب شكاة أضعفتنى ونقلتنىعن عادتى ، واستعفيتالسقاة غير دفعة فأبوا إلا إلحاحا على وإتراعا إلى ، وكرهت الامتناع خشية أن أوقع الكساد فى سوق الأنس وتفاديا من أن يعقد على خنصر النقيل ، فلما بلغت الحد ، الذى يوجب الحد بدر منى ما يبدر ممن لا يصحبه لبه ، ولا يساعده عقله وقلبه . ولا غرو فموالاة الأرطال ، تدع الشيوخ كالأطفال . فإن رأى أن يقبل عذرى ، فيما جناه سكرى ، ويهب جرمى لمعرفته نبتى فى صحوى ، وإن أبى إلا معاقبتى جعلها قسمين بين المدام وبينى . فعل إن شاء الله تعالى

* * *

فى تنوير باكورة خلاف قد نور

لتنوير الخلاف فضائل لا تحصى ، ومحاسن تطول أن تستقصى ، منها أنه أول ثغر يبسم عنـه الربيع ويضحك ، ودر يعقد على القضبان ويسبك . ولتمايله أذكاربقدود الأحباب ، وتهييج لسواكن الأطراب ، وحمل إلىقضيب منه ورداته متعادلة ، ولذاته متقابلة . فأنفذته مع رقعتى هذه إليك ، وسألت الله أن يعيده ألف حول عليك ، وقلت [من الخفيف] :

وقضيب من الخلاف بديع مستخص بأحسن الترصيع

قد نعى شـــدة الشتاء علينا   وسعى فى جلاء وجه الربيع
وحكى من أحب عرفا وظرفا   واهتزازا يثير ماء ضلوعى
رقة مانظمت نحو بديع الـــمجد حاكى الربيع حسن صنيعى

فى إهـــداء أترجة

مازلت ياسيدى أفكر فى تحفة تجمع أوصاف معشوق وعاشق ، وتنظم نعوت مشوق وشائق . حتى ظفرت بأترجه كأن لونها لونى ، وقد منيت ببعدك ، وبليت بصدك . وكأن عرفها مستعار من عرفك ، وظرفها مشتق من ظرفك ، فكأنها بعض من لا أسميه ، وأنا أفديه . فأنفذتها وقلت [من السريع] :

مولاى قد جاءتك أترجة   من بعض أخلاقك مخلوقه
ألبسها صانعها حلة   من سرق أصفر مسروقه(١)

فى إهـــداء أقلام

قد خدمت دواة مولاى بأقلام تتخفف بأنامله . وتتحمل نفحات فواضله ، وتأنقت فى بريها فأنت كمناقير الحمام . واعتدال السهام ، خمسة منها مصرية مقومة . عليها حلل مسهمة ، وعشرة منها بيض كأياديه . وأيام مؤمليه ، والله يديم له مواد نعمته ، ويوفقنى لشرائط خدمته .

تهنئة بنت

أهلا وسهلا بعقيلة النساء . وأم الأبناء . وجالبة الأصهار ، والأولاد الأطهار ، والمبشرة بإخوة يتناسقون . نجباء يتلاحقون [من الوافر] :

فلو كان النساء كمثل هذى   لفضلت النساء على الرجال(٢)
وما التأنيث لاسم الشمس عيب   ولا التذكير فخر للهلال

---

(١) السرق : هو الحرير

(٢) البيتان لأبى الطيب المتنبى

فادرع ياسيدى اغتباطا . واستأنف نشاطاً ، فالدنيامؤنثةوالرجال يخدمونها ، والذكور يعبدونها . والأرض مؤنثةومنهاخلقت البرية ، وفيها كثرت الذرية ، والسماء مؤنثة وقد زينت بالكواكب ، وحليت بالنجم الثاقب ، والنفس مؤنثة وبها قوام الأبدان ، وملاك الحيوان . والحياةمؤنثة ولولاها لم تتصرف الأجسام ، ولا عرف الأنام . والجنة مؤنثة وبها وعد المتقون ، ولها بعث المرسلون . فهنيئا هنيئا ما أوليت ، وأوزعك الله شكر ما أعطيت ، وأطال بقاءك ما عرف النسل والولد ، وما بقى الأمد . وكما عمر لبد .

رقعـــــة مداعبة

خبر سيدى عندى وإن كتمه عنى ، واستأثر به دونى ، وقد عرفت خبره البارحة فى شربه وأنسه . وغناء الضيف الطارق وعرسه « وكان ما كان مما لست أذكره »(١)وجرى ماجرى ممالست أنشره . وأقول : إن مولاى امتطى الأشهب فكيف وجد ظهره ؟ وركب الطيار فكيف شاهد جريه ؟ وهل سلم على حزونة الطريق ؟ وكيف تصرف أفى سعة أم ضيق ؟ وهل أفرد الحج أم تمتع بالعمرة ؟ وقال فى الحملة بالكرة . ليتفضل بتعريفى الخبر فما ينفعه الإنكار ، ولا يغنى عنه إلا الإقرار . وأرجو أن يساعدنا الشيخ أبو مرة( ). كما ساعده مره . فنصلى للقبلة التى صلى إليها ، وتتمكن من الدرجه التى خطب عليها ، هذا وله فضل السبق إلى ذلك الميدان ، لكثير الفرسان .

ومن أخرى

انفردت ياسيدى بتلك انفرادهن بحسب مطلع الشمس من وجهها ، ومنبت الدر من فمها . وملقط الورد من خدها ، ومنبع السحر من طرفها ، وحقاق العاج من ثديها ، ومبادىء الليل من شعرها . ومغرس الغصن فى قدها ، ومهيل الرمل فى ردفها ،

---

(١) هذا صدر بيت ، وعجزه « فظن خيرا ولا تسأل عن الخبر »
(٢) أبو مره : كنية إبليس

وكلا فإنها شوهاء . ورهاء حرقاء خلفاء . كأنما محياها أيام المصائب ، وليالي النوائب . وكأنما قربها فقد الحبائب . وسوء العواقب . وكأنما وصلها عدم الحياء ، وموت الفجاءة وكأنما هجرها فوت المنة . وكأنما فقدها ريح الجنة .

ومن كتاب مداعبة

الله الله في أخيك ، لا تظهر كتابه فيحكم عليه بالماليخوليا وبالتخاييل الفاسدة . فقد ذكر جالينوس أن قوما يبلغ بهم سوء التخيل ، أن يقدروا أجسامهم زجاجا فيجتنبوا ملامسة الحيطان خشية أن ينكسروا وحكى أن قوما يظنون أنفسهم ضبورا فلا يغتذون إلا القرطم . والحظ كتابي دعه ثم مزقه ، فلا طائل فيه ولا عائد له ولا فرج عنده . وعلى ذكر الفرج فقد كانت بهمدان شاعرة مجيدة تعرف بالخطابية ، خطبها أبو علي كاتب بكر فلما ألح عليها بالخطبة كتبت إليه بيتين من مجزوء الرجز

أيرك أير ما له عند حرى هذا فرج

فاصرفه عن باب حرى وأدخله من حيث خرج

هذه والله في هذين البيتين أشعر من كبشة أم عمرو . والخنساء أخت صخر ، ومن كعوب العدانية . وليلى الأخيلية

ومن فقر رسائله من سائر الفنون

رسالة كتبها إلى أبي علي الحسن بن أحمد في شأن أبي عبد الله محمد بن حامد ، وسمعت الأمير أبا الفضل عبيد الله بن أحمد يسردها . فزادني جريها على لسانه وصدورها عن فمه إعجابا بها ، وهي

كتابي هذا وقد أرخى الليل سدوله . وسحب الظلام ذيوله ، ونحن على الرحيل غدا إن شاء الله إلى بلد تصاحب عزيزه ، قبل أن يسبغ حلوله ولولا ذاك لأطلته كوقوف الحجيج على المشاعر . ولم أقصر منه على زاد المسافر فإن المتحمل

له وسيع الحقوق لدى ، حقق أن أتعب له خاطرى ويدى ، وهو أبو عبدالله الحامدى أعزه الله تعالى ، كان وافانا مع ذلك الشيخ الشهيد ، أبى سعيد الشبيبى السعيد ، رفع الله منازله ، وقتل قاتله ، يكتب له فآنسنا بفضله ، وأنسنا الخير من عقله ، فلما فجع بتلك الصحبة ، وبما كان له فيها من القربة ، لم يرض غير بابى مشرعا ، وغير جنابى مرتعا ، وقطع إلى الطريق الشاق مؤكداً حقا لا يشق غباره ، ولا ينسى على الزمان ذماره ، وكنت على جناح النهضة التى لم يستقر نواها ، ولم تبن حصباها ، ولم نلق عصاها ، فأمرج الحر المبتدأ الأمر ، القريب العهد بوطأة الدهر ، حامل عليه بالمركب الوعر ، ورددته إليك ياسيدى لتسهل عليه حجابك ، وتمهد له جنابك ، وتترصد له عملا خفيف الثقل ، ندى الظل ، فإذا اتفق عرضته عليه ، ثم فوضته إليه ، وهو إلى أن يتفق ذاك ضيفى وعليك قراه ، وعندك مربعه ومشتاه ، ويريد اشتغالا بالعلم ليزيده فى الاستقلال ، إلى أن يأتيه إن شاء الله خبرنا فى الاستقرار ثم له الخيار إن شاء أقام على ما وليته ، وإن شاء لحق بنا ناشرا ما أوليته ، وقد وقعت له إلى فلان بما يعينه على بعض الانتظار ، إلى أن تختار له أيدك الله كل الاختيار ، فأوعز إلى بتعجيله ، وأكمنى شغل القلب بهذا الحر الذى أفردنى بتأميله ، إن شاء الله تعالى .

..

رقعة له إلى القاضى أبى بشر الفضل بن محمد الجرجانى عند وروده باب الري وافداً عليه :

تحدثت الركاب بسير أروى إلى بلد حططت به خيامى[1]

فكدت أطير من شوق إليها بقادمة كقادمة الحمام

ألحق ما قيل أمر القادم ؟ أم ظن كأمانى الحالم ؟ لا والله بل هو درك العيان وإنه ونيل المنى سيان ، فمرحبا أيها القاضى براحلتك ورحلك ، ثم أهلا بك وبكافة

---

(١) البيتان من الوافر .

أهلك . ويا سرعة ما فاح نسيم مسراك ، ووجدنا ريح يوسف من رياك ، فحث المطى تزل غلتى بسقياك ، وترح علتى بلقياك . ونص على يوم الوصول لنجعله عيدا مشرفا . ونتخذه موسما ومعرفا . ورد الغلام أسرع من رجع الكلام ، فقد أمرته أن يطير على جناح نسر ، وأن يترك الصبا فى عقال وأسر

سقى الله دارات مررت بأرضها فأدتك نحوى يا زياد بن عامر[1]
أصائل قرب أرتجى أن أنالها بلقياك قد زحزحن حر الهواجر

رقعة فى ذكر مصحف أهدى إليه

البر أدام الله الشيخ أنواع ، تطول به أبواع ، وتقصر عنه أبواع فإن يكن فيها ما هو أكرم منصبا ، وأشرف منسبا . فتحفة الشيخ إذ أهدى ما لا تشاكله النعم ، ولا تعادله القيم ، كتاب الله وبيانه . وكلامه وفرقانه ، ووحيه وتنزيله، وهداه وسبيله . ومعجز رسول الله صلى الله عليه وسلم ودليله، طبع دون معارضته على الشفاه ، وختم على الخواطر والأفواه فقصر عنه الثقلان ، وبقى مابقى الملوان ، لائح سراجه ، واضح منهاجه. عذب دليله ، عميق تأويله . يقصم كل شيطان مريد ، ويذل كل جبار عنيد . وفضائل القرآن . لا تحصى فى ألف قران ، فأصف الخط الذى بهر النظر . ووفى الوصف ، وجمع صحة الأقسام، وزاد فى نخوة الأقلام، بل أصفه بتدقيق وصف فأخباره ناره ، وعينه فراره[2]. وحقا أقول إنى لا أحسب أحدا ماخ الملوك جمع من المصاحف ماجمعت ، واتدع فى استكثارها ما ابتدعت وإن هذا المصحف لزائد على جميعها زيادة القرعة على الغرة ، بل زيادة الحج على العمرة

لقد أهـــديته علقا نفيسا وما يهدى النفيس سوى النفيس[3]

---

(١) البيتان من الطويل

(٢) هذه لفقرة من قولهم فى مثل « إن الجواد عينه فراره »

(٣) البيت من الوافر

فصل من كتاب له إلى ابن العميد صدر جوابا عن كتابه إليه فى وصف البحر ، وكان أبو بكر الخوارزمى يحفظه ، وكثيرا ما كان يقرؤه ويعجب السامعون من فصاحته ، ولم أره يحفظ من الرسائل غيره :

وصل كتاب الأستاذ الرئيس صادرا عن شط البحر بوصف ما شاهد من عجائبه ، وعاين من مراكبه ، ورآه من طاعة آلاته للرياح كيف أرادتها ، واستجابة أدواتها لها متى أرادتها ، وركوب الناس أثباجها والخوف بمرأى ومسمع ، والمنون بمرقب ومطلع ، والدهر بين أخذ وترك ، والأرواح بين نجاة وهلاك ، إذا أفكروا فى المكاسب الخطيرة هان عليهم الخطر ، وإذا لاحت لهم غرر المطالب الكثيرة ، حبب إليهم الغرر ، وعرفت ما قاله من تمنيه كونى عند ذلك بحضرته وحصولى على مساعدته ، ومن رأى بحر الأستاذ كيف يزخر بالفضل وتتلاطم فيه أمواج الأدب والعلم لم يعتب على الدهر فيما يفيته من منظر البحر ، ولا فضيلة له عندى أعظم من إكبار الأستاذ لأحواله ، واستعظامه لأهواله ، كما لاشىء أبلغ فى مفاخره وأنفس فى جواهره ، من وصف الأستاذ له فإنى قرأت منه الماء السلسال لا الزلال ، والسحر الحرام، لا الحلال. وقد علم أنه كتب ولما أحظر بفكره سعة صدره ، فلو فعل ذلك لرأى البحر وشلا لا يفضل عن التبرض ، وثمدا لا يكبر عن الترشف

وكم من جبال جبت تشهد أننى الـــجبال وبحر شاهد أننى البحر (١)

* * *

ومحاسن شعر الصاحب تستغرق الدفاتر ، وتستنزف فى الانتخاب منها الخواطر ، وليس يتسع هذا الكتاب لغيض من فيضها وقطرة من سيحها

* * *

(١) البيت من الطويل

هذا ما اخترته من مليح شعره فى الغزل ، وما يتعلق به

قال [من الوافر] :

تسحب ما أردت على الصباح   فهم ليل وأنت أخو الصباح
لقد أولاك ربك كل حسن   وقد ولاك مملكة الملاح
وبعد فليس يحضرنى شراب   فأنعم من رضابك لى براح
وليس لدى نقل فارتهنى   بنقل من ثناياك الوضاح

وقال [من الخفيف] :

لا ترجوا إصلاح قلبى بلوم   حلف الجفن لا استقل بنوم
وهـــواه لئن تأخر عنى   طول يومى إنى سيحضر يومى

وقال [من الوافر]

على كالغزال وكالغزاله   رأيت به هلالا فى غلاله
كأن بياض غرته رشاد   كأن سواد طرته ضلاله
كأن الله أرسله نبياً   وصير حسنه أقوى دلاله
إذا ما ردت وصلا ردت خبلا   كأن حبال وصلك لى حباله

وقال [من البسيط]

هذا على على فى محاسنه   كأنما وصفه أن يبلغ الأملا
وكم أقول وقد أبصرت طلعته   هذا الذى فى طراز الله قد عملا

وقال من السريع :

وشادن أصبح فوق الصفه   قد ظلم الصب وما أنصفه
كم قلت إذ قبل كفى وقد   سبى : يا ليت كفى شفه

وقال فى معناه [من السريع] :

أبا شجاع يا شجاع الورى   ومن عدا فى حسنه قبله

قبل فمي إن كنت لى مؤثرا فاليـد لا تعرف القبـلة(١)

وقال فى معناه [من مجزوء الرجز] :

وشادن جماله تقصر عنه صفتى

أهوى لتقبيل يدى فقلت : لا ، بل شفتى

وقال [من السريع] :

قل لأبى القاسم إن جئته هنيت ما أعطيت هنيته

كل جمال فائق رائق أنت برغم البدر أوتيته

وقال [من مخلع البسيط] :

قل لأبى القاسم الحسينى يا نار قلبى ونور عينى

البـدر زين السماء حسناً وأنت زين لـكل زين

وقال من باب الاقتباس من الحديث [من الكامل] :

ومهفهف يعنى عن القمر قمر الفؤاد بفاتن النظر

خالسته تفاح وجنته من غير إبقاء ولا حـذر

فأخافنى قـوم فقلت لهم لا قطع فى ثمر ولا كثر

وقال فى مثله [من مجزوء الرمل] :

قال لى إن رقيبى سىء الخلق فداره

قلت دعنى وجهك الـجنة حفت بالمكاره

وقال فى مثله [من الوافر] :

أقول وقد رأيت له سحابا من الهجران مقبـلة إلينا

وقد سحت غزالتها بهطل حوالينا الصدود ولا علينا

وقال [من المنسرح] :

الحب سكر خماره التلف يحسن فيه الذبول والدنف

(١) كذا ، ولعله * فاليد ليست تعرف القبله * ليستقيم الوزن .

عابوه إذ لج فى تصلفه والحسن ثوب طرازه الصلف

وقال [من السريع] :

وشادن يكثر من قول لا أوقع قلبي فى ضروب البلا
قلت وقد تيمنى طرفه هذا هو السحر وإلا فلا

وقال رحمه الله [من مجزوء الرجز] :

وشادن ذى غنج طاوى الحشى معتدل
أنشدته شعرا بديعا حسنا من عملى
فقال فيمن ولمن فقلت هذا فيك لى
فطار فى وجنته شعاع نار الخجل

وقال [من الكامل] :

قد قلت لما مر يخطر ماشيا والناس بين معوذ أو عاشق
لم يكف ما صنعت شقائق خده حتى تلبس حلة بشقائق

وقال [من المتقارب] :

دعتنى عيناك نحو الصبا دعاء يكرر فى كل ساعه
ولولا تقادم عهد الصبا لقلت لعينيك سمعا وطاعه

وقال [من الرجز] :

شتمت من تيمنى مغالطاً لأصرف العاذل عن لجاجته
فقال لما وقع البزاز فى الـتوب علمنا أنه من حاجته

وقال [من المنسرح] :

أتانى البدر باكيا خجلا فقلت ماذا دهاك ياقمر
قال غزال أتى ليعزلنى بحسنه فالفؤاد منفطر
فقلت قبل ترابه بجلا واسجد له قال كل ذا غرر

قد بايعت أنجم السماء له فليس لى مفزع ولا وزر

وقال [من الرجز] :

ياقمرا عارضنى على وجل وصاله يشبه تأخير الأجل

وقال : تبغى قبلة على عجل؟ قلت : أجل ، ثم أجل ، ثم أجل

وقال [من الرجز] :

وشادن فى الحسن كالطاووس أخلاقه كليلة العروس

قد نال باللحظ من النفوس ما لم تنله الروم من طرسوس

وقال [من الرجز] :

بدا لنا كالبدر فى شروفه يشكو غزالا لج فى عقوقه

يا عجباً والدهر فى طروقه من عاشق أحسن من معشوقه

سمعت أبا بكر الخوارزمى ، يقول : أنشدنى الصاحب هذه القوافى ليلة ، وقال : هل تعرفون نظيرا لمعناها فى شعر المحدثين ؟ فقلت : لا أعرف إلا قول البحترى [من المتقارب] :

ومن عجب الدهر أن الأمير أصبح أكتب من كاتبه

فقال : جودت وأحسنت ، وهكذا فليكن الحفظ ، وقال [من المتقارب] :

عزمت على الفصد يا سيدى لفضل دم كظنى مؤلم

فلما تأخرت عن مجلسى أرقت لغير افتصاد دمى

وقال [من مجزوء الكامل] :

ومهفهف شكل المجون أضنى فؤادى بالفتون

فنسيمه ملء الأنو ف ، وحسنه ملء العيون

وقال [من المتقارب] :

فمن كان يقطف ورد الجنان فقطفى مذ كنت ورد الخدود

وهمى مذ كنت در الثغور إذا اهتم غيرى بدر العقود

وقال [من الرجز] :

كنا وأسباب الهوى متفقه نبتا من الورد معاً فى ورقه
فالآن إذ أسبابه مفترقه قد صارت الأرض علينا حلقه

وقال [من السريع] :

ياخاطرا يخطر فى تيهه ذكرك موقوف على خاطرى
إن لم تكن آثر من ناظرى عندى فلا متعت بالناظر

وقال [من الطويل] :

تأخرت عنى والغرام غريم ومامل قرب الأكرمين كريم
وأوهمتنى سقما وأنت مصحح بلى لك عهد كيف شئت سقيم
ولو شئت لم تخلط وصالا بهجرة كما شيب بالماء الزلال حميم
فنى الدهر كاف أن يفرق إنه وصى ظلوم والكريم يتيم

وقال ، ويروى لغيره [من الكامل] :

رشأ غدا وجدى عليه كردفه وغدا اصطبارى فى هواه كخصره
وكأن يوم وصاله من وجهه وكأن ليلة هجره من شعره
إن ذقت خمرا خلتها من ريقه أو رمت مسكا نلته من نشره
وإذا تكبر واستطال بحسنه فعذار عارضه يقوم بعذره

* * *

ملح من شعره فى الصدغ والخط والعذار

قال [من السريع] :

يا شادنا فى صدغه عقرب ما يستجيب الدهر للراقى
يسلم خداه على لدغها ولدغها فى كبدى باقى

وقال [من الوافر] :

وعهدى بالعقارب حين تشتو تخمص لدعها وُتقل ضرا
فما بال الشتاء أتى وهذى عقارب صدغه تزداد شرا

وقال [من الطويل] ·

رأيت عليا فى لباس جماله فشاهدت منه الروض تانى مزنه
ولما تبدى لى امتداد عذاره رأيت طراز الله فى ثوب حسنه

وقال [من البسيط] :

إن كنت تنكره فالشمس تعرفه أو كنت تظلمه فالحسن ينصفه
ما جاءه الشعر كى يمحو محاسنه وإنما جاءه عمــداً يغلفه

وقال [من السريع] :

لما بدا العــارض فى الخد راد الذى ألقى من الوجد
وقلت للعدال يامن رأى نفسجاً يطلع من ورد

وقال [من البسيط] :

دب العذار على ميدان وجنته حتى إذا كاد أن يسعى به وقفا
كأنه كاتب عز المداد له أراد يكتب لاماً فابتدا ألفا

وقال [من الوافر] :

عذار كالطرار على الطرار وشمس فى الحقيقة لا المجاز
بدى عارضاه فعارضانى وقالا لاتمر بلا جواز
فقلت القلب عندكم مقيم وما حسن الثياب بلا طراز

وقال [من مجزوء الكامل]

أنظر إليه كأنه شمس وبدر حين أشرف

والخط محاسن خده تعذر دموعى حين تذرف
فكأنها الواوات حـين يخطها قلم محرف

وقال [من الهزج] :

أبو نصر بن بكران مليح الحظ والخط
فهذا النمل فى العاج وذاك الدر فى السمط

وقال [من الخفيف] :

إن لبس السواد أقوى دليل لأمير يلى أمور العباد
وأمير الملاح يأتيه عزل حين تلقاه لابساً للسواد

وقال [من الطويل] :

وخط كأن الله قال لحسنه تنبه بمن قد خطك اليوم فأتمر
وهيهات أين الخط من حسن وجهه وأين ظلام الليل من صفحة القمر

وقال فى صباح الحاجب [من المنسرح] :

خداه ورد وصدغه سبج ومقلتاه الغناء والراح
إن هز أطرافه على نعم شقت جيوب وطاح أرواح
وجملة القول فى محاسنه أن أمير الصباح صاح

وقال [من الكامل] :

رق الزجاج ورقت الخمر فتشابها فتشاكل الأمر
فكأنما خمر ولا قدح وكأنما قدح ولا خمر

وقال [من الرجز] :

وقهوة قد حضرت بختمها فقلت للندمان عند شمها
لا تقتضن بالماء روح جسمها فحسبها ما شئت من كرمها

وقال [من الكامل] :

متغايرات قد جمعن وكلها متشاكل أشباحها أرواح
وإذا أردت مصرحا تفسيرها فالراح والمصباح والتفاح
لو يعلم الساقى وقد جمعن لى من أى هذى تملأ الأقداح

وقال [من الطويل] :

ولما بدا التفاح أحمر مشرقا دعوت بكأسى وهى ملأى من الشفق
وقلت لساقيها أدرها فإنها خدود عذارى قد جمعن على طبق

وقال من قصيدة [من الطويل] :

وكأس تقول العين عند جلائها أهل لخدود الغانيات عصير ؟
تحاميتها إلا تعلل واصف وقد يطرب الإنسان وهو كبير

ومن قصيدة [من الطويل] :

وصفراء أو حمراء فهى تخيله لرمسا إلا على المتوهم
تشككنا فى الكرم أن انتماءه إلى الكرم أم هاتا إلى الكرم ينتمى

ومنها [من الطويل] :

تمتع ندمان بها وأحبه وحظى منها أن أقول ألا اسعى
لك الوصف دون القصف منى تخيمى بغير يدى وأرضى بما قاله فمى

أراد أنه جلس مع الشرب من غير شرب

وقال [من السريع] :

وشادن قلت له ما اسمكا فقال لى بالغنج عباث
فصرت من لثغته ألثغا فقلت أين الكاث والطاث

ملح فى الأوصاف والتشبيهات

قال [من الخفيف] :

أقبل الثلج فانبسط للسرور ولشرب الكبير بعد الصغير
أقبل الجو فى غلائل نور وتهادى بلؤلؤ منثور
فكأن السماء صاهرت الأر ض فصار النثار من كافور

أخذه من قول ابن المعتز [من الخفيف] :

وكأن الربيع يجلو عروساً وكأنا من قطره فى نثار

وقال فيه [من الكامل] :

هات المدامة يا غلام معجلا فالنفس فى قيد الهوى مأسوره
أو ما ترى كانون ينثر ورده وكأنما الدنيا به كافوره

وقال فيه [من الكامل] :

هات المدامة ياغلام مصيرا نقلى عليها قبلة أو عضه
أو ماترى كانون ينثر ورده وكأنما الدنيا سبيكة فضه

سمعت أبا بكر الخوارزمى يقول عند إنشاد هذه الثلجيات : كل هذه الثلجيات عيال على قول الصنوبرى [من مجزوء الكامل] :

ذهب كؤوسك ياغلا م فإنه يوم مفضض

فقلت : قد أخذه منه من لم يزد على معناه ، فقال [من البسيط] :

جاد الغمام بدمع كاللجين جرى فجد لنا بالتى فى اللون كالذهب

وقال الصاحب فى النارنج [من الطويل] :

بعثنا من النارنج ما طاب عرفه فقيل على الأغصان منه نوافج
كرات من العقيان أحكم خرطها وأيدى الندامى حولهن صوالج

وقال فى الند [من الكامل] :

ند لفخر الدولة استعماله قد زاد عرفا من نسيم يديه

فكأنما يجنوه من أخلاقه وكأنه طيب الثناء عليه

وقال فى حبة عنب [من مجزوء الرجز] :

وحبة من عنب من المنى متخذه
كأنها لؤلؤة فى وسطها زمرذه

وقال فيه [من الرجز] :

وحبة من عنب قطفتها تحسدها العقود فى الترائب
كأنها من بعد تمييزى لها لؤلؤة قد ثقبت من جانب

وقال فى الشمع [من مخلع البسيط] :

ورائق القد مستحب يجمع أوصاف كل صب
صفرة لون وسكب دمع وذوب جسم وحر قلب

وقال فى التين [من الكامل] :

تين يزين رواؤه مخبوره متخير فى وصفه يتحير
عسل اللعاب لديه مما يحتوى وجنى النحيل لديه مر ممقر
وكأنما هو فى ذرى أغصانه قطع النضار أدارهن مدور
ويقول ذائقه لطيب مذاقه الله أكبر والخليفة جعفر

وقال فى الخط واللفظ [من البسيط] :

بالله قل لى أقرطاس تخط به من حلة هو أم ألبسته حللا
بالله لفظك هـذا سال من عسل أم قد صببت على أفواهنا عسلا

وقال فى الوحل [من البسيط] :

إنى ركبت وكف الأرض كاتبة على ثيابى سطوراً ليس تنكتم
والأرض محبرة والحبر من لثق والطرس ثوبى ويمنى الأشهب القلم

* * *

من ملح إخوانياته

كتب إلى أبى الفضل بن شعيب [من الخفيف] :

يا أبا الفضل لم تأخرت عنا فأسأنا بحسن عهدك ظنا
كم تمنت نفسى صديقاً صدوقا فإذا أنت ذلك المتمنى
فبغصن الشباب لما تثنى وبعهد الصبا وإن بان منا
كن جوابى إذا قرأت كتابى لا تقل للرسول كان وكنا

وكتب إلى أبى الحسين الطبيب [من الرجز] :

إنا دعوناك على انبساط والجوع قد أثر فى الأخلاط
فإن عسى ملت إلى التباطى صفعت بالنعل قفا بقراط

وكتب إلى أبى بكر الخوارزمى [من الرجز] :

أسعدك الله بيوم الفصح وعشت ما شئت بيوم سمح
يا رأس مالى فى الورى وربحى وظفرى ونصرتى ونجحى
شرباً ولا تصغ لأهل النصح فالحزم أن تسكر قبل تصحى
سكر النصارى فى غداة الفصح

وكتب إلى أبى القاسم القاشانى [من مجزوء الرمل] :

يا أبا القاسم قل لى قل لماذا لا تزور
كنت قدقدمت وعدا فإذا وعدك زور
وبذرت الورد بالقو ل فلم تزك البذور
وحرت الود بالهجـر كما يهدى الحزور
إن أم الصدق فى الود لمقلاة نزور

وكتب إليه أيضاً [من مجزوء الكامل] :

مولاى لم لم تدع عبــــدك عند إحضار المدام
أعرفته من بينهم متبسطا وقت الطعام
أم قيل عربد ذات يو م حين صار إلى المدام
أم لم يساعد حين ملـــت إلى الغلامة والغلام
إن كنت تبخل بالطعا م فكيف تبخل بالكلام
لسنا نحاول دعوة فاسمح علينا بالسلام

وقال رحمه الله [من السريع] :

لو فتشوا قلبي رأوا وسطه سطرين قد خطا بلا كاتب
حب على بن أبى طالب وحب مولاى أبى طالب

وقال [من الخفيف] :

يا ابن يعقوب يا نقيب البدور كن شفيعى إلى فتى مسرور
قل له إن للجمال زكاة فتصدق بها على المهجور

وكتب إلى أبي العلاء الأسدى [من البسيط] :

أبا العلا يا هلال الهزل والجد كيف النجوم التى تطلعن فى الجلد
وباطن الجسم غر مثل ظاهره وأنت تعلم مما قلته قصدى

سمعت أبا الفتح على بن محمد البستى يقول : لم أسمع فى إنفاذ الحلواء إلى الأصدقاء أحسن من قول الصاحب [من المتقارب] :

حلاوة حبك يا سيدى تسوغ بعثى إليك الحلاوة

فقلت له : وأنا لم أسمع فى النثار للرؤساء أحسن من قولك [من المتقارب] :

ولو كنت أنثر ما تستحق نثرت عليك سعود الفلك

ثم تذاكرنا فى أحسن ما نحفظه فى كل باب ، فجرت نكت كثيرة فسألنى أن أؤلف كتاباً فى الأحاسن ، وأورد فيه أحسن ما سمعته فى كل فن ، فأجبته إلى ذلك . وحين ابتدأته عرضت موانع وقواطع عن استتمامه ، أقواها غيبته عن خراسان ، ثم وفاته رحمه الله تعالى .

وقال الصاحب [من مخلع البسيط] :

قولوا لإخواننا جميعا من كلهم سيد مررا
من لم يعدنا إذا مرضنا إن مات لم نشهد المعزى

وقال لمحمود التاجر [من السريع] :

طويت محموداً على جفوته مخلصا نفسى من خلته
قدرته يقلق من علتى مثل انزعاجى كان من علته
لم يطر مالى لا ولا مربى كأن سقمى كان من شهوته
من لم يطالعنى على علة إن مات لم أمض إلى تربته

وقال للقاضى أبى بشر الجرجانى [من الوافر] :

نصد الفضل عنا أى صد وقال تأخرى عن ضعف معده
فقلت له جعلت العين واواً فإن الضعف أجمع فى الموده

وقال [من الطويل] :

بعدت فطعم العيش عندى علقم ووجه حياتى مذ تغيبت أرقم
فمالك قد أدعمت قربك فى النوى وودك فى غير النداء مرخم

* * *

ملح من مدائحه

قال من قصيدة فى عضد الدولة [من الطويل] :

همام رأى الدنيا سواماً تخاطها لبالى فى عير الزمان وقور
ولم يخطب الدنيا احتفالا بقدرها فموقعها من راحتيه يسير

ونكس له طمع إلى الخير سابق ورأى بأنباء الرجال بصير
وإن لم يلاحظهم بعين حمية فتلك أمور لاتزال تمور

ومن أخرى [من الطويل]

سعود بخار المشترى فى طريقها ولا تتأتى فى حساب المنجم
وكم عالم أحييت من بعد عالم على حين صاروا كالهشيم المحطم
فوالله لولا الله قال لك الورى مقال النصارى فى المسيح ابن مريم
محامد لو فضت ففاضت على الورى لما أبصرت عيناك وجه مذمم
وكلا ولكن لو حظوا بزكاتها لما سمعت أذناك ذكر ملوم
ولو قلت إن الله لم يخلق الورى لعمرك لم أحرج ولم أتأثم

ومن أخرى [من الكامل] :

يا أيها الملك الذى كل الورى قسمان بين رجائه وحذاره
فناصح قد فاز سهم طلابه ومداهن قد جال قدح بواره
هذى بخارى تشتكى ألم الصدى وتقول قولا بث فى أخباره
ماذا عليه لو يهم بعرصتى وأكون بعض بلاده ودياره

ومن عيدية ذكر فيها نقرسا نال يمناه من الطويل :

أبو الفضل من أجرى إلى الفضل يافعا فظل به يدعى وصار به يكنى
سلامته شمس المعالى وسقمه كسوف المعالى لا كسفن ولا سنا
ولم يأته ورد السقام لعسير ما عرفنا لحسن معنى بألمه منا
وما راده إلا ليشغل عن ندى وإلا فلم قد خص بالألم اليمنى
وما يحجز البحر الخضم عن الندى ولا السيد الأستاذ عن جوده نثنى

وكتب إلى مؤيد الدولة أبى منصور [من الرجز] :

سعاده ما نالها قط أحد يحوزها المولى الهمام المعتمد

مؤيد الدولة وابن ركنها وابن أخي معزها أخو العضد

وقال في فخر الدولة وقد افتصد [من البسيط] .

يا أيها الشمس إلا أن طلعتها فوق السماء وهذا حين يفتصد
لما افتصدت قضينا للعلا عجبا وما حسبت ذراع الشمس يفتصد

وقال فيه لما بنى قصره بجرجان [من السريع] :

يا بانيا للقصر بل للعلا همك والفرقد سيان
لم تبن هذا القصر بل صغته تاجاً على مفرق جرجان
وقصرك المبنى من قبله ملكك ، والله هو الباقى
فاقبل نثار العبد بل نظمه فإنه والدر مثلان
واسمع مقالا لم يقل مثله مذ كانت الدنيا لإنسان
لو كان للخلق إلـهان لكان فخر الدولة الثانى

* * *

ملح من شعره في الهجاء والمجون

قال في ابن متويه [من مجزوء الرمل] :

يا فتى متوى رفقا لست من ينكر أصله
إنما ينكر منه من جنون فيه نقله
أنت نذل من كرام أنت في الطاووس رجله

كأنه مقلوب بيت المتنبي [من الوافر] :

فإن تفق الأنام وأنت منهم فإن المسك بعض دم الغزال

وقال في معناه [من الوافر] .

أبوك أبو على ذو علاء إذا عد الكرام وأنت نجله
وإن أباك إذ تعزى إليه لكالطاووس يقبح منه رجله

وقال فيه [من السريع] :

أحمد هـــذا سبط متويه في موته بعـد غد تهنيه
والشأن في أني على بغضه أحتاج أن أقعد للتعزيه

وقال فيه [من السريع] :

قال ابن متويه لأصحابه وقد حشوه بأيور العبيد
لئن شكرتم لأزيدنـكم وإن كفرتم فعذابي شديد

وقال فيه [من الـكامل] :

أبصرت في كف ابن متوى عصا فسألته عنهـــا ليوضح عذرا
فأجابني إني بهـا متشايخ هذا ، ولي فيها مآرب أخرى

وقال فيه [من الخفيف] :

سبط متوى إن دارك دار قد عرفت الإدبار إذ تبنيها
لا تـكثر تزويقهـا وترفق عن قليل يكون قـبرك فيها

وقال فيه [من مجزوء الرمل] :

كلما زدت عتابا زدت في هجوك بيتا
أو ترى طبعي غيضاً أو أرى جسمك ميتا

وقال فيه [من الرمل] :

سبط متوى رقيع سفله أبدا يبذل فينا أسفله
اعتزلنا نيكه في دبره فلهذا يلعن المعتزله

وقال فيه [من المجتث] :

رام ابن متوى أيرى وبرجه فيـــه طير
فقلت تطلب أيرى هذا وفي استك أير
فقال لي لا تحمق زيادة الخير خير

وقال فيه [من السريع] :

عنـــدى سر لابن متويه   وعزمى الساعة أن أفشى
أخبرنى بعضى عن بعضهْ   بأنه أوسع من يمشى

وقال فى الغويرى [من السريع] :

إن الغويرى له نـكهة   تنتنها أربت على الـكنف
ياليته كان بلا نـكهة   أو ليتنى كنت بلا أنف

وقال فى رجل يتعصب للعجم على العرب ويعيب العرب بأكل الحيات . [من السريع] :

ياعائب الأعراب من جهله   لأكلهـا الحيات فى الطعم
فالعجم طول الليل حياتهم   تنساب فى الأخت وفى الأم

وقال فيمن زوج أمه [من مجزوء الـكامل] :

زوجت أمك ياقتى   وكسوتنى ثوب القلق
والحر لا يهـدى الحزا   م إلى الرجال على طبق

وقال [من الرجز] :

لم أر مثل جعفر مخلوقاً   يشبه طبلا ويحب بوقا

وقال [من الرجز] :

يابركة ملأى من الشبوط   قفاك بغاء وكفى لوطى[1]

وقال [من الهزج] :

لنـا قاض له رأس   من الخفـة مملوء
وفى أسـفله داء   بعيـد منكم السوء

(١) الشبوط — بضم الشين وفتحها — نوع من السمك دقيق الذنب عريض الوسط لين المس صغير الرأس كأنه بربط

وقال [من مجزوء الرمل] :

إن قاضينا لأعمى أم على عمد تعامى
سرق العيد كأن الـعيد من مال اليتامى

وقال [من المجتث] :

ياقاضياً بات أعمى عن الهلال السعيد
أفطرت فى رمضان وصمت فى يوم عيد

وقال [من الهزج]

إذا ما لاح للعين أبو بكر فتى القاضى
وقد زاد من التيه على القاهر والراضى
فواجهه بإمضاض وقابله بإغضاض
وقالوا فى حر أمك قد الحاكم الماضى

وقال [من الطويل] :

رأيت لبعض الناس فضلا إذا انتمى يقصر عنه فضل عيسى ابن مريم
عزوه إلى تسع وتسعين والداً وليس لعيسى والد حين ينتمى

وقال [من الطويل] :

سيأتيك برق من هجائى خلب إذا كنت ذا برق من الود خلب
وأنشد إذ أصبحت تغلب قدرتى بعجزك لم يغلبك مثل مغلب(١)

وقال [من السريع] :

مطفل أطفل من أشعب مازال محروماً ومذموماً
لو أنه جاء إلى مالك لقال أطعمنى زقوماً

وقال [من السريع]

انظر إلى وجه أبى زيد أوحش من حبس ومن قيد

---

(١) يشير إلى قول الشاعر .

فإنك لم يفخر عليك كفاخر ضعيف . ولم يغلبك مثل المغلب

وحوشه ترتع فى ثوبه   وظفره يركب للصيد

وقال فى رجل كثير الشرب بطىء السكر [من الطويل] :

يقال لماذا ليس يسكر بعدما   توالت عليه من نداماه قرقف

فقلت سبيل الخمر أن تنقص الحجى   فإن لم تجد عقلا فماذا تحيف

وقال [من السريع] :

هذا ابن موسى له آية   يبتلع الأير وأقصى الخصى

يكفر بالرسل جميعا سوى   موسى بن عمران لأجل العصا

وقال [من الخفيف]

أنت تيس لا كالتيوس لأن الـ   ـتيس ينزو وأنت ينزى عليكا

وقال [من الوافر] :

أبو العباس تحصره جموع   من الفقهاء لجوا فى العواء

كأنهم إذا اجتمعوا عليه   ذباب يجتمعن على خراء

وقال [من الوافر]

أبو العباس قد أضحى فقيهاً   يبيه بفقهه فى الناس تيها

وذلك أن لحيته أنتنى   تناظر فقحتى خريت فيها

وقال [من الهزج]

أبو العباس فيه الأيـ   ـر ينساب انسياب الأيم

فتى يأذن بالفقحـ   ـة للأسياف التيم

وقال [من البسيط] :

هذا الأديب الذى وافى يفاخرنا   أضحى إلى كمر السودان مشتاقا

فما يفارق طوماراً يعالجه   إلا بآخر يمضى فيه إعناقا

كأنما هو حرباء بنيضته   لا يرسل الساق إلا ممسكا ساقا

وأنشدنى له الأمير أبو الفضل عبيد الله بن أحمد الميكالى [من الكامل] :

نبئت أنك منشد ما قلته ... فى سب عرضك لا تخاف وعيدى
والكلب لا يخزى إذا أخسأته ... والقار لا يخشى من التسويد

وأنشدنى له أيضا [من السريع] :

شرط الشروطى فى أير ... وما سواه غير مشروط
أبغى من الإبره لكنه ... يوهم قوماً أنه لوطى

وأنشدنى له غيره [من المتقارب] :

تزلزلت الأرض زلزالها ... فقالوا بأجمعهم مالها
مشى ذا الثقيل على ظهرها ... فأخرجت الأرض أثقالها

وقال [من مجزوء الكامل] :

قد طال قرنك ياأخى ... فكأنه شعر الكميت

* * *

ما أخرج له رحمه الله فى سائر الفنون

قال [من المتقارب] :

تصد أميمة لما رأت ... مشيباً على عارضى قد فرش
فقلت لها الشيب نقش الشباب ... فقالت ألا ليته ما نقش

وقال [من الطويل] :

ولما تناءت بالأحبة دارهم ... وصرنا جميعاً من عيان إلى وهم
تمكن منى الشوق غير مسامح ... كمعتزلى قد تمكن من خصم

وقال [من الخفيف] :

كنت دهراً أقول بالاستطاعه ... وأرى الجبر ضلة وشناعه
ففقدت استطاعتى فى هوى ظبـ ... ـى فسمعاً للمجبرين وطاعه

وقال [من المتقارب] :

لقد قلت لما أتوا بالطبيب وصادفني في أحر اللهيب
وداوى فلم أنتفع بالدواء دعوني فإن طبيبي حبيبي
ولست أريد طبيب الجسوم ولكن أريد طبيب القلوب
وليس يزيل سقامي سوى حضور الحبيب وبعد الرقيب

وقال [من الخفيف] :

ناصب قال لي معاوية خا لك خير الأعمام والأخوال
فهو خال المؤمنين جميعاً قلت خالي لكن من الخير خال

وقال [من السريع] :

حب علي بن أبي طالب هو الذي يهدي إلى الجنه
إن كان تفضيلي له بدعة فلعنة الله على السنة

وقال في شهر رمضان [من الخفيف] :

قد تعدوا على الصيام وقالوا حرم الصب فيه حسن العوائد
كذبوا في الصيام للمرء مهما كان مستيقظاً أتم الفوائد
موقف بالنهار غير مريب واجتماع بالليل عند المساجد

وقال [من الكامل] :

راسلت من أهواه أطلب زورة فأجابني أولست في رمضان ؟
فأجبته والقلب يخفق صبوة أتصوم عن بر وعن إحسان
صم إن أردت تحرجا وتعففاً عن أن تنكد الصب بالهجران
أولا فزرني والظلام مجلل واحسبه يوماً مر في شعبان

وقال في مرض علوي [من الكامل] :

يا سيداً أفديه عند شكاته بالنفس والولد الأعز وبالأب

لم لا أبيت على الفراش مسهدا وقد اشتكى عضو من أعضاء النبي

وقال يرثى أبا الحسن السلمى [من الطويل] :

إذا مانعى الناعون أهل مودتى بكيت عليهم بل بكيت على نفسى

نعوا مهجة السلمى وهى سلامة غلبت عليها فالسلام على الأنس

وقال يرثى أبا منصور كثير بن أحمد [من الطويل] :

يقولون لى أودى كثير بن أحمد وذلك رزء فى الأنام جليل

فقلت دعونى والعلا نبكه معاً فمثل كثير فى الرجال قليل

وقال [من الكامل] :

يا أهل سارية السلام عليكم قد قل فى أرضيكم الخطباء

حتى غدا الفأفاء يخطب فيكم ومن العجائب خاطب فأفاء

وقال فى أخوين صبيح وقبيح [من السريع] .

يحيا حكى المحيا ولكن له أخ حكى وجه أبى يحيى

وقال [من الطويل] :

لقد صدقوا والراقصات إلى منى بأن مودات العدى ليس تنفع

ولو أننى داريت عمرى حية إذا مكنت يوماً من اللسع تلسع

وقال [من الوافر] :

إذا أدناك سلطان فزده من التعظيم واحذره وراقب

فما السلطان إلا البحر عظما وقرب البحر محذور العواقب

وقال [من المتقارب] :

وقائلة لم عرتك الهموم وأمرك ممتثل فى الأمم ؟

فقلت دعينى على غصتى فإن الهموم بقدر الهمم

* * *

نبذ من ذكر سرقاته

سمعت أبا بكر الخوارزمي يقول : قال بعض ندماء الصاحب له يوما : أرى مولانا قد أغار في قوله [من الطويل] :

لبس برود الوشي لا لتجمل ولكن لصون الحسن بين برود

على قول المتنبي [من الوافر] :

لبسن الوشي لا متجملات ولكن كي يصن به الجمالا

فقال : كما أغار هو بقوله [من المسرح] :

ما بال هذي النجوم حائرة كأنها العمى مالها قائد

على العباس بن الأحنف في قوله [من الكامل] :

والنجم في كبد السماء كأنه أعمى تحير ما لديه قائد

وسمعت أيضا أبا بكر يقول : أنشدني الصاحب لنفسه منها هذا البيت [من الطويل] :

لئن هو لم يكفف عقارب صدغه فقولوا له يسمح بترياق ريقه

فاستحسنته جدا حتى حممت من حسدي له عليه، ووددت لو أنه لي بألف بيت من شعري

قال مؤلف الكتاب: فأنشدت الأمير أبا الفضل عبيد الله بن أحمد الميكالي هذا البيت ، وحكيت له هذه الحكاية في المذاكرة ، فقال لي : أتعرف من أين سرق الصاحب معنى هذا البيت ؟ فقلت : لا والله ، قال : إنما سرقه من قول القائل ، ونقل ذكر العين إلى ذكر الصدغ [من مجزوء الرمل] :

لدغت عينك قلبي إنما عينك عقرب

لكن المصه من ريقك ترياق مجرب

فقلت : لله در مولانا الأمير ! فقد أوتي حظاً كثيراً من التخصص بمعرفة اللصوص

قلت : ومعنى قول الصاحب فى الثلج [من الخفيف] .

وكأن السماء صاهرت الأر ض فكان النثار من كافور

ينظر إلى قول ابن المعتز [من الخفيف] :

وكأن الربيع يجلو عروسا وكأنا من قطره فى نثار

وقول الصاحب [من الطويل] :

يقولون لى كم عهد عينك بالكرى فقلت لهم مذ غاب بدر دجاها

ولو تلتقى عين على غير دمعه لصارمتها حتى يقال نفاها

مأخوذ لفظ البيت الثانى من قول المهلبي الوزير [من الطويل] :

تصارمت الأجفان منذ صرمتنى فما تلتقى إلا على عبرة تجري

وقول الصاحب [من الخفيف] :

هات مشطا إلى وليك عاجا فهو أدنى إلى مشيب الرءوس

وإذا ما مشطت عاجا بعاج فامشط الآبنوس بالآبنوس

مأخوذ من قول أبى عثمان الخالدى [من الخفيف] :

ورأتنى مشطت عاجاً بعاج فامشط الآبنوس بالآبنوس

وأخذ قوله [من مجزوء الرجز] :

فم الغويرى إذا فتشته أنتن فم

كم قلت إذ كلمنى وا أسفى على الخشم

من قول المهلبي الوزير [من مجزوء الوافر] :

وإن أبصرت طلعته فوالهفى على العمش

وأخذ قوله فى ابن العميد [من الطويل] :

إلى سيد لولاه كان زماننا وأبناؤه لفظا عرياً عن المعنى

من قول المتنبي [من المنسرح] :

* والدهر لفظ وأنت معناه *

وقوله في القافية الأخيرة [من الرجز] :

وناصح أسرف في التكبير يقول لي سدت بلا نظير
فكيف صغت الهجو في حقير مقداره أقل من نقير
فقلت لا تنكر وكن عذيري كم صارم جرب في خنزير

من قول الحمدوني [من الطويل] :

* هبوني امرأ جربت سيفي على كلب *

وقوله في البيت الأخير من هذه الأبيات [من الكامل] :

ومهفهف حسن الشمائل أهيف تردى النفوس بفترتي عينيه
ما زال يبعدني ويؤثر هجري فجذبت قلبي من إسار يديه
قالوا تراجعه فقلت بديهـــة قولا أقيم مع الروي عليه
والله لا راجعتـه ولو أنه كالشمس أو كالبدر أو كبويه

مأخوذ من قول ابن المعتز [من الكامل] :

والله لا كلمته ولو أنه كالشمس أو كالبدر أو كالمكتفي

* * *

نبذ مما هجي به الصاحب

* ما زالت الأملاك تهجى وتمدح *

قال أبو العلاء الأسدي [من البسيط] :

إذا رأيت مسجي في مرقعة يأوي المساجد حرا ضره بادي
فاعلم بأن الفتى المسكين قد قذفت به الخطوب إلى لؤم ابن عباد

وقال أبو الحسن الغويري [من السريع] :

إن كان إسماعيل لم يدعى لأن أكل الخبز صعب لديه

فإنى آكل فى منزلى إذا دعانى ثم أمضى إليه

وقال السلامى [من مجزوء الرمل] .

يا ابن عباد بن عبا س س عبد الله حرها
تنكر الخير وأخرجــــت إلى العالم كرها

وقال أبو بكر الخوارزمى [من السريع] :

صاحبنا أحواله عاليه لـكنها غرفته خاليه
وإن عرفت السر من دائه لم يسأل الله سوى العافيه

* * *

ذكر آخر أمره

لما بلغت سنوه الستين اعترته آفة الكمال ، وانتابته أمراض الـكبر ، جعل ينشد قوله [من الوافر] :

أناخ الشيب ضيفاً لم أرده ولـكن لا أطيق له مردا
رداء للردى فيــــه دليل تردى من به يوماً تردى

ولما كنى المنجمون عما يعرض له فى سنه موته قال [من الرجز] :

يا مالك الأرواح والأجسام وخالق النجوم والأحكام
مدبر الضياء والظلام لا المشترى أرجوه للإنعام
ولا أخاف الضر من بهرام وإنما النجوم كالأعلام
والعلم عند الملك العلام يا رب فاحفظنى من الأسقام
ووقنى حوادث الأيام وهجنة الأوزار والآثام
هبنى لحب المصطفى المعنام وصنوه وآلــــه الـكرام

وكتب بخطه على تحويل السنة التى دلت على انقضاء عمره [من الطويل] :

أرى سنتى قد ضمنت بعجائب وربى يكفينى جميع النوائب

ويدفع عنى ما أخاف بجنبه ويؤمن ما قد خوفوا من عواقب
إذا كان من أجرى الكواكب أمره معى فما أخشى صروف الكواكب
عليك أيارب السماء توكلى لحطى من شر الخطوب الحوارب
وكم سنة حذرتها فتزحزحت بخير وإقبال وجد مصاحب
ومن أضمر اللهم سوءا لمهجتى فرد عليه الكيد أخيب خائب
فلست أريد السوء بالناس إنما أريد بهم خيراً مريع الجوانب
وأدفع عن أموالهم ونفوسهم بجدى وجهدى باذلا للمواهب
ومن لم يسعه ذاك منى فإننى سأكفاه إن الله أغلب غالب

وبلغته عن بعض أصحابه شماتة فقال [من الطويل] :

وكم شامت بى بعد موتى جاهلا بظلمى يسل السيف بعد وفاتى
ولو علم المسكين ماذا يناله من الظلم بعدى مات قبل مماتى

ووجد فى بعض أيام مرضته التى توفى فيها خفة ، فأذن للناس ، وحل وعقد وأمر ونهى ، وأملى كتبا تعجب الحاضرون من حسنها ، وفرط بلاغتها ، وقال [من مجزوء الرجز] :

كلامنا من غرر وعيشنا من غرر
إنى وحق خالقى على جناح السفر

ثم لما كانت ليلة الجمعة الرابع والعشرين من صفر سنة خمس وثمانين وثلثمائة انتقل إلى جوار ربه ومحل عفوه وكرامه ، ومضى من الدنيا بمضيه رونق حسنها وتاريخ فضلها ، رضى الله تعالى عنه وأرضاه ، وجعل الجنة مأواه بمنه وكرمه !! .

* * *

أنموذج من مراثيه

من قصيدة أبي القاسم بن أبي العلاء الإصبهاني تغمده الله برحمته ، وأسكنه بحبوحة جنته ! [من البسيط] :

يا كافى الملك ماوفيت حظك من وصف وإن طال تمجيد وتأبين
فت الصفات فما يرثيك من أحد إلا وتزيينه إياك تهجين
مامت وحدك لكن مات من ولدت حواء طراً ، بل الدنيا ، بل الدين
هذى نواعى العلا مذ مت نادبة من بعد ما ندبتك الخرد العين
تبكى عليك العطايا والصلات كما تبكى عليك الرعايا والسلاطين
قام السعاة وكان الخوف أقعدهم فاستيقظوا بعد ما مت الملاعين
لا يعجب الناس منهم إن هم انتشروا مضى سليمان وانحل الشياطين

ما أحسن هذا المثل ، وأمكن موقعه !! .

ومن قصيدة أبي الفرج بن ميسرة [من الوافر] :

ولو قبل الفداء لكان يفدى وإن جل المصاب على التفادى
ولكن المنون لها عيون تكد لحاظها فى الانتقاد
فقل للدهر أنت أصبت فالبس برغمك دوننا ثوبى حداد
إذا قدمت خاتمة الرزايا فقد عرضت سوقك للكساد

ومن قصيدة أبي سعيد الرستمي [من الطويل] :

أبعد ابن عباس يهش إلى السرى أخو أمل أو يستماح جواد
أبى الله إلا أن يموتا بموته فما لهما حتى المعاد معاد

ومن قصيدة أبي الفياض سعيد بن أحمد الطبرى [من الوافر] :

خليلى كنف يقبلك المقيل ودهرك لا يقيل ولا يقبل

ينادى كل يوم فى بنيه ألا هبوا فقد جد الرحيل
وهم رحلان منتظر غفول ومبتدر إذا يدعى عجول
كأن مثال من يمضى ويبقى رعيل سوف يتلوه رعيل
فهم ركب وليس لهم ركاب وهم سفر وليس لهم قفول
تدور عليهم كأس المنايا كما دارت على الشرب الشمول
ويحدوهم إلى المعاد حاد ولكن ليس يقدمهم دليل
ألم تر من مضى من أولينا وغالتهم من الأيام غول
قد احتالوا فما دفع الحويل وأعولنا فما نفع العويل
كذاك الدهر أعمار تزول وأحوال تحول ولا تؤول
لنا منه وإن عفنا وخفنا رسول لا يصاب لديه سول
وقد وضح السبيل فما لخلق إلى تبديله أبداً سبيل
لعمرك إنه أمد قصير ولكن دونه أمد طويل
أرى الإسلام أسلمه بنوه وأسلمهم إلى وله يهول
أرى شمس النهار تكاد تخبو كأن شعاعها طرف كليل
أرى القمر المنير بدا ضئيلا بلا نور فأضناه النحول
أرى زهر النجوم محدقات كأن سراتها عور وحول
أرى وجه الزمان وكل وجه به مما يكابده فلول
أرى شم الجبال لها وجيب تكاد تذوب منه أو تزول
وهذا الجو أكلف مقشعر كأن الجو من كمد عليل
وهذى الريح أطيبها سموم إذا هبت وأعذبها بليل
وللسحب الغزار بكل فج دموع لا يذاد بها المحول
نعى الناعى إلى الدنيا فتاها أمير الله فالدنيا ثكول

نعى كافى الـكفاة فكل حر عزيز بعد مصرعه ذليل
نعى كهف العفاة فكل عين بما نقذى العيون به كحيل
كأن نسيم تربته سحيراً نسيم الروض تقبله القبول
إذا وافى أنوف الركب قالوا سحيق المسك أم ترب مهيل
أيا قمـر المكارم والمعـالى أبن لى كيف عاجلك الأفول
أبن لى كيف هالك ما يهول وغالك بعد عزك مايغول
ويا من ساس أشتات البرايا وألجم من يقول ومن يصول
أدلت على الليالى من شكاها وقد جارت عليك فمن يديل
بكاك الدين والدنيا جميعاً وأهلهما كما يبكى الحمول
بكتك البيض والسمر المواضى وكنت تعولها فيمن تعول
بكتك الخيل معولة واكن بكاها حين تندبك الصهيل
قلوب العالمين عليك قلب وحظك من بكائهم قليل
ولى قلب لصاحبه وفى يسيل وتحته روح تسيل
إذا نظمت يدى فى الطرس بيتاً محاه مسـه منتظم هطول
فإن يك رك شعرى من ذهولى فذلك بعض مايجنى الذهول
كتمت بما بكيت لأن دمعى عليك الدهر فياض همول
وكنت أعد من روحى فداء لروحك إن أريد لها بديل
أأحيا بعـده وأقر عينا حياتى بعده غدر غلول
حياتى بعـده موت وحى وعيشى بعده سم قتول[1]
عليك صلاة ربك كل حين تهب بها من الخلد القبول

ومن قصيدة الشريف أبى الحسن الرضى الموسوى النقيب [من الكامل] :

---

(١) موت وحي ـ بفتح الواو وتشديد الياء ـ أى سريع .

أكذا المنون يقطر الأبطالا أكذا الزمان بضعضع الأجبالا
أكذا تصاب الأسد وهى مدلة تحمى الشبول وتمنع الأغيالا
أكذا تقام عن الفرائس بعدما ملأت هماهمها الورى أوجالا
أكذا تحط الزاهرات عن العلا من بعد ماشاف العيون منالا
أكذا تكب البزل وهى مصاعب تطوى البعيد وتحمل الأثقالا
أكذا تغاض الزاخرات وقد طغت لججا وأوردت الظماء زلالا
ياطالب المعروف حلق نجمه حط الحمول وعطل الأجمالا
وأقم على يأس فقد ذهب الذى كان الأنام على نداه عيالا
من كان يقرى الجهل علما ثاقباً والنقص فضلا والرجاء نوالا
ويجبن الشجعان دون لقائه يوم الوغى ويشجع السؤالا
خلع الردى ذاك الرداء نفاسة عنا وقلص ذلك السربالا
خبر تمخض بالأجنة ذكره قبل اليقين وأسلف البلبالا
حتى إذا جلى الظنون يقينه صدع القلوب وأسقط الأحمالا
الشك أبرد للحشى فى مثله يالبت شكى فيه دام وطالا
جبل تسنمت البلاد هضابه حتى إذا ملأ الأقالم زالا
يا طود كيف وأنت عادى الذرى ألقى بجانبك الردى زلزالا
ما كنت أول كوكب ترك الدنا وسما إلى نظرائه فتعالى
أنفا من الدنيا نبت حبالها ونزعت عنك قميصها الأسمالا
لا رزء أعظم من مصابك إنه وصل الدموع وقطع الأوصالا
إن قطع الآمال منك فإنه من بعد يومك قطع الآمالا
يا آمر الأقدار كيف أطعتها أو ما وقاك جلالك الآجالا
هلا أقالتك الليالى عثرة يا من إذا عثر الزمان أقالا

وأرى الليالى طارحات حبالها تستوهق الأعيان والأرذالا(١)
يبرين عود النبع غير فوارق بين النبات كما برين الضالا
لا تأمن الدنيا عليك فإنها ذات البعول تبدل الأبدالا
كم حجة فى الدين حضت غمارها هدر الفنيق تخمطا وصيالا(٢)
سنان رمحك أو لسانك موسعا طعنا يشق على العدى وجدالا
إن ينكس الإسلام بعدك رأسه فلقد رزى بك موئلا ومآلا
واها على الأقلام بعدك إنها لم ترض بعد بنان كفك آلا
أفقدن منك شجاع كل بلاغة إن قال جلى فى المقال وجالا
من لو يشا طعن العدى برءوسها وأثار من جريانها قسطالا
سلطان ملك كنت أنت تعزه ولرب سلطان أعز رجالا
إن المشمر ذيله لك خيفة أرخى وجرر بعدك الأذيالا
طلبوا التراث فلم يروا من بعده إلا علا وفضائلا وجلالا
هيهات فاتهم تراث مخاطر جمع الثناء وضيع الأموالا
قد كان أعرف بالزمان وصرفه من أن يثمر أو يجمع مالا
مفتاح كل ندى ، ورب معاشر كانوا على أموالهم أقفالا
كان الغريبة فى الزمان فأصبحوا من بعد غارب نجمه أمثالا
من فاعل من بعده كفعاله أو قائل من بعده ما قالا
سمح يرنع للسؤال سجوفه ويحجب الأهزاج والأرمالا
ياطالبا من ذا الزمان شبيهه هيهات كلفت الزمان محالا
إن الزمان أضن بعد وفاته من أن يعيد لمثله أشكالا
وأرى الكمال جنى عليه لأنه غرض النوائب من أعير كمالا
صلى الإله عليك من متوسد بعد المهاد جنادلا ورمالا

---

(١) الوهق ـ محركة ويسكن ـ الحبل يرمى فى أنشوطة فتؤخذ به الدابة والانسان ، واستوهق : صنع الوهق ، وأراد هنا معنى اصطاد

(٢) التخمط : الهدير ، والصيال : المصاولة .

كسف البلى ذاك الهلال المجتلى وأجر ذاك المقول الجوالا
ورأيت كل مطية قد بدلت من بعد يومك بالزمام عقالا
لمن الضوامر عريت أمطاؤها حول الخيام تنازع الأطوالا
بدلن من لبس الشكيم مقاودا مربوطة ومن السروج جلالا
فجعت بمنصلت يعرض للقنا أعناقها ويحصن الأكفالا
طرح الرجال لك العمائم حسرة لما رأوك تسير أو إجلالا
قالوا وقد جثوا بنعشك سائرا من ميل الجبل العظيم فمالا
وتبادروا عط الجيوب وعاجلوا عض الأنامل يمنة وشمالا(١)
ما شققوا إلا كساك وآملوا إلا أنامل نلن منك سجالا
من ذا يكون معوضا ما مزقوا ومعولا لمؤمل وثمالا
فرغت أكف من نوالك بعدها وأطال عظم مصابك الأشغالا
أعزز على بأن يبدل زائر بعد التهلل عندك استهلالا
أو أن يناديك الصريخ لكربة حشدت عليه فلا تحير مقالا
قد كنت آمل أن أراك فأجتني فضلا إذا غيرى جنى أفضالا
وأفيد سمعك منطقى وفضائلى وتفيدنى أيامك الإقبالا
وأعد منك لريب دهرى جنة تثنى جنود خطوبه فلالا
فطواك دهرك طى غير صيانة وأعاد أعلام العلا أغفالا
قبر بأعلى الرى شق ضريحه لأغر حفزه الردى إعجالا
فرعاه من أرعى البرية سيبه وسقاه من أسقى به الآمالا
إن يمس موعظة الأنام فطالما أمسى مهابا للورى ومهالا
لنسلى الدنيا عليه فإنها نزعت به الإحسان والإجمالا

ولأبى العباس الضبى وقد مر بباب الصاحب [من الخفيف] :

أيها الباب لم علاك اكتئاب أين ذاك الحجاب والحجاب ؟

(١) عط الثوب يعطه عطا — من باب نصر — شقه

أين من كان يفزع الدهر منه ... فهو اليوم فى التراب تراب ؟ !

ولبعض بنى المنجم لما استوزر أبو العباس الضبي ولقب بالرئيس وضم إليه أبو على ولقب بالجليل بعد موت الصاحب تغمده الله برحمته آمين [من البسيط] :

والله والله لا أفلحتم أبدا ... بعد الوزير ابن عباد بن عباس

إن جاء منكم جليل فاجلبوا أجلى ... أو جاء منكم رئيس فاقطعوا راسى

وأنشدنى أبو العباس العلوى الهمذانى الوصى لنفسه فى مرثية الصاحب [من مجزوء الكامل] :

مات الموالى والمحب ... لأهل بيت أبي تراب

قد كان كالجبل المنيع ... لهم فصار مع التراب

وأنشدنى أيضا فيه لنفسه [من الكامل] :

نوم العيون على الجفون حرام ... ودموعهن مع الدماء سجام

تبكى الوزير سليل عباد العلا ... والدين والقرآن والإسلام(١)

تبكيه مكة والمشاعر كلها ... وحجيجها والنسك والإحرام

تبكيه طيبه والرسول ومن بها ... وعقيقها والسهل والأعلام

كافى الكفاة فتى حميداً نحبه ... ذاك الإمام السيد الضرغام

مات المعالى والعلوم بموته ... فعلى المعالى والعلوم سلام

ولبعض أهل نيسابور من قصيدة [من الهزج] :

ألا ياغرة العليا ... ألا يانكبة الدنيا

وشمس الأرض فرد الدهر ... عين السؤدد اليمنى

أما استحيا أبو يحيى ... لفض المهجة الكبرى

لئن ختمت بك الدنيا ... لقد فتحت بك الأخرى

* * *

(١) العلا : فاعل تبكى ، وحذف التنوين من « عباد » لاقامة الوزن

البـــاب الرابع

فى ذكر أبى العباس أحمد بن إبراهيم الضبي
وملح من نثره ونظمه

هو جذوة من نار الصاحب أبى القاسم ، ونهر من بحره ، وخليفته النائب منابه فى حياته . القائم مقامه بعد وفاته . وكان الصاحب استصحبه منذ الصبا ، واجتمع له الرأى والهوى ، فاصطنعه لنفسه ، وأدبه بآدابه ، وقدمه بفضل الاختصاص على سائر صنائعه وندمائه ، وخرج به صدرا يملأ الصدور كمالا ، ويجرى فى طريقه ترسما وترسلا ، وفى ذرى المعالى توقلا ، وتحقق قول أبى محمد الخازن فيه من قصيدة [من المنسرح] :

تزهى بأترابها كما زهيت ضبة بالماجدين ماجدها
سماؤها شمسها عمامتها هلالها بدرها عطاردها
يروى كتاب الفخار أجمع عن كافى كفاة الورى وواحدها

وقوله فيه من أخرى [من البسيط] :

نماه ضبة فى أزكى مناصبه فخرا وأوطأه الشعرى وأمطاه
يعطى ويحوى ولا يبغى الثناء به حتى كأن الذى أعطاه غطاه
يسير يوم الوغى والدهر يقدمه كأنما الدهر أيضا من سراياه
وإن بدا أحيت الآمال طلعته حتى تقدر محياها محياه
ومن يوالى ابن عباد مخالصه يحز سعادة دنياه وأخراه
فما الصنائع إلا ما تخيره وما الودائع إلا ما تولاه
فاسلم ودم أيها الأستاذ مبتهجا وخذ من العيش أصفاه وأضفاه
فقد تقبلت فى الجدوى معالمه كما توخيت فى الجلى قضاياه

وقد كانت بلاغة العصر بعد الصاحب والصابى ، نقبت متماسكة بأبى العباس وأشرفت على التهافت بموته ، وكادت تشيب بعده لمم الأقلام . وتجف غدر محاسن الكلام ، لولا أن الله تعالى سد ببقاء الأمير أبى الفضل عبيد الله بن أحمد ثلم الأدب والكتابة ، وداوى بالدفاع عن نفسه كلم البلاغة والبراعة . وجعله فرد الزمان ، ولسان خراسان . وكافل يتم الفضل ، ومنفق سوق النثر والنظم . وسيمر بك فى القسم الرابع من هذا الكتاب إن شاء الله من نثره الذى هو نثر الورد ، ونظمه الذى هو نظم العقد . ما ينير به الليل المظلم . وينصف به الدهر الظالم .

* * *

لمع من نثر أبى العباس

فصل من كتاب له فى الصاحب فى ذكر أحمد بن عضد الدولة

وكنت أستحصر كاتبه ، بل كاذبه ، وأحدره سرا ، وأبصره جهراً ، وهو يروغ روغان الثعالب ، ويتفادى تفادى الموارب ، وقد كنت منعت المستأمنة والمنهزمة أول مورده ، من تكثير عدده . علماً بأنهم مؤن بلا منن ، وعناء بلا غنى

فصل له من كتاب إلى أبى سعيد الشيبى

وقد أتانى كتاب شيخ الدولتين فكان فى الحسن ، روضة حزن ، بل جنة عدن ، فى شرح النفس . وبسط الأنس ، برد الأكباد والقلوب ، وقميص يوسف فى أجفان يعقوب .

وبعد ، فإن المنازعين للأمير حسام الدولة نسور ، قد اقتنصتها العصور ودولته حرسها الله فى إبان شبابها واعتدالها ، وريعان إقبالها واقتبالها . قد أسست على صلاح وسداد ، وعمارة دنيا ومعاد . فهى مؤذنة بالدوام ، فى ظل السلامة والسلام .

(ومنها) فبينا نحن فى تجهيز الخيول ليوصل إلى إيثاره، ويؤخذ له بثاره إذ جن، فقلب لنا المجن. ثم لم يقنعه العصيان والكفران،حتى أراد الاستيلاء على البلد . والجناية على النفوس والأهل والولد ونظر إلى فقال : كاتب ، لا منازع ومحارب . نعم وقال من يشجع من الديلم لهز الزانة فى صدرى ، وتجريد السيف فى وجهى ، ولم يدر أن دولة مولانا لو أنكرت الفلك لكفته عن مجراه ، وأن تدبير الصاحب لو رصد النجم لصده عن مسراه ، وأنه مصطنعى ، فلم يعتمدنى لأعظم الأمور وأهم الثغور ، إلا وقد زرع فى أرض تريع ، ووكل السرح إلى من لا يضيع .

فصل من كتاب له إلى أبى على وأبى القاسم العلويين

فى التعزية عن أبيهما أبى الحسين بن أبى محمد رضى الله تعالى عنهم !

كتابى — أطال الله بقاء الشريفين — والدهر ينعى مهجته، والمجد يندب بهجته . والشرف محصور فى قبضة حينه ، والفضل مفجوع بناظر عينه . والذكر الجميل مجدل لمصرعه ، والخلق الوسيع موسد فى مضجعه . ورسم المحاسن داثر عاف ، وشخص المكارم حاسر حاف ومهابط الوحى والرسالة تحنى ظهرها أسفا، ومعادن الوصيه والإمامه تذرى دمعها لهفا . وبقاع الحرمين مسلية على نجمها الآفل . ولابسه ثوب الحداد لركنها المائل ، ويد المواساة مقبوضه عن معونة العانى الذليل ، ولسان الجود معتذر إلى ابن السبيل ، وطوائف العفاة سكى العيش الرطيب والربع الرحيب . والمشارع المعصومة من درن الضن . والمواردالمحروسه من كدر المن،وذوو الحاجات فى حسرات مجددة،وزفرات مرددة . قد أقامت منهم حانيه الضلوع ، وأطارت عنهم قلوبا دامية الصدوع . وبنو الآمال عابسة وجوههم ، منكسة رءوسهم يقولون حصن بم تأبى بموسهم ذلك لأن حادث قضاء الله — جل وجهه ! — استأثر بفرع النبوة .

وعنصر الدين والمروة، وعصرة العدد الجم، وبجدة أهل العلم والفهم. فالدموع واكفة ، والصدور راجفة واهم وارد ، والأنس شارد ، والناس مأتمهم عليه واحد ومعاقد الصبر الجميل بعده منقوضة، وقواعدالبر والخير مخفوضة. فلولا أن الدهر مشحون بطوارق الغير، مشوب صفو أيامه بالكدر. ممزوج صابها بالعسل ، موصول حبال الأمل فيها بأسباب الأجل يفطم أمام تكامل الرضاع . ويفرق قبل الإمتاع بحسن الاجتماع فمن اعتصم بتوفيق الله عز اسمه ، ورضى بما نفذ به حكمه . لبس فى وجوه الحوادث جنة ، لا تنضوها الشدائد ، وأكد فى مصابرة النوائب منة ، لا تنقضها الخطوب الأوابد وأخذ فى الصدمة الأولى بالحزم ، وذخيرة العزم ففاز بالغنم الأكبر ، والحظ الأشرف الأوفر ، ومن اتبع هواه ، وأرتع دينه لدنياه ، فتهالك فى القلق المذموم ، وتقاعس عن الرضى بالقدر المحتوم ، ظهر فى شعار المستكبرين على الله ، والمنكرين التأدب بأدب الله ، فعظم مصابه ، وعدم ثوابه ، وكان إلى الصبر بعد اقتران الوزر مآله ومآبه ، لأريت المحققين برعاية المعهود ، وتأبين الحبيب المفقود . كيف تتحمل الأرزاء ، ويحرم العزاء ، ويطاع داعى الوله ، ويراع جانب القلب المرفه

(ومنها) وعرف كل من ورد وصدر ، وبدأ وحصر . أن من قبض فاستوحش الأنس بمفارقته، واستبشرت الملائكة لمرافقته . وكان مثل الشريفين ريحانة روضه ، والبارد العذب من فيضه . والثمر الحلو من دوحته ، والورق النضر من نبعته . والشاهد العدل لمآثره ، والمشيد الندب لمناقبه ومفاخره ، فهو فى حكم الخالد وإن أصبح فانيا ، والمقيم فى أهله وإن أضحى بالعراء ثاويا ، عزبت الشريفين أدام الله تعالى عزهما ، عما ألم بساحتهما من الخطب، ولسان حزعى أنطق . وعرضت لهما بواجب السلو ، وحاجتى إلى من يصرح

لى به أصدق ، ولكنى جريت على سنة للدين محمودة ، وعادة بين الأحباب معهودة ، تركت أفراد كل من الأشراف سادتى إخوة الشريفين ، حرس الله عليهم ماخولهم من كرم محض ، وخلق غض. وأحسن متاع بعضهم ببعض، بالمخاطبة فيما اقتضاه حكم الحادثة . إذ كانت فروعهم بإذن الله متشابكة ، ونفوسهم فى السراء والضراء متشاركة ، وقلوبهم على الصفاء متعاقدة ، ومهجاتهم — لا زالت مصونة — مهجة واحدة

* * *

ملح من نظمه

قال [من الوافر] :

ترفق أيها المولى بعبد ... فقد فتنت لواحظك النفوسا
وأسكرت العقول فليس ندرى ... أسحراً ما تسق أم كؤوسا

وقال وهو مما يتغنى به [من الوافر] :

ألا يا ليت شعرى ما مرادك ... فقلبي قد أضر به بعادك
وأى محاسن لك قد سبانى ... جمالك أم كمالك أم ودادك
وأى ثلاثة أوفى سواداً ... أخالك أم عذارك أم فؤادك

وقال [من مجزوء الكامل] :

لا تركنن إلى الفرا ... ق فإنه مر المذاق
الشمس عند غروبها ... تصفر من فرق الفراق

وكتب إلى الصاحب [من الطويل] :

أكافى كفاة الأرض ملكك خالد ... وعزك موصول فأعظم بها نعمى
نثرت على القرطاس دراً مبدداً ... وآخر نظماً قد فرعت به النجما
جواهر لو كانت جواهر نظمت ... ولكنها الأعراض لا تقبل النظما

وقال فى وصف الدجاج وهو المسمى بالفارسية سنكين سر [من المتقارب] :

وطيرين قد ألفا مرقدى ... نديمين لى فيه حتى الصباح

أرى من وشائع متنيهما ... نجوماً مرصعة فى وشاح (١)

وسرى عندهما لا يذيع ... ولاخوف واش ولاخوف لاح

يسرانني بصفيريهما ... خفيفين عند انتشار الجناح

صفير يعيد شريد الرقاد ... وشجو يحث على شرب راح

سقى بلد الهند مغناهما ... سماء من المزن غمر السماح

ولا زال وكراهما عامرين ... بنسل مباح وخير متاح

ومما قرأته بخطه فى الأوصاف والتشبيهات من شعره ، وكان أنفذه إلى أبى سعيد نصر بن يعقوب ، ليضمنه كتابه كتاب « روائع التوجيهات ، فى بدائع التشبيهات » ، قوله فى الثريا ، وهو مسبوق إليه قديما [من مجزوء الرجز] :

خلت الثريا إذ بدت ... طالعة فى الحندس (٢)

سنبلة من لؤلؤ ... أو باقة من نرجس

وقوله فيها [من مجزوء الرجز] :

إذا الثريا اعترضت ... عند طلوع الفجر

حسبتها لامعة ... سنبلة من در

وقوله فى قصر الليل [من مجزوء الرجز] :

وليلة أقصر من ... فكرى فى مقدارها

بدت لعينى وانجلت ... عذراء من قرارها

---

(١) الوشائع : جمع وشيعة ، وهى الأعلام والنقوش

(٢) الحندس : الظلام

وقوله فى طول الليل [من مجزوء الخفيف] :

رب ليل سهرته مفكراً فى امتداده
كلما زدت رعيه زادنى من سواده
فتبينت أنه تائه فى رقاده
أو تفانت نجومه فبدا فى حداده

وقوله فى الأترج [من الكامل] :

أو ما ترى الأترج منضودا لنا سطراً كأشخاص جثون على الركب
وكأنما أجسادها وجسادها صور السلاحف قد صنعن من الذهب

وقوله فى النمام [من السريع] :

قلت لمن أحضرنى زهرة ومجلسى بالأنس بسام
وقرة العينين نيل المنى عندى ولا سام ولا حام
تجنب النمام لا تجنه فإنما النمام نمام
أخشى علينا العين من أعين يبعثها بالسوء أقوام

وقوله فى الشيب [من مجزوء الكامل] :

قالوا اكتهلت فقلت ليل لابس بردى نهار
هل حسن كافور كمسك فى حكومة ذى اعتبار
وشهوبة فى عنبر كشيبة فى لون قار
وفضيلة للشيب أخرى وهى أبهة الوقار

أين هذا من قول البحترى [من الخفيف] :

وبياض البازى أصدق حسناً إن تأملت من سواد الغراب

وكتب إلى أبي مسلم محمد بن الحسن [من الخفيف] :

يا أبا مسلم سلمت على الدهـــر خدين العلا أمين الجليس
بعض إخواننا تشهى علينا كرماً منه مستطاب الهريس
وقديدالسكباج بالأكبر العذ ب ومغمومة مني للجليس
واتخذنا الجميع وهي كما تذ كر نعم الفراش للخندريس
وإذا شئت أن تساعد فيها كنت فينا الرئيس وابن الرئيس

* * *

الباب الخامس

فى محاسن أشعار أهل العصر من إصبهان

لم تزل إصبهان مخصوصة من بين البلدان بإخراج فضلاء الأدباء ، وفحولة الكتاب والشعراء . فلما أخرجت الصاحب أبا القاسم وكثيراً من أصحابه وصنائعه ، وصارت مركز عزه ، ومجمع ندمائه ، ومطرح زواره . استحقت أن تدعى مثابة الفضل ، وموسم الأدب . وإذا تصفحت كتاب إصبهان لأبى عبد الله حمزة بن الحسين الإصبهانى وانتهيت إلى ما أورد فيه من ذكر شعرائها وشعراء الكرخ المقطعة عنها . وسياقة عيون أشعارهم ، وملح أخبارهم . كمنصور بن باذان ، وأبى دلف العجلى ، وأخيه معقل بن عيسى ، وبكر بن عبد العزيز ، وأحمد بن علويه ، والنضر بن مالك ، وعلى بن المهلب ، وأبى نجدة ، وأحمد ابن القاسم الديمرتى ، وأبى عبد الله ناج الكاتب . وسهلان بن كوفى ، وصالح ابن أبى صالح ، وأحمد بن واضح ، ومحمد بن عبد الله بن كثير ، وعبد الرحمن ابن مندويه ، وأبى بكر بن بشرويه ، وابن زرويه ، وأبى الهدهد ، وأبى قتيبة ، ومحمد بن غالب ، والحسن بن إسحاق بن محارب ، وأبى بكر الزبيرى ، وأبى على بن رستم ، وأبى مسلم بن بحر ، وأبى الحسين بن طباطبا ، وابن كره ، والنوشجان بن عبد المسيح ، وعلى بن حمزة بن عمارة . وإبراهيم بن سيارة الكادوسى ، وأبى جعفر بن أبى الأسود ، وأبى سعد بن بوفه ، وأبى العباس ابن أحمد بن معمر ، وأبى عمرو همام ، وأبى سوادة ، وأبى القاسم بن أبى سعد ، وغيرهم ، ثم تأملت هذا الباب من كتابى هذا ، وقرأت ما ينطق به من ذكر شعرائها العصريين وغرر كلامهم ، كعبدان الإصبهانى المعروف بالخوزى .

وأبى سعيد الرستمى ، وأبى القاسم بن أبى العلاء ، وأبى محمد الخازن ، وأبى العلاء الأسدى ، وأبى الحسن الغويرى — حكمت لها بوفور الحظ من أعيان الفضل ، وأفراد الدهر وساعدتنى على ما أقدره من حسن آثار طيب هوائها ، وصحة تربتها ، وعذوبة مائها ، فى طباع أهلها ، وعقول أنشائها ، وأرجع إلى المتن فقد طال الإسناد ، ولا يكاد الكلام ينتهى حتى ينتهى عنه .

* * *

عبدان الإصبهانى ، المعروف بالخوزى

هو على سياقة المولدين ، وفى مقدمة العصريين . خفيف روح الشعر ، ظريف الجملة والتفصيل ، كثير الملح والظرف ، يقول فى الخضاب مالم أسمع أحسن منه ، ولا أظرف ، ولا أعذب منه . ولا أخف [من الخفيف] :

فى مشيبى شماتة لعداتى وهو ناع منغص لحياتى
ويعيب الخضاب قوم وفيه لى أنس إلى حضور وفاتى
لا ومن يعلم السرائر مى ما به رمت خلة الغانيات
إنما رمت أن أغيب عنى ما ترينيه كل يوم مراتى(١)
فهو ناع إلى نفسى ومن ذا سره أن يرى وجوه النعاة

وكان خفيف الحال ، متخلف المعيشه ، قاعداً تحت قول أبى الشبص [من الكامل] :

لا تنكرى صدى ولا إعراضى ليس المقل عن الزمان براضى

(١) يريد مرآتى

وهو القائل [من الخفيف] :

قلت للدهر من هضولى قولا وحدانى علىه طيب الأمانى
أترانى بخلعة أنا أحيا ذات يوم وفاخر الحملان
قال هيهات أنت والنحس تربا ن وقد كنتما رضيعى لبان
لا تؤمل ركوب متن سوى النعـش ولا خلعة سوى الأكفان

وله من أبيات [من الوافر] :

تكلفنى التصبر والتسلى وهل يسطاع إلا المستطاع
وقالوا فسمه نزلت بعدل فقلنا ليته جور مشاع

وقال أيضاً [من الوافر]

تعيب الغانيات على شيبى وتخفى شيبها عنى المقانع
وقال لى العذول تعز عنها وإلا فانظرن ما أنت صانع
فقلت له منى قدمت خيراً وأيراً بعده ليست تمانع

وله من كلمة [من السريع] :

هيهات نجمى آفل شارد ولى فما يخرق أبراجه
أظل أخفى حججاً أدبرت والسبع والسبعون محتاجه
وشر أيام الفتى آخر فيه يسمى للشقاء خواجه[1]

وله :

أللشيب تخشى من ملال حرائد وهن لعلات الفؤاد مراهم
إذا كنت ذا مال فأنت محبب إليهن ، صيد الغانيات الدراهم

وله فى كلمة وصف هنه [من الطويل] :

ولى صاحب ما حال عن حسن عهده ولم تر عينى منه أوفى وأكرما
يساعدنى دون الأخلاء فى الدجا إذا نام من قد كان شوقاً تنحما

(١) كذا ، وعجزه غير مستقيم الوزن على وفق باقى الأبيات

فأهدا ولا يهدى وإن نمت لم ينم ويغرى بذكراكم إذا الليل أظلما
ينـــادى على الحى وصحبي نوم وإن هو لم يفضض بنطق له فما
أشبهه والقطر باد ولم يبن بمنقار مرخ قد تلقط قرطما

وله [من الطويل] :

تركنا لخوف الخيل والترك دورنا فلله صرف الدهر كيف ترددا
دهاليزنا ضاقت لخوف نزولهم كأنا يهود ندخل الباب سجدا

وأنشدنى أبو بكر الخوارزمى لعبدان [من الكامل] :

إن كنت تنشط للغبوق فليلنا خلف النهار بغرة غراء
وإذا صفا لك مثلنا فى دهرنا فاذكر عواقب ليلة كدراء

وكان أبو العلاء الأسدى عرضه لأهاجى عبدان ، فمن ملح قوله فيه [من السريع] :

أبا العلاء أسكت ولا تؤذنا نشين هـذا النسب البـارد
وتدعى فى أســد نسبة لا تثبت الدعوى بلا شاهد
أقم لنا والدة أولا وأنت فى حل من الوالد

وقوله [من الكامل] :

قابل هديت أبا العلاء نصيحتى بقبولها وبواجب الشكر
لا تهجون أسن منك فربما تهجو أباك وأنت لا تدرى

وقوله [من مجزوء الرجز] .

أبو العلاء زاعم بأنه من العرب
ويدعى فى أســد أبوة بلا سبب
أقسم أنى مفتر عليه فى هـذا النسب
فآثم لكننى ألصقه خوف الغضب

وقوله [من الكامل] :

أضحى الملوم أبو العلاء يسبنى وأنا أبوه يعقنى ويعادى
والمنتمون إليه من أولاده والله يعلم أنهم أولادى
ولو أنه يسخو على بواحد عند التكاثر زينة للنادى
ألصقته بى واقتديت بمن رأى بأبيه إلصاق الدعى زيادا[١]

وقوله [من السريع] :

أحمق بهذا الأسدى الذى قد كان منى آمن السرب
وإنما جربت هجوى به تجربة السيف على الكلب

وقوله فى غيره [من المتقارب] :

رغيفك فى الأمن ياسيدى يحل محل حمام الحرم
فلله درك من سيد حرام الرغيف حلال الحرم

وقال من أبيات [من البسيط] :

يعلو ويعلى وكل من سجيته يعلو الكنيف ويعلى بالغراميل

وقال فى رجل ارتفع قدره وكان أبوه حلاجا [من الطويل] :

أقول وقد قالوا ابن مأسدة غدا على مركب لا من حمير أبيه
ولا الصوت محلاج ولا السرج لوحه ولا حب قطن كالشعير بفيه
مقال الوليد البحترى فإنه قد أنبأنا عن مثله وذويه
متى أرت الدنيا نباهة خامل فلا ترتقب إلا خمول نبيه

وقال فى قينة [من الطويل] :

لنا قينة تحمى من الشرب شربنا فقد أمنوا سكراً وخوف خمار
تكشر عن أنيابها فى غنائها فتحكى حماراً شم بول حمار

---

(١) يريد اقتدى بمعاوية الذى ألحق زيادا بأبى سفيان .

وقال فى شاعر [من مجزوء الرجز] :

ما قال بيتا مرة ولا يقول ما بقى
وكل شعر قاله فإثمه فى عنقى

وقال فى علوى [من المنسرح] :

كم غاصب حقكم ليهزلكم وقد تفقا من شدة السمن
واحربا إن قضيت لم أر ما آمله فيكم وواحزنى

وقال [من البسيط] :

أقسمت حقاً بما أوتيت من كرم فإنه بعد ربى غاية القسم
أن لو وليت أمور الناس مقتدراً ماخاف راع على شاء ولا نعم
وظلت العصم الآساد آلفة واستأنست طلس الذؤبان بالغنم
مواهب خصك الله العزيز بها وليس يرضى لك الحساد بالقسم
هذا الثناء وهذاك الدعاء وما لى غير ذين وما دينى بمتهم

وقال [من الطويل] :

سقيت وفى كف الحبيبة ورده وأترجه نغرى النفوس بصونها
مداماً فلما قابلتنى بوجهها شربت لحينى بلونى ولونها

* * *

أبو سعيد الرستمي

محمد بن محمد بن الحسن بن محمد بن الحسن بن على بن رستم

من أبناء إصبهان وأهل بيوتاتها ، ومن يقول الشعر فى الرتبة العليا ، ومن شعراء العصر فى الطبقة الكبرى ، وهو القائل [من الطويل] :

إذا نسبونى كنت من آل رستم ولكن شعرى من لؤى بن غالب

ومن نظر فى شعره المستوى فى أقسام الحسن والبراعه ، المستكمل فصاحة البداوة

وحلاوة الحضارة ، أقبلت عليه الملح تتزاحم ، والفقر تتراكم ، والدرر تتناثر ، والغرر تتكاثر [من الكامل] :

كلم هى الأمثال بين الناس إلا أنهـا أضحت بلا أمثال

وكان الصاحب يقول مرة : هو أشعر أهل مصره ، وتارة : هو أشعر أهل عصره ، ويقدمه على أكثر ندمائه وصنائعه ، وينظمه فى عقد المختصين به ، وفيه يقول مداعبا [من مخلع البسيط] :

أبو سعيد فتى ظريف يبذل فى الظرف فوق وسعه
ينبيك بالشـعر كل ظبي فأيره فى عيال طبعه

وكان يسد ثلمة حاله ، ويدره حلوبة ماله ، ويسوغه خراج ضياعه ، ولا يخليه من مواد إنعامه وإفضاله، وبلغنى أن أبا سعيد لما أسفر له صبح المشيب وعلته أبهة الـكبر ، أقل من قول الشعر : إما لترفع نفسه ، وإما لتراجع طبعه.

فقرأت فصلا للصاحب أظنه إلى أبى العباس الضبى فى ذكره ، واستزاده شعره . وهذه نسخته

كان يعد فى جمع أصدقائنا بأصبهان رجل ليس بشديد الاعتدال فى خلقه، ولا بارع الجمال فى وجهه ، بل كان يروع بمحاسن شعره ، وسلامه وده . أما الشعر فقد غاض حتى غاظ ، وأما الود ففاض أو فاظ ، فإن تذكره مولاى بوصفه وإلا فليسأل عن خاله وعمه ، أما العمومه ففى آل رستم وثم الذروة والغارب ، ولواء العجم وغالب . وأما الخؤولة ففى آل جنيد ، كما قال شاعرهم فى سعد وسعيد . وقد سألت عن خبره وفد نجران . والركب بجلى نعمان .فلم يذكروا إلا أنه مشغول بخطبة سبطه أبى القاسم بن بحر رحمه الله تعالى لفتاه أعزه الله ، وليس فى ذلك ما يوجب أن يطوينا طى الرداء ، ويلقى عهدنا إلقاء الحذاء . وقد يعود الصلاح فسادا، ويرجع النفاق كسادا [من الكامل]:

فلعل بيا أن تلاقى خطة فتروم نصرا من بنى العوام

* * *

وهذا ما أخرجته من محاسن شعره

وما محاسن شىء كله حسن ! !

من قصيدة له فريدة فى مؤيد الدولة [من الطويل] :

بدت يوم حزوى من كواها المحاجر فعاد عذولى فى الهوى وهو عاذر
فكيف وقد أبدين ما فى قناعها وأبرزن ما التفت عليه المعاجر
مررن بحزوى والجآذر ترتعى فلم تدر حزوى أيهن الجآذر
ومالت على الأنقاء فاشتبهت بها أهن النقا أم ما تضم المآزر
وأرست على الأعجاز سود فروعها فأزرت بحيات الغدير الغدائر
بدور زهتهن الملاحة أن يرى لهن نقاب فالوجوه سوافر

سرقه من قول القائل [من الطويل] :

ولما تنازعنا الحديث وأسفرت وجوه زهاها الحسن أن تتقنعا

رجع :

وودعنى من نرجس بجفونها على ورد خد لؤلؤ متناثر
وسائلة عبرى متى أنت آيب إلينا وهل يقضى الإياب المسافر
حططت لها رحلى وسيبت ناقتى وأمنتها والعيس مما تحاذر
نصيبى من الدنيا رضى أم معمر وسائر ما تحويه فى الريح سائر
وقلت اربطى جأشاً عليك فإنه سيغنيك عن سيرى القوافى السوائر
سيكفيك سيرى فى الدجى إن كرهته صباح كضوء البدر والنجم باهر
أمير كأن الغيث من نفحاته يصوب ومن أخلاقه الروض زاهر
إذا ما علا صدر السرير جرى لنا به فلك بالخير والشر دائر
يد لأمير المؤمنين طويلة وناب إذا ما نابه الخطب كاشر
ينافى الكرى من حزمه وهو دارع ويغشى الوغى منى بأسه وهو حاسر

إلى أى أرض أرحل العيس صاديا وبحرك مورود وروضك ناضر

ومنها :

فأقسمت ما فى الأرض غيرك ماجد يزار ولا فى الأرض غيرى شاعر
بقيت مدى الدنيا وملكك راسخ وظلك ممدود وبابك عامر
يرد سناك البدر والبدر زاهر ويقفو نداك البحر والبحر زاخر
وهنئت أعياداً توالت سعودها كما يتوالى فى العقود جواهر

وله من أخرى فيه أيضا [من الطويل] :

مررنا بأكناف العقيق فأعشبت أباطح من أجفاننا ومسايل
وكادت تناجينا الديار صبابة وتبكى كما نبكى عليها المنازل
فمن واقف فى جفنه الدمع واقف ومن سائل فى خده الدمع سائل
تأس بيأس أو تعز بسلوة فمالك فى أطلال عزة طائل
ألم تر أيام الربيع تبسمت أجارع من أنوارها وخمائل
كأن غصون النرجس الغض بينها نشاوى كرى أعناقهن موائل
كأن شقيق الأبرقين كواعب عليهن من صبغ الجساد غلائل
وقد حملت سوسانها فى حجورها رواضع إلا أنهن حوامل
وضمر خيل الضيمران كأنها مرازب فوق الهام منها أكالل
ونور قضبان الخلاف فأبرزت أصابع لم تخلق لهن أنامل
تخال أزاهير الرياض خلالها مصابيح ليل ما لهن فتائل
وقد شربت ماء الغمامة فانثنت كما ينثنى الشارب المتمايل
فمن أقحوان ثغره متبسم وورد على أكنافه الطل جائل
وقد ماج وادى الزندروز بفيضه كما ماج للريح النقا المتهايل
كأن نعاج الرمل فى جنباته يناطح بعض بعضها ويقاتل

كأن هدير الموج فوق متونه هدير قروم هاجهن الشوائل
سري بين أحشاء السرى فتشابهت أحياته تسرى بها أم جداول
إذا ماج فوق الأرض أو هاج خلته خيولك فى الهيجا وهن صواهل
أيا ملكا فاق الملوك وبذهم فراح سناءً والملوك عوامل
إذا نحن أثنينا عليه تبادرت فأثنت كما نثنى القنا والقنابل
ينير الدجى من وجهه وهو حالك ويندى الثرى من كفه وهو ماحل
وذو لحظات كلهن فواضل وذو حركات كلهن فضائل
دهاء لديه رأى أكثم فائل وجود لديه حاتم الجود باخل
وحلم لديه ركن يذبل ذابل وعزم لديه فارس الخطب راجل

ومنها فى مسألة إخراج ضيعة له من الإقطاع [من الطويل] :

ضياعى نهبي قد تفرق شملها فما فى يدى منهن إلا الأنامل
فكم ضيعة مالت لأبواب مالها قناتى وغيرى منه نشوان مائل
فحظى من الحظين هم وحسرة وحاصلها أنى على الهم حاصل
ألا ليت شعرى هل أرى لى جماعة تمد بها فوق الشطور الحواصل
نقاربها الأنموذجات كأنها إذا هى صروها الثدى الحوافل
وهل أرنى يوماً وكيلي حاضرى أناقشه طوراً وطوراً أساهل
ويخرج باسمى فى الأدارج كاتب حساباً ويستأدى خراجى عامل
على عدل مولانا الأمير توكلى فإحسانه فى الشرق والغرب شامل

ومن أخرى فيه أيضا ، أولها [من الطويل] :

عذيرى لدى الواشين حسن عذاره وعذرى لدى اللاحين حسن اعتذاره
بنفسى حبيب زار بعد ازوراره وعاودنى بالأنس بعد نفاره
وأهيف معشوق الدلال منعم معقرب صدغ كالهلال مداره

إذا ما استعار الجلنار بخده أعار الحشى من خده جل ناره
سل البيض عن عادانه فى عداته وسمر القنا عن نهبه ومغاره
وقائع نال النسر غاية سؤله بهن ونال النصر غاية ثاره

ومن قصيدة فى الصاحب ، أولها [من الخفيف] :

عقنى بالعقيق ذاك الحبيب فالحشى حشوه الجوى والنحيب
وإذا جفت الشؤون وخفت ندبتها من الضلوع الندوب
لست أدرى أأدمعى أم جمان الـــعقد ينسل أم عقيق يذوب
حبذا حبذا ونعم وسعدى ونصيبى من وصلهن نصيب
إذ زمانى غر وغصنى رطيب وشبابى غض وبردى قشيب
إذ بوادى العقيق عيشى أنيق وبوادى الجنوب ريحى جنوب
كم شجانى ببطن رامة ريم وبظبى الكثيب ظبى ربيب
أيها الرمل كم مضى فيك عيش لى مهاه ومرتع لى خصيب(١)
وأليفاى فيك ريا وأروى وحليفاى فيك زق وكوب
وبقلب الحسود منا ندوب وبطرف العذول عنا نكوب
وعفا الله عن ذنوب تقضت لى بها حين تستتاب الذنوب
حيث لا لوم أن يزور محب هاجه الشوق ، أو يزار حبيب
حيث لا ينكر الغرام ولا يخـــشى ملام ، ولا يخاف رقيب
ما يذم الشباب عندى بشىء غير أن المشيب منه قريب
غلب الصاحب الجواد بنى الجو د كما يغلب الشباب المشيب
بذهم فى الندى وغطى علاهم بعلاه فالمكرمات ذنوب
وإذا ما سعى لإحداث مجد فمساعيهم عليهم ذنوب
واجد بالعلا وبالمجد وجداً لم يجده بيوسف يعقوب

(١) المهاه : طراوة العيش وحسنه .

وإذا ما أتاه طالب جدوى راحته فالطالب المطلوب
قل لباغى الندى خف الله لا تسأله عمراً فإنه موهوب

من قول أبي تمام من الطويل :

ولو لم يكن فى كفه غير روحه لجاد بها فليتق الله سائله

رجع :

إنما حاتم وأوس وكعب مثل فى الندى له مضروب
يا حساماً مهنداً وغماماً دينه الترغيب والترهيب
فيك ما يكمد الحسود وما فيك سوى الجود والندى مايعيب
راحة ثرة ، ووجه طليق ولسان عضب ، وصدر رحيب
وبيان غض تلدد فيه حين خاطبته الألد الخطيب
وإذا ما وخدت فى طلب المجد فذو المجد وخده بقريب
عزمات يرض منهن رضوى ويكاد الوليد منها يشيب
فلشمس النهار منها وجوب ولقلب الزمان منها وجيب

ومنها :

وإذا ما دعوت شعرى فيه طرب المدح واستهل النسيب
مدح كالنسيب رقة ألفا ظ وما للنسيب منه نصيب
محكمات محكمات إذا أنشدن نال المنى بهن الأديب
رفعت من أعنة الرفع حتى ذل منها المخفوض والمنصوب

ومنها :

أنا من قد عرفت سرا وجهرا عجمى مما به التعريب
ليت شعرى إذا دعيت ، شعارى نسبى واضح وعودى صليب
لست من أمدح الملوك ولا أنضى المطايا ولا الفلاه أجوب

أنا للصاحب الجليل أبي القا سم مولى وخادم وربيب

ومن أخرى أيضا [من الكامل] :

غيضن عبرتهن يوم الوادى فأرحن عازب أنس ذاك النادى
فجنين بالأسماع نور حديثنا وكرعن فى الشكوى كروع الصادى
ووصفن سقم قلوبنا بعيونها فشفين منا غلة الأكباد
لا غرو أن يجنين من ثمر الهوى لى فى مرافدهن شوك قتاد
فلطالما أسهرننى جنح الدجا وأطلن ليلى وانتهبن رقادى
لا والذى جعل الجفون عليلة وأعار حب البيض حب فؤادى
إنى لأرحم من أسرن فؤاده سرا فما لفؤاده من فادى
وأذم أيام الفراق فإنها علل وإن خفيت على العواد
قل للزمان إذا تنمر ساخطا وعدا على بوجه ليث عادى
أبرق وأرعد ليس يرتعد الحشى لى منك بالإبراق والإرعاد
الصاحب العالى الصنائع صاحبي فى النائبات وعدتى وعتادى
ورث الوزارة كابرا عن كابر موصولة الإسناد بالإسناد
يروى عن العباس عباد وزا رته وإسماعيل عن عباد
شرف كعقد الدر واصل بعضه بعضا كأنبوب القنا المنآد
وعلا كأيام السنين ترادفت آياتها بمكرر ومعاد
لا كالذين إذا سموا لكريمة ضحكت حدودهم من الأجداد
أعلى المكارم ما تقادم عهده والمجد موروث عن الأمجاد
لا والذى جعل المكارم كلها لك والعلا فى مبدأ ومعاد
ورآك أهلا للرشاد وللهدى وكساك آيات الإمام الهادى
لو كان غير الله يعبد ما انثنت إلا إليك أعنه العباد

هذا معنى قد أكثر الناس فيه ، وأظن السابق إليه ابن أبي البغل ، حيث قال فى الرشيد [من السريع] :

لو عبد الناس سوى ربهم أصبحت دون الله معبودا

رجع :

هذا الربيع وأنت أكرم مجتنى منه وأعجبه إلى المرتاد
زارتك فى حلل الرياض وفوده وكأنهن يمسن فى الأبراد
ورأت صنائعك التى أزرت بها فغدت تذم إليك صوب الغادى
وحكاك وادى الزندروز فأقبلت أمواجه يقذفن بالأزباد
مثل الرمال تناطحت أوعالها فأعانهن العين بالإمداد
يرمى السواحل مده فكأنه ملك يهز الأفق بالإيعاد
يهدي المدينة واديان تجاورا وكأنما وردا على ميعاد
مدان هدا ليس ينفد فيضه أبداً وهـذا فيضه لنفاد
روض يرف ، ومزنة تهمى عزا ليها ، وطير فى الغصون ينادى
فكأن ذا يثنى ، وذا يدعو ، وذا يبدى الرضا ويبوح بالإحماد
فاسعد بدنيا قد نظمت أمورها وسددتها بالرفق أى سداد
ورعيـة أصلحتها بتألف وتعطف من بعد طول فساد
داويت من سقم النفاق قلوبها وشفيت مرضاها من الأحقاد
فنصبت للإسلام أكرم راية وقسمت أهل الجبر والإلحاد
وأفضت عدلك فى البلاد وأهلها وضربت دون الظلم بالأسداد

ومنها فى الإذكار والاستعانة والاستزادة وشكوى الخراج ، ومسألة التسويغ ، وما منها إلا مالا غبار عليه ، ولا شوب فيه ، ولا مزيد على حسنه :

يا خير من يدعى لخطب فادح ويحل عقد الحادث المتآد

عمت فواضلك البرية واغتدت   طوع العنان لحاضر أو بادى
ووسائلى ما قد علمت ولاية   مذ كنت أعهدها وصفو وداد
ومنقبلات فى البلاد غريبة   وصلت سرى الإتهام بالإنجاد
تروى ولم يسمع لهن بقائل   تعزى إليه سوى حداء الحادى
من كل رائقة المحاسن حلوة   ريا الرواية غضة الإنشاد
لم يكسها الإكفاء فى أكفائها   عيباً ولا أزرى بها لسناد
هــــذا وحرمة خدمة مرعية   للأبعدين قديمة الميلاد
مازلت من أبرادها متوحشاً   بمفوف يزهى على الأبراد
يا حلية الوزراء حل قصائدى   بمحاسن الإرفاد والإصفاد
مالى ظمئت وبحر جودك زاخر   سهل مشارعه على الوراد
ووريت زناد السائلين بسيله   وبفيضه وخصصت بالإصلاد
ما كان أجمل فى التجمل ملبسى   وأعف فى ظل القناعة زادى
لولا زمان أزمنت حالى له   نوب تراوح تارة وتغادى
وأذى فراخ ضاق بى أوكارها   وكذا البغاث كثيرة الأولاد
وأذى خراج لو سرى لأدائه   غرر الليالى عدن وهى دآدى
أبدت نجوم الليل سود نجرمه   فى مفرقى فأنار بعــد سواد
حصة حصت جوانب هامتى   صفعاً أوافقه من المستادى(١)
ووفود سوء يألفون زيارتى   من صادر أو رائح أو غادى
لى رجالة مترادفون كأنما   غصت مدارجهم برجل جراد
من كل منتفش الشوارب مسمع   عبد لآل ربيعة أو عاد

(١) الحص : حلق الشعر ، والحصة : النصيب والمستادى : طالب الأداء ، وأصله المستأدى بالهمز .

صهب اللحى سود الوجوه كأنما خضبوا الرؤوس بيانع الفرصاد(١)
ما غاب عنى واحـد إلا ويقـفو إثره تان وآخر بادى
هـذا يواجه شاربى متهددا ويقوم هذا من وراء العادى
ففرائصى من خوفهم مملوءة أبداً من الإخفاق والإرعاد
وإذا أصادر غدوة لم يرتفع عند المساء سواى فى الأوراد
ما فى يد النقاد من ضربى سوى ضربى ودق الجيد دون جياد(٢)
يا حلية الوزراء حق واجب ونداك صوبا أنعم وأيادى
وقع بتسويغى خراجى كله أولا فعاودنى على الإيراد(٣)
وامنن على بفضل جودك واكفنى دار الخراج وجهمة الحداد

وله من أخرى [من المنسرح] :

قولوا لو سنان نام عن أرقى فيـه وحاشا جفونه الأرق
ارث لمن قد رثى لمقلته الـدمع ورقت لقلبه الحرق
لم يبق من جسمه سوى رمق ينتظر الموت ذلك الرمق
يا بأبى منـه طرة سبج إذا تبدت وغرة يقق(٤)
ولؤلؤ من لسانه برد ولؤلؤ فى لبانه نسق
وجـه به الجلنار مبتسم يفتر والأقحوان متسق
شعـلة نار ملاحة وسنا يكاد منه الجليس يأتلق

---

(١) الفرصاد : التوت ، واليانع : الأحمر من كل شىء ، والصهب : جمع أصهب ، وهو الذي لونه الصهبة ، وهى حمرة أو شقرة فى الشعر .
(٢) الجيد : العنق أو موضع القلادة أو مقدمه ، والجياد : جمع جواد .
(٣) التسويغ : تجويز من السلطان بمنحة أو عطاء ، وهى مولدة .
(٤) السبج — بفتحتين — أراد الأسود ، واليقق : الشديد البياض .

غنى لجلى الظلام غرته عنا وغصت بشدوه الأفق
فودت العين أنها أذن تسمع والأذن أنها حدق

زاد على من قال [من المنسرح] :

غنت فلم يبق فى جارحة إلا تمنت بأنها أذن

رجع :

والله لو كانت الأزاهر والا أونار ناساً وأبصروا عشقوا
شانئ أيامه يذوب شجى من كمد والحسود يزدهق[١]
كذلك النار حين أعوزها ما أحرقته تبيت تحترق

سرقه من قول ابن المعتز حيث قال [من مجزوء الكامل] :

كالنار تأكل نفسها إن لم تجد ما تأكله

رجع :

وإن ذكرنا اسمه لطيبته يبق بأفواهنا له عبق
والناس لولا سناه ما رمقوا والناس لولا نداه ما رزقوا
اسعد بشهر وافتك مقبلة أعياده بالسعود تستبق
ثلاثة قد قرن فى قرن خوة روز والنضح والسذق[٢]
مقدمات من الربيع غدت وفودها من صبابة سبقوا
أما ترى المزن حل حبوته فى الروض فالروض زاهر أنق
فنوره من سناك مقتبس ونوءه من نداك مسترق
فاعمر لدنيا لولاك ما خلقت وأهل دنيا لولاك ما خلقوا

(١) زهق وازدهق سواء ، ومعناه اضمحلاله وخروج روحه .
(٢) السذق : ليلة الوقود الشديدة البرد .

وعد جديداً على الزمان كما عاد جديداً فى عوده الورق
ما صحبتك الأيام دمت لها فليس فى صفو عيشنا رنق(١)

وله من قصيدة فى نهاية الحسن وكثرة الملح والنكت ، أولها [من الطويل] :

عزيز علينا أن تشط منازله سقته الغوادى من عزيز تزايله
ولا زال حاديه دميثا فجاجه وقمراً لياليه وصفوا مناهله(٢)
يحل عزالى الغيث حيث يحله ويغشى كما يغشى الربيع منازله(٣)
ومهجورة خافت عليها يدالنوى فلم تبق فى حافاتها ما أسائله
سوى كحل عين ما اكتحلت بنظرة إلى جفنه إلا شجتنى مكاحله
وقفت فأما دمع عينى فسائل عليه ، وأما وجد قلبى فسائله
أقلب قلباً ما يخف غرامه عليه ، وطرفا ما تجف هوامله
لعلى أرى من أهل ريا وإن نأت بأرجائه شبها لريا أواصله
فأصبحت قد ودعت ريا ووصلها كما ودعت شمس النهار أصائله
بكره هى زال الحى من بطن عازب وغودر منى عازب اللب زائله(٤)
وقلب إذا ما قلت خف غرامه وأبصر غاويه وأقصر عاذله
دعاه الهوى فاهتز يهوى كما دعا صبا الريح غصن البان فاهتز مائله
وهاجرة من نار قلبى شببتها وقد جاش من حر الفراق مراجله
صليت بها والآل يجرى كما جرى من الدمع فى جفنى للبين جائله(٥)

---

(١) الرنق : المتكدر .
(٢) الدميث : السهل اللين .
(٣) العزالى : جمع عزلاء ، وهى مصب الماء .
(٤) عازب الأولى اسم جبل ، والثانية اسم فاعل من عزب بمعنى غاب .
(٥) الآل : السراب أوما أشرف عليه البعير ، وقيل : إنه خاص بما يكون أول النهار .

ومنها :

وبعض مذاق العرف مر وإن حلا إذا لم يكن أحلى من العرف باذله
وما الجود إلا ما تطوع أهله ولا السمح إلا ما تبرع نائله
وأروع أنواء الربيع صنائع لديه ، وأنوار الربيع فضائله
أهان مصونات الذخائر كفه وهان عليه ما يقول عواذله
وفاح كما فاح الرياض فعاله ولاح كما لاح البروق شمائله
يسيل على العافين عفو نواله فيلقى ابتذال الوجه للبذل سائله
شفيع الذى يرجوه حسن صنيعه وسائله عند الرجاء وسائله(١)
ولم يجتمع كفاه والمال ساعة كأنى وريا ماله وأنامله

هذا البيت من إحسانه المشهور السائر ، ومنها :

أيصبح مثلى فى جنابك صاديا وأنت الحيا تحيا وتروى هواطله
ولولا فراخ زعزع الدهر وكرها على وقد غال الجناح غوائله
أعرت ظلال الحر نفس ابن حره تقاصره الأيام حين تطاوله
فخذنى من أنياب دهرى بعاجل من النصر دان ، أكرم النصر عاجله
بقيت مدى الدنيا لمجد تشيده وهم تساميه وخصم تجادله
وهاتيك أمثال النجوم جلوتها عليك كما تجلو الحسام صياقله
قريض كساه المزن أثواب روضة فرقت أعاليه ورقت أسافله
تطيب على الأيام ريا نشيده وأطيب من رياه ما أنت فاعله

وله من أخرى [من الطويل] :

وحسناء لم تأخذ من الشمس شيمة سوى قرب مسراها وبعد منالها

(٢) وسائله الأولى مؤلف من واو العطف وسائل بمعنى الطالب المستجدى وأما الثانية فهى جمع وسيلة ، والواو فاء الكلمة

وإني لأهوى الشيب من أجل لونه وإن نفرت عنى الدمى من فعالها
وأروع يستحيي الحيا من يمينه فيرتد فوق الأفق حيران والها
أقام قنا الأيام بعد اعوجاجها وحاط ذرى الإسلام بعد انتذالها
عزائم لو ألقى على الأرض ثقلها شكت منه ما لم تشكه من جبالها
وجود بنان سح الغيث عندها وهلل صوب البحر عند انهلالها
يد كل ما تحوى يد من نوالها وبعض أياديها وغزر سجالها
أمل فما لاحظته من هباتها لدينا وما لاحظته من عيالها
من النفر العالين فى السلم والوغى وأهل العوالى والمعالى وآلها
إذا نزلوا اخضر الثرى من نزولها وإن نازلوا احمر الثرى من نزالها
ببيض كأن الملح فوق متونها ودهم كأن الزنج تحت جلالها

انظر إلى حسن هذا التصرف وسرف هذا الكلام

مساميح كل الغيث بعض نوالها وكل المعالى خلة من خلالها
سمت فوق آفاق السماء فأصبحت تراها الثريا والسهى من نعالها
إليك ابن عباد بن عباس انتهت أعنة شكر الدهر بعد انفتالها
بك افتر ثغر الملك واهتز عطفه وجرت بك الدنيا ذيول اختيالها
تشكى الثرى إظلامها ومحولها فأغنيتها عن مزنها وهلالها

وله من قصيدة كأنه جمع محاسنه ولطائفه فيها ، أولها [من الطويل] :

سلام على رمل الحمى عدد الرمل وقل له التسليم من عاشق مثلى
وقفت وقوف الغيث بين طلوله بمنسكب سح ومنسجم وبل(١)
وما رمت حتى خالنى الريم رسمه وأدرك آجال الحمى الدمع من أجلى(٢)

(١) الوبل : المطر الشديد ، والسح : الصب السائل ، والمنسجم : القطر المتوالى

(٢) رمت — بوزان بعت — انصرفت . والآجال : قطعان النعام والابل

خليلى قد عذبتمانى ملامة كأن لم يقف فى دمنة أحد قبلى[١]
ومما شجانى والعواذل وقف ولى أذن صمت هناك عن العذل
ظباء سرت بالأبطحين عواطلا وكنت أراها فى الرعاث وفى الحجل[٢]
تبدلن أسماء سوى ما عرفتها لهن ، فلا تدعى بسعدى ولا جمل
تشابهن أحداقا وطول سوالف وخص الغوانى بالملاحة والدل
ومكحولة الأجفان مخضوبة الشوى ولم تدر ما لون الخضاب من الكحل
ذكرت بها من لست أنسى ذنوبها وإن بعدت والشىء يذكر بالمثل
سقى الدمع مغنى الوابلية بالحمى سواجم تغنى جانبيه عن الوبل
ولا برحت عينى تنوب عن الحيا بدمع على تلك المناهل منهل
مغانى الغوانى والشبيبة والصبا ومأوى الموالى والعشيرة والأهل
ليالى لا روض الكتيب بلا ندى ولا شجرات الأبريقين بلا ظل
وما كان يخلو أبرق الحزن من هوى ولكننى أمسى بغير الهوى شغلى
فراخ نبانى وكرهن وهاجنى كما هاج ليث الغاب وعوعة الشبل
وكم قد رحلت العيس فى طلب العلا فلما بكت سعدى حططت لها رحلى
نزلت على الأيام ضيفا فلم أجد قرى عندها غير النزول بلا نزل
وقد سامنى أهلى المقام بذلة ولست بأهل للذى سامنى أهلى
سبيل الغنى رحب على كل سالك فمالى أسعى منه فى مدرج النمل
أبنكر نص العيس والبيد والدجا لمن عزمه عزمى ومن فضله فضلى
دعونى أصل إرقالها بذميلها وأطوى الدجا حتى أرى صبحها المجلى[٣]

(١) الدمنة : الموضع القريب من الدار
(٢) الرعاث : جمع رعثة ، بضم الراء ، القرط
(٣) الارقال : ضرب من المشى سريع ، والذميل : سير آخر فى لين

حياً لم يفت ما وليا وليه ... ولم يخل من أفضاله كف ذى فضل
ومبتده الجدوى إذا ما سألته ... فأعطاك لم يعتد ذاك من البذل
فتى حاز رق المجد من كل جانب ... إليه وخلى كاهل الشكر ذا ثقل
بعفو بلا كد وصفو بلا قذى ... ونقد بلا وعد ووعد بلا مطل
من النفر الأعلين فى حومة الوغى ... يميلون زهواً غير ميل ولا عزل
هم راضة الدنيا وساسة أهلها ... إذا افتخروا لا راضة الشاء والإبل
محلهم عال على السبعة العلا ... وعالمهم موف على العالم الكلى
إذا أنت رتبت الملوك وجدتهم ... هم الاسم والباقون من حيز الفعل
مساميح عند العسر واليسر ، لا نتى ... مراجلهم فى كل أحوالهم تغلى
ولم يغلقوا أبوابهم دون ضيفهم ... ولا شتموا خدامهم ساعة الأكل
ولا شددوا دون العفاة حجابهم ... وقالوا لباغى الخير نحن على شغل
لتهن ابن عباد فواف كأنها ... جنى لؤلؤ رطب من العقد منسل
أبى لى حسنا أن أبالى بعده ... بشعر ولو أنشدت للنمر العكلى
وقل له ما قال فى هرم الندى ... زهير وأعشى قيس فى هوذة الذهلى
وما كنت لولا طيب ذكرك شاعرا ... ولا منشداً بين السماطين فى حفل
ولكننى أقضى به حق نعمة ... سرت مثلا لما وسمت به عقلى
إذا لم تكن لى أنت عونا ومعديا ... على الزمن العادى على فقل من لى
من الناس من يعطى المزيد على الغنى ... ويحرم مادون الغنى شاعر مثلى
كما ألحقت واو بعمرو زيادة ... وضويق بسم الله فى ألف الوصل
أعر من ورائى من عبيدك لحظة ... بعين العلا واجمع على شكرها شملى
فمالى رجاء فى سواك ولا يرى ... يمر قريضى عند غيرك أو يحلى
وهل بارق يشتام إلا من الحيا ... وهل عسل يشتار إلا من النحل

وقاك بنو الدنيا جميعاً صروفها جميعاً فإن الجفن من خدم النصل

وله من أخرى [من الكامل] :

كفتك عن عذلى الدموع الوكف ونهتك عن عتبي الضلوع الرجف
لله عيش بالمدينة فاتنى أيام لى قصر المغيرة مألف
حجى إلى الباب الجديد وكعبتى الـباب العتيق وبالمصلى الموقف
والله لو عرف الحجيج مكاننا من زندروز وجسره ما عرفوا
أو شاهدوا زمن الربيع طوافنا بالخندقين عشية ما طوفوا
زار الحجيج منى وزار ذوو الهوى جسر الحسين وشعبه واستشرفوا
ورأوا ظباء الخيف فى جنباته فرموا هنالك بالجمار وخيفوا(١)
أرض حصاها جوهر وترابها مسك وماء المد فيها قرقف
مالى وللواشين لايهنيهم ماتممنوه من النميم وزخرفوا
أعياهم سبب التهاجر بيننا فتفاءلوا لى بالفراق وأرجفوا
لا واعتلاقى بالوزير وحبله ما أحسنوا ما أجملوا ما أنصفوا
ما للوزير عن المعالى مصرف أبدا ولا لى عن هواه مصرف
يا من نعوذ من المكارم باسمه ونعزه وهو الأعز الأشرف
ونجل عن خطر اليمين حياته فبفضل نعمته علينا نحلف
وعظيم ما أوليتنى من نعمة ما للسماح سواك رب يعرف
يا ابن الذين إذا بنوا شادوا وإن أسدوا يدا عادوا وإن يعدوا وفوا
إن حاربوا لم يحجموا ، أو قاربوا لم يندموا ، أو عاقبوا لم يشتفوا
ومتى استجيروا أسعفوا ومتى استنيلوا أسرفوا ومتى استعيدوا أضعفوا
إن عاهدوا لم يخفروا ، أو عاقدوا لم يغدروا ، أو ملكوا لم يعسفوا

(١) خيف : نزل منزلا . والمراد به هنا مسجد الخيف

ومنها التهنئة بالخلعة :

تهنى ابن عباد بن عباس بن عبـــد الله نعمى بالكرامة تردف
يهنيه زائد نعمة متجدد أبداً وحادث نعمة يستطرف
خلع كأنوار الربيع مدبج وموشم ومنمنم ومفوف
بهرت عيون الناظرين وأبرزت حسناً يكاد البرق منه يخطف
لو نالت الشمس المنيرة حسنها ما كانت الشمس المنيرة تكسف
ولئن كبرت عن الملابس والحلى وبك الملابس والحلى تتشرف
فالبيت يكسى وهو أشرف بقعة فى كل عام مرة ويسجف(١)

ألم فيه بقول من قال [من الكامل] :

تزهى بك الخلعة الميمون طائرها كزهو خلعة بيت الله بالبيت

رجع :

كالشمس حفت بالسعود وحوله خدم كأمثال الكواكب وقف
وكأن مجلسه عروس تجتلى والمادحون به قيان تعزف
ما تشتهى الآذان تسمعه وما تهوى العيون من المناظر تطرف
أو ما نرى حسن الزمان وطيبه والجو صاف والجنان تزخرف
عاد الربيع إليك فى كانونه فشتاؤه للحسن صيف صيف
شمس محجبة وظل سجسج وغمامة سح وروض رفرف
وعلى الجبال من الثلوج أكالل وعلى السماء من السحائب مطرف
نبأ تباشرت القلوب لذكره أذكى من المسك الذكى وأعرف
فلكل عين قرة ومسرة ولكل نفس عزة وتغطرف

(١) سجف البيت وأسجفه : أرسل عليه السجف ، وهو الستر ، أو الستران المقرونان بينهما ، فرجة ، والمراد بالبيت هنا الكعبة .

وله من قصيدة فى على بن أبى القاسم [من المتقارب] :

معارف نظمت بهن الصبا كما نظم الغانيات العقودا
بباب الجديد لنا موقف لبسنا به العيش غضاً جديدا
وكم بالمحصب من ليلة شفعنا إلى الصبح أن لا يعودا
ويوم قصير بتلك القصو ر تحسبه الغيد للحسن عيدا
تراه عبيراً وحصباءه عقيقاً وأشجار واديه عودا
على بن أبى القاسم ارفق بنا فقد عافنا الشكر أن نستزيدا
لئن لم تمل ندى أن تفيد لقد مل راجيك أن يستفيدا
وقالوا انتجعت حياً بارحاً وهل عاق بعد الحيا أن يجودا
سنا البدر يغشى البرى والورى جميعاً وإن كان منهم بعيدا
قواف إذا ما رآها المشو ق هزت لها الغانيات القدودا
كسون عبيداً ثياب العبيد وأمسى لبيد لديها بليدا
ولو لم أكن محسناً نظمهن لحسن قصدى إليك القصيدا
عرفنا بعرفك كيف الطريق وجودك علمنا أن نجيدا

وأنشدنى أبو بكر الخوارزمى من نتفه [من الرمل] :

ثقلاء الأرض عندى خمسة صالح والابن منهم أربعة

ومن نتفه [من الوافر] :

تركت الشعر للشعراء إنى رأيت الشعر من سقط المتاع

وأنشدنى له فى أبى الحسن الغويرى [من مجزوء الرمل] :

فى حرام الشعر أيرى است أعنى أير غيرى
إنما يرفع قول الشعر أمثال الغويرى

* * *

أبو القاسم غانم بن أبى العلاء الإصبهانى

شاعر ملء ثوبه ، محسن ملء فمه ، مرغوب فى ديباجة كلامه ، متنافس فى سحر شعره ، ولم يقع إلى ديوانه بعد . وإنما حصلت من أفواه الرواة على قطرة من سيح غرره ، وغيض من فيض ملحه ، ولا يأس من وجدان ضالتى المنشودة من مجموع شعره ، وقد مرت فى الصاحبيات أبيات له قلائل إلا أنها قلائد ، وهذا مكان ما أحاضر به من أخواتها الرائقة الفائقة الشائقة

أنشدنى المعروف بالقاضى الإمام الأصبهانى قال : أنشدنى أبو القاسم بن أبى العلاء لنفسه [من مجزوء الرجز] :

أصبحت صبأ دنفا   بين عنـــاء وكمد
أعوذ من شر الهوى   بقل هو الله أحـد

وأنشدنى أيضا قال : أنشدنى أبو القاسم لنفسه [من الكامل] :

المستغاث من الهوى بالله   من شادن فتن الورى بياه
ما كنت أعلم قبله حر الهوى   والوجد ما هو والصبابة ماهى
حتى بليت به أغن مدللا   كالريم يعصى فى هواه النـاهى
فمدامعى عـــبرى وقلبى واله   وجوانحى حرى وصبرى واهى

وله [من الخفيف] :

أيها الخشف كم أود وأجفى   وأسام الهوان صنفاً فصنفا
لو كشفت الغطاء عن سر قلبى   لقرأت الأحزان حرفا فحرفا
إن نفسى موقوفة بين شيئيـــن رجائى عليهما بات وقفا
بين أن ينصف الزمان وأعطى   أملى فيك أو أموت فأكفى

ومن قصيدة [من الكامل] :

الطف بطرفك ما أردت وداره   لا يفضحنك إن مررت بداره

وأنشدنى له فى نفسه [من المجتث] :

رجلى وأيرى وبيضى فى إست أم القويضى
لما أراد هجائى وفيضه دون غيضى
ورام تدنيس عرضى فصار خرقة حيض

وأنشدنى أبو القاسم على بن محمد الكرخى له فقال [من الطويل] :

وقائلة قالت فلانة طلقت فقلت ونفسى أطلقت بانطلاقها
تزوج قلبي الهم يوم تزوجت وطلق قلبى الهم يوم طلاقها .

وأنشدنى الأمير أبو الفضل له من قصيدة يعاتب فيها الصاحب ويستبطئه [من الطويل] :

فإن قيل لى صبراً فلا صبر للذى غدا بيــد الأيام تقتله صبرا
وإن قيل لى عذراً فوالله ما أرى لمن ملك الدنيا إذا لم يجد عذرا

وأنشدنى أبو النصر محمد بن عبد الجبار العتبى له من قصيدة [من الكامل] :

ورد البشير بمــا أقر الأعينا وشفى النفوس فنلن غايات المنى
وتقاسم الناس المسرة بينهم قسما فكان أجلهم حظا أنا

* * *

أبو محمد عبد الله بن أحمد الخازن

من حسنات أصبهان وأعيان أهلها فى الفضل، ونجوم أرضها وأفرادها فى الشعر . ومن خواص الصاحب ومشاهير صنائعه، وذوى السابقة فى مداخلته وخدمته وكان فى اقتبال شبابه وريعان عمره، يتولى خزانة كتبه وينخرط فى سلك ندمائه، ويقتبس من نور آدابه، ويستضىء بشعاع سعادته فتصرف من الخدمة فيما قصر أثره فيه، عن الحد الذى نحمده الصاحب

ويرتضيه كالعادة فى هفوات الشبيبة وسقطات الحداثة . فلما كان ذلك يعود بتأديبه إياه وعزله ، ذهب مغاضباً أو هارباً ، وترامت به بلدان العراق والشام والحجاز فى بضع سنين ، ثم أفضت حاله فى معاودة حضرة الصاحب بجرجان إلى ما يقتضيه ويحكيه فى كتاب كتبه إلى أبى بكر الخوارزمى ، وذكر فيه عجره وبجره ، وقد كتبته تنبيها على بلاغته وبراعة كلامه ، واختصاراً للطريق إلى معرفة قصته ، وهذه نسخته :

كتابى أطال الله بقاء الأستاذ سيدى ومولاى من الحضرة التى نرحل عنها اختيارا ، ونرجع إليها اضطرارا ، ونسير عن أفيائها إذا أبطرتنا النعمة ، ثم نعود إلى أرجائها إذا أدبتنا الغربة . ومن لم تهذبه الإقالة هذبه العثار ، ومن لم يؤدبه والداه أدبه الليل والنهار وما الشأن فى هذا ، ولكن الشأن فى عشر سنين فانت بين علم ينسى وغم لا يحصى ، وإنفاق بلا ارتفاق ، وأسفار لم تسفر عن طائل ، ولم تغن عنى ريش طائر ، وبعد عن الوطن ، على غير بلوغ الوطر . ورجعت يشهد الله صفر اليدين من البيض والصفر ، أتلو والعصر إن الإنسان لفى خسر . وأنا بين الرجاء فى أن أقال العثار ، والخوف من أن يقال زأر الليث فلا فرار . إلا أنى كنت قدمت تطهير نفسى فلججت حتى حججت ، وعدت بغبار الإحرام ، وبركة الشهر الحرام . وحين حييت بأصبهان أنهى سيدنا الأستاذ الفاضل أبو العباس أدام الله تمكينه خبرى إلى الحضرة العالية ، حرس الله بهاءها وسناءها . والناس ينظرون هل أقبل فيتلقونى بأكثر الرتب . أم أسخط فيتحاموني كالبعير الأجرب ، فورد توقيع مولانا الصاحب الجليل ، كافى الكفاة أدام الله مدته ، وكبت أعداءه وحسدته . بعالى خطه وقد نسخته على نقطه ليعلم مولانا الأستاذ أدام الله عزه أن الكرم صاحبى لا برمكى ، وعادى لا حاتمى . وأنا نتجرم ثم نندم ونميل على جانب

الإدلال ، ثم لا يروى من الماء الزلال . والتوقيع

ذكر مولاى أدام الله عزه عود أبى محمد الخازن أيده الله للفناء الذى فيه درج ، والوكر الذى منه خرج وقد علم الله أن إشفاقى عليه فى اغترابه ، لم يكن بأقل منه عند إيابه فإن أحب أن يقيم مديدة يقضى فيها وطر الغائب ، ويضع معها أوزار الآيب فليكن فى ظل من مولانا ظليل . ورأى منه جميل . وبر من ديواننا جزيل . وإن حفزه الشوق فرحباً بمن قربته التربيه لدينا . فأفسدته الغرة علينا ، وردته التجربه إلينا وسبيله أن يرفد بما يزيل شغل قلبه بعياله ، ويعينه على كل ارتحاله ، إن شاء الله تعالى

هذه نسخة التوقيع الوارد على سيدنا الأستاذ أبى العباس ، أدام الله عزه فى معناى ، فلا جرم أنى أخذت مالا ، وأعتبت عالا وقلت ليس إلا الحمازة والمفارة ، فصبحت جرجان مسى عاسرة أهدى من القطا الكدرى ، كأنى دعيمص الرمل أستاف أخلاف الطرق ، وأنا مع ذلك أحسب العفو عن جلبا ، ولا أقدر ما جنيت يعقب حلبا فكأنى ما خطوت إلا فى التماس قربه ، وما أخطأت إلا لتأثيل حرمه وكأنى لم أفارق الظل الظليل ، وأخذ فى بقول الله تعالى فاصفح الصفح الجميل فقد روى فى التفسير أنه عفو من غير عتب ، وعدنا للقرب فى المجلس ، وكرم اللقاء والمشهد ، وراحت أيدينا ثقل الصرر ، وجلودنا لين الحبر وركبنا صهوات الخيل ، وسحنا إلى دورنا بفضلات الخير وأقبلنا على العلم ، وصافحنا يد النثر والنظم وراجع الطبع شيئاً كان يدعى الشعر ، كذلك آدم أسكن الجنة بمن الله وفضله ، ثم خرج عنها بما كان من جرمه وهو عائد إليها بفضل الله وطوله ، هذا خبرى ، وأما كتاب سيدى الأستاذ أدام الله عزه فورد وذكرت قول سلم الخاسر طيف ألم بذى سلم ، لأنه حل محل الخيال ، وورد فأخصر المقال وما تركت السؤال عن خبره ساعة وردت . فعرفت

من سلامته ما بشرت به فاستبشرت . وعلمت كيف كانت النكبة ، وكيف انحسرت المحنة . وكيف اتفق الخروج إلى نخار المزن من المزنى صاب ، بعد أن أصابه الدهر بما أصاب ، وشوقى إلى سيدى الأستاذ الشوق الذى كنت أصلى بناره ، ودارى إزاء داره ، ولم أستطع فى التقريب أكثر من أن خرجت عن الموصل إلى جرجان ، وشارفت أدنى خراسان ، ولله اللطائف التى تخلصتنى من الموصل ، فإنى كنت فى وقعة باد أباده الله وعرانى مما ملكت ، وهتكنى فتهتكت ، وخرجت على مذهب مشايخنا فى ضرب الحراب ، على صفحة المحراب . وهذا حديث طويل ، والكثير منه قليل . ذكر الأستاذ سيدى أن الشيخ أبا الفتح الحسن بن إبراهيم أخرعنه نسخة الرسائل مع خروج الأمر الناجز ، وقد عجبت من ذلك ، فإن أوامر الحضرة أقدار جارية ، وسيوف ماضية وأنا أجرى حديثا ، وأنتجز كتابا جديدا فأما شعرى فليس يروى إلا فى ديوان باد ، منذ فارقت آل عباد ، وجعت بكتبى جملة ، وضرب عليها أولئك اللصوص ضربة بلى عملت فى تهنئة مولانا أدام الله سلطانه ، وحرس مكانه . حين رزق سطانبويا علوياً فأشرقت الأرض ، ودعت السماء ، وأمنت الكواكب ، وقال الشعراء . وذلك أنه لما سمع الخبر قال [من البسيط] :

الحمد لله حمداً دائما أبدا إذ صار سبط رسول الله لى ولدا

فعملت على ذلك ما قد أثبته ، فإن يكن ليس بالمسحوط فمن بركة الحضرة والخدمة ، وإن يكن ممقوتا فمن بقايا شؤم تلك الغربة . ومن خبرى أن لى ضيعة بأصبهان مقطعة ، وقد برقت لى فى حلها بارقة مطمعة ، لأن مولانا أدام الله مدته أمرنى أن أعمل فى السلطان العظيم ، أطال الله بقاءه مدحا نيروزيا أشق بسموطه السماطين . هذا ولو كنت عاملا لكنت اليوم فى مرموق الدرجات فقد وردت ورأيت جماعة لم أكن يومئذ دونها ، وقد صارت فى

منازل أحتاج إلى خافيه العقاب حتى ألحق بها . زادهم الله ولا نقصني. وهناهم ولا نغصني ومنهم شيخنا أبو القاسم الزعفراني أيده الله ، وما أقول إنه ليس بأهل لأضعاف ما خول وتخول به ومول ، إذ قد تفضل الله عليه بما أعلم أنه لو حكم بما تحكم فيه وقد قرنت بالقصيدة فى المولود المسعود أخرى عيدية أبقى الله ،ولانا ما عاد عيد ، وطلع نجم جديد . وسقى الله سيدى الأستاذ العهاد ، والرذاذ ، والطل . والوبل ، والديمة ، والتهتان ، وجميع ما فى كتاب المطر للنضر بن شميل ، فما رأيت أتم منه ، وحسبى الله ، وصلواته على محمد وآله الطاهرين .

فهذا كلام كما تراه يجمع بين الجزالة والحلاوة، وحسن التصرف فى لطائف الصنعة ، ويملك رق الإتقان . والإبداع والإحسان ، ويعرب عما وراءه من أدب كثير ، وحفظ غزير، وطبع غير طبع ، وقريحة غير قريحة . فأما شعره فجار مجرى عقـــد السحر ، مرتفع الحسن عن الوصف . وما أصدق قوله [من البسيط] :

لا يحسن الشعر ما لم يسترق له حر الكلام وتستخدم له الفكر

انظر تجد صور الأشعار واحدة وإنما لمعان تعشق الصور

والمقدمون من الإبداع قد كثروا وهم قليلون إن عدوا وان حصروا

قوم لو أنهم ارتاضوا لما قرضوا أو أنهم شعروا بالنقص ما شعروا

وكان أبو بكر الخوارزمى أنشدنى لمعاً يسيرة من شعر أبى محمد ، كقوله فى وصف غبار الركب ، وذكر أنه لم يسمع فى معناه أملح منه ، وأجمع لأقسام الحسن والظرف ، وهو [من الخفيف] :

إن هذا الغبار ألبس عطـــفى سواداً ودينى التوحيد

وكسا عارضى ثوب مشيب ورداء الشباب غض جديد

وقال فى الغزل [من الكامل] :

حث المطى فهذه نجد بلغ المدى وتزايد الوجد
يا حبذا نجد وساكنها لو كان ينفع حبذا نجد
وبمنحى الوادى لنا رشأ قد ضل حيث الضال والرند
هند ترى سيوف مقلتها مالا ترى سيوفها الهند

وأعطانى نسختى القصيدتين اللتين ذكرهما فى الكتاب الصادر ، فشوقنى إلى سائر شعره ، وبقيت أسأل الرياح عنه ، إلى أن أتحفنى أبو عبد الله محمد ابن حامد الحامدى فى جملة ما لا يزال يهديه إلى من ثمرات أرضه ، ولطائف بلده بالعقيلة الكريمة ، والدرة اليتيمة من مجموع شعر أبى محمد ، وقد كانت حضرة الصاحب جمعتهما ، ومناسبة الأدب ألفت بينهما ، فأوجب من الاعتداد ، وفر الأعداد . وجمعت يدى منه على العلق النفيس ، فرتعت فى روضته الأنيقة فبينا أنا أباهى به ، وأهتز لحصوله إذ أصابه بعض آفات الكتب ، وامتدت إليه يد بعض الخونة [من الطويل] :

وسهم الرزايا بالذخائر مولع وأى نعيم لا يكدره الدهر

فصنع الله تعالى فى القوارع من إخراج ما يصلح لكتابى هذا منه . فمن ذلك قوله من قصيدة فى الاستعطاف والاعتذار عند تغير الصاحب عليه واستمرار الأسفار بأبى محمد [من الوافر] :

أيا من عفوه دانى السحاب صدوق البرق ثقاب الشهاب
مديد الظل معقود الأواخى على الجانين مضروب القباب
فكيف حجبت عنك وأنت شمس تجل عن التستر بالحجاب
أيرتج باب عفوك دون ذنبى وعفوك لم يشن يرتاج باب
وإعراض الوزير أشد مساً على الأحرار من ضرب الرقاب

ثنى غربى وفل شبا شبابى وصب على أسواط العذاب
ولم تبق الليالى فى نقيا لعتب منك فضلا عن عقابى
فهب لزيارتى خطئى ، وعمدى لقصدجى ، واغترارى لاغترابى
فما فى الأرض إلا من يرانى بعين المحنق الضرم الضباب
كأنى قد أبرت بهم ذئاباً أو استنفرت منهم أسد غاب
حصلت وكنت ضيفك فى الثريا وصرت ولست ضيفك فى التراب
أعدنى للقرى واجعل جوانى وإيجابى جفانا كالجوابى
وجد برضاك فهو العيش غضا وكلا فهو ريعان الشباب
ولو رعب الحسام العضب سخطا لذاب ذبابه بين القراب
أعيذك أن تصيخ إلى عدوى وسمعك عن هنات القول نابى
على أنى أتوب إليك مما كرهت فرق لى واقبل متابى
وإن لم تعف عن ذنبى سريعا فها إنى وحق أبى لمابى
سألثم من ثراك الروض غضاً ومن يمناك منهل السحاب
أصبت بخاطرى فأتى بشعر عليل مسه ألم المصاب
ومالى غير مدح أم ثناء مشيد أم دعاء مستجاب

وقوله من قصيدة فى معناها هى أحسن عندى من اعتذارات النابغة إلى النعمان وإبراهيم بن المهدى إلى المأمون وعلى بن الجهم إلى المتوكل [من الوافر]:

لنار الهم فى قلبى لهيب فعفواً أيها الملك المهيب
فقد جاز العقاب عقاب ذنبى وضج الشعر واستعدى النسيب
وفاضت عبرة مهج القوافى وغصصها التذلل والنحيب
وقد قصمت عراها واعتراها بسخطك بعد نضرتها شحوب
وقالت ما لعفوك ليس يندى لنا وسماء مجدك لا نصوب

ومن يك شوط همته بعيداً فثنى عطفه سهل قريب
تجاوزت العقوبة منتهاها فهب ذنبي لعفوك يا وهوب
وأحسن إنني أحسنت ظني وأرجو أن ظني لا يخيب
أترضى أن أكون لقى مقيما على خسف أذوب ولا تذوب(١)
أبيت ومقلتي أبق كراها وفي ألحاظها صاب صبيب
وقيذاً لا يلائمني طعامي ولا ينساغ لي الماء الشروب
صببت على سوطا من عذاب يذل لبأسه الدهر الغلوب
وأرهقني نكيرك لي صعودا من الأشجان ليس له صبوب
وما عوني على بلواي إلا رجائي فيك والدمع السكوب
فإن تعطف على رجل غريب فإني ذلك الرجل الغريب
عليك أنيخ آمالي فرحب بها ، وإليك من ذنبي أتوب
وأخطر مايريب إذا دهتني غوامضه إلى مالا يريب
فأية طربة للعفو إن الكريم وأنت معناه طروب
فإني نشء دارك والمغذى بسيبك والصنيعة والربيب
وأبت إليك من عفو مدلا بما يقضى علاك لمن يؤوب
ولذت ببابك المعمور علما بأن ذراك لي مرعى خصيب
وأن شعابه أندى شعاب إليها يلجأ الرجل الأديب
وسقت بنات آمالي إليها وقد حفيت وأنضاها الدءوب
فبوئني اختصاصك حيث تجنى ثمار العز والعيش الرطيب
ولكن كاذنى خب حقود لعقرب كيده نحوى دبيب
وما لجموح ألفته جنيب وما لشمال فرقته جنوب

(١) اللقى — كفتى — المطروح ، وجمعه ألقاء

ولا يتشفبه مى لو رآنى   وقد أخذت بحلقومى شعوب
بلوت النـاس من ناه ودان   وخالطنى القبائل والشعوب
فـكل عنـــد مغمزه ركيك   وكل عنـد مشربه مشوب
فجدلى بالرضا واقبل متابى   وعذرى ، إننى أسف كئيب
طريح فى فنائك مستضام   غريب لا يكلمنى غريب
أأمنع من بوادى العلم منعاً   كأنى ليس لى فيها نصيب
وأحرم من كلامك كل بدع   تتاهبه النواظر والقلوب
فلم لا ينتهى ويكف عنى   عقابك بعد ما انتهت الذنوب
وغاية ما يصير إليه شعر   إذا استعطفت أو مدح مصيب
ومن سقيا سحابك جاد طبعى   ولولا الغيث لم ينبع قليب

وكتب إلى أبى العلاء بن سهلويه وقد ورد بغداد رسولا وأبو محمد بها قصيدة منها [من الكامل] :

أأبا العلاء وردت أكرم مورد   أرض العراق وأنت أنجح آيب
وحويت فى الحـالين شأو مبرز   متحرز لم يأت غير الواجب
وخدمت شاهنشاه أحسن خدمة   رضيت وأوثقها لرأى الصاحب
أبلغ رسالتى الوزير وقل له   فولا يسهل لى سبيل مطالبى
وبضىء آفاقى ويمرع مرتعى   ويحق آمالى ويخصب جانبى
بحياته قسم الـكرام وعهدهم   لا تلونى عنه بظن خائب
واذكر موالاتى الصريحة إنها   أبهى وأنضر من عهود سحائب
وكفاك علمك بى وودى شاهداً   فاذكر خلوص عقائدى ومذاهبى
خذها إليك شذور طبع لاعب   بالشعر مرتاح له لا لاعب
وكأنه فى حسنه ورواته   نظم العقود على نحور كواعب

أهديت من حلواء باب الطاق ما يزرى على حلواء ذاك الجانب
وأشد منه حلاوة شعرى الذى سحر القلوب بسحره المتناسب

وله من أبيات عملها بديهة ايشد الصاحب [من المتقارب] :

أبيت هديتك إلا الغضب على أخويك الندى والأدب
وأمرضت شعرى وأحرضته وشيبت تشبيبة المقتضب
بل اشتكت العرر السائرات وصاحت دواوين شعر العرب
وحال الجريض دون القريض وضرب اليعاسيب دون الضرب[1]
وقد كان شعرى فضى نحبه فأمسكه عفوك المرتقب
وأنك تحنو على سرحه وتغزر من مائه مانضب
وتوقد من ناره ما خبا وتطلع من نجمه ماغرب
بكى غزلى حسن ورد الخدود وضرب بين اللمى والشنب
وأعرض منخزلا بعد ما تألق من حسنه والتهب
فلا توحش المهرجان الذى نظمى يرى السامعين العجب
وأنظم باسمك عقد العلا وأنثر عنك نضار الحسب
فهب لى ذنبى فأنت الشفيـــع لاغير والمرء مع من أحب
ورد إلى نعيم الرضا ولا تصلنى بجحيم الغضب
ومالى ذنب فإن كان لى فذنب حقير قصير الذنب
متى يرض عنى كافى الكفاة بلغت المراد ونلت الأرب

---

(١) الجريض : الغصة ، من الجرض وهو الريق يغص به، يقال جرض وهو أن يبتلع ريقه على هم وحزن ، والقريض : الشعر ، و « حال الجريض دون القريض » مثل يضرب للأمر يقدر عليه أخيرا حين لا ينفع ، وأول من قاله عبيد بن الأبرص ، قاله للنعمان وقد ورد عليه فى يوم بؤسه .

وله من صاحبه ذكر فيها برءه من مرض عرض له [من الكامل] :

كذبت سعود المشترى فلو أنها حرمت سعادة جده لم تنجح
ما مسه ألم ولكن هزه ماهز إفرند الحسام المصفح
نفض الأذى عن جسمه والروض قد ينفى المشائم وهو غير مصوح
مانحت عنه سوى قذى والعين لا تصفو من الأقذاء مالم تضرح
عادت سلامته وأظهر دهره ندم المنيب وتوبة المستصفح

ومن أخرى [من الكامل] :

مازلت أعتسف المهامه والفلا وأواصل الأغوار بالأنجاد
حتى نأيت عن الحواضر ملقياً رحلى بوادٍ فى تخوم بوادى
فإذا بسعدى وهى بدر طالع من فوق غصن فى نقاً منهاد
وطرقتها وعداها رقباؤها فى صورة المرتاب لا المرتاد
فحللت منها حيث كان وشاحها درعى وساعدها الوثير وسادى
وجناؤها حصنى وساحر طرفها سيفى وفاحمها الأثيث نجادى
وعقاصها الموصول زهرة روضتى ورضابها المعسول صوب عهادى
حيث الصبا عبق الحواشى مونق نزهى بناعم غصنها المياد
والروض أحوى والحمائم هتف والظل ألمى والقيان شوادى
ولها ديار غير شرقى الحمى شحطت وشطت عن لقاء أعادى
دار لدى الأرطى ودار بالغضا أخرى ودار باللوى المنقاد
لو فاخرت ذات العماد بيوتها عادت مقوضة بغير عماد
لا تكذبن فمالها دار إذا أصفتنى إلا صميم فؤادى
فلذاك لا تسقى السحائب أرضها إلا بردن حرارة الأكباد

ما أبدع هذا المعنى وأبرع هذا اللفظ !! وقد سبق إلى معنى البيتين ولكنه أبدع فى الجمع بينهما وأحسن ما شاء

ومنها :

ولرب ليل لم أنمه ، ومقلتى مطروفه مطروقة بسهاد
شوقاً إلى ناد جنى ريحانه لمع القريض ونغمة الإنشاد
ناد تجلى عن مقر سريره قمر أناف على البسطة بادى
كافى الكفاة المستجار بظله والمستضاء بعزمه الوقاد
ملك محبته سلافة مزنه سلكت مع الأرواح فى الأجساد
ملك يقال له جواد إذا التقت قحم السنين ولا يقال جماد

وهى طويلة ، وما من أبياتها إلا غره أو دره

ومن أخرى [من الطويل] :

ولما تنسمنا صبا صاحبيه تعيد عجاج الجو وهو عبير
تركنا لظى الرمضاء وهى حديقة ندى وحصى المعزاء وهى شذور
ونلنا هشيم النبت وهو منور وردنا قتاد الأيك وهو حرير

ومنها :

وزير ومما يعجب المجد أنه وزير عليه للسماح أمير
ويخطب من فوق الثريا بفخره فلا تعجبوا إن الخطيب خطير
لوى الراسيات الشم أيسر سخطه ويكفى من السم النقيع نقير
وذلل أعناق الليالى بهمه لها مرقب فوق الأثير وثير
وحزم رأيا لم يشط ثباته هطور وراى الأكثرين هطير
له القاضيات الماضيات مهند مبير وعزم كالشهاب منير
وما كان للجوزاء لولا جواره مجاز وللشعرى العبور عبور

تساعده الأفــدار فيما يريده وتسعده الأفلاك كيف تدور
أو ارى نكر اباد صف صعداته وقد عقدت منها عليك حبور
وصف بأسه إذ ظل يصدم وحده ثلاثين ألفا والجسور جسور

سبحان الله ! ما أشرف هذا الكلام وأعلاه وأجله ! !

ومنها :

وألوية النصر المبــين خوافق تطيح بأشتات العــدا وتطير
وقد كشرت عن نابهــا أم قشعم وللموت فى وجه الكمى هرير
وفى يده اليمنى ثواب وجنــة وفى يده اليسرى ردى وسعير
ولى ســدح فيه غواد روائح أشيد مدى عمرى بها وأشير
ووصف نسيب لو أعير كثيراً لوفى تعظيما وقيــل كثير

وله من قصيدة فى فخر الدولة [من الطويل] :

سقى الله أياماً نشرقى منبج إلى العلم الأقصى بعربى منعج
إلى الحيرة الغناء مطمح ناظرى ومسرح آمالى ومسرى تفرجى
منازل لو لم تخط سعدى بأرضها لما اهتز غصن فى نقا مترجرج
ولا راق در فوق أشنب واضح ولا راع سحر تحت أكحل أدعج
ولم يتحدر طل نرجس مقــلة على صفحتى تفاح خد مضرج
عشية هزت للوداع فأودعت محاسنها أعطاف جذع مدبج
فكم غرد لمــا استقل ركابها حدا طربا والليل غضبان مدجى
وكم ثمل من نشوة الحب يرتعى هوى عامر ما بين حجل ودملج
أقول وقد لاحت عوالى خيامها وفاحت غوالى روضها المتأرج
أيا طارقى أحجج ويا رائدى ابتهج ويا سابقى عرج ويا صاحبى عج
ويا عبرتى كفى ويا ناقتى قفى وياشيبتى احتجى ويا صبوتى ادرجى
فقد كتبت أيدى المشيب مواعظا بخط على فودى غير مسبج

لئن كنت فى برد من العش مبهج ... لقد صرت فى طمر من الشيب منهج
ولذت من الدهر العسوف بحضرة ... تحاط بأطراف الوشيج المزجج
هى الحضرة العناء تهتز نضرة ... وتزرى بأنواع الربيع المتجج
هنا لك لا زند الرجاء لمرتج ... بكاب ولا باب العطاء بمرتج

هكذا فلتمدح الملوك ، وأبيات هذه القصيدة فرائد كلها ، وقد كتبت أنموذجا منها .

وله من أخرى فى وصف الربيع [من الكامل]

طلع الربيع فقال للأرض اشكرى ... نعم السماء وأبدئى وأعيدى
فغدت حدائقها تواصل شكرها ... بلسان كل مطوق غريد
روض إذا نشرت طرائف وشيه ... طويت لها أبراد آل يزيد
ريان لم يعثر نسيم صباتى ... فى ظلها إلا بورد خدود
واعتل برحسه فعادته الصبا ... أحسن بنظره عائد ومعود
وبل مسكى الصعيد معبر ... من مزنة حثت بحش رعود
ورفعت حـــرة مدحة فخريه ... تركت عبيدا وهو بعض عبيدى
وأنا الذى أحلو معانى مدحه ... زهراً طوالع فى سماء قصيدى
ينافس السحر الحلال ، وتاره ... يتناثر العقيان حول نشيدى
فليفترع أبكار لذات المنى ... وليصرع الراهود للناحود
راحا إذا كنت حلت من حجبها ... فوق الخدود طلائع التوريد
ولتجل دولتــه عروساً كللت ... علياه مفرقها بتاج خـــلود

وله من أخرى [من الكامل]

سمراء تخطر فى الوشاح المذهب ... وتميس بين ربائب أو ربرب
هيفاء تعـــدل كل يوم مرة ... شمس الضحى وتردها فى مغرب

عقدت لواء الحسن ليلة أقبلت ... فى موكب الفتيان أعجب موكب
فى ليـــله لو لم تجد تتسم ... لم ينتطق خصر السماء بكوكب
حطت وقدوجلت فهاك شقائقاً ... معروسه فى أرض عاج مذهب
وأرى الشباب إذا تطامن تمرخه ... لتعمر فقـــد أتتى لتعب
ولئن أطلت فقد أطبت وإنى ... رجل متى أصف المعالى أطنب
أطرى وأطرب منشداً فليستمع ... شاهانشاه نشيد مطر مطرب

* * *

أبو العلاء الأسدى

قديم الصحبة للصاحب ، شديد الاختصاص به ممتد العرة والتحجيل . فى شعرائه وصنائعه وندمائه وكان يحبه ويأنس به ، ويكاتبه نثرا ونظماً كقوله له [من السريع]

قلبي على الجمرة يا أبا العـلا ... فهل فتحت الموضع المقفلا

وإياه يعنى بقوله [من البسيط]

أبا العلاء هلال الهزل والجد ... كم النجوم التى يطلعن للحد

وإليه كتب « أبا العلاء شيخى . أين ذاك المعاد ؟ وأين تلك العهود سقتها العهاد ؟ وأين ليالينا بحزوى ، وتصابينا على أروى ؟ بل أين الصبا وما ملك ؟ وأين الشباب وأية سلك ؟ وإذ قد غاب جميع ذلك معب الخيال الطارق ، والضيف المفارق . فأين كتبك التى هى ألذ من انتهاء النفس إلى رجائها . وابتداء العين فى إغفائها » من كتاب غير قصير

فأما شعر أبى العلاء فليس بالمحل العالى ، لا سيما فى المدح ، وقلة عيونه تمنع من إيراده بعد ملاذ ولديه أبى سعيد وأبى محمد . ولما كان بعد الصدت فى أصحاب الصاحب ، أحد بدأ من ذكره وكتابه ملح من أملح شعره

أنشدنى أبو بكر الخوارزمى، قال : أنشدنى أبو العلاء لنفسه، قال: وأراه عرض بالصاحب [من الطويل] :

ورب كريم تعتريه كزازة كما قد رأيت الشوك فى أكرم الشجر
ورب جواد يمسك الله جوده كما يمسك الله السحاب عن المطر

وأنشدنى غيره له [من الوافر] :

سيسألنى صديق عنك فيما يدور من المسائل والحكايه
فأطرق إن سئلت لغير شكوى وإطراقى أشد من الشكايه

وله أيضا ، وهو مما يتغنى به [من الخفيف] :

لا لعمرى ما أنصفوا حين بانوا حلفوا لى أن لا يخونوا فخانوا
شتتوا بالفراق شملى ولكن جمع الله شملهم أين كانوا

وله فى المجون [من الخفيف]

أنا والله أشتهيك فكن عنـــتراً إن شئت أو كعمرو بن معدى
وتفارس إن شئت أو فتراجل ليس هذا مما يضرك عندى

* * *

أبو الحسين الغويرى

هو فى الاختصاص بالصاحب ، والاشتهار فى أصحابه ، كأبى العلاء ، وكان كثير الشعر ، قليل الملح ، وكانت فى خزانة الأمير أبى الفضل عبيد الله بن أحمد مجلدة ضخمة الحجم من شعر الغويرى بخطه ، فاستعرتها واجتمعت أنا وأبو نصر سهل بن المرزبان على إخراج ما هو شرط كتابى هذا منها ، فما أقل ما حصلنا عليه من ذلك . ولم نجد له خيراً من الأبيات الدارية التى مرت فى أخواتها، ومن أشف ما وقعت العلامة عليه من ذلك قوله فى الاعتذار من هفوة السكر [من المجتث] :

بالله رب السماء بخاتم الأنبياء
بسيد الأوصياء بزوجه الزهراء
بالبيت والبطحاء بالقبر فى كربلاء
حلفت مالى ذنب الذنب للصهباء
وليس لى من شفيع إليك غير رجائى
فكن محقق ظنى يا غرة الوزراء
فجرح سكرى جبار كالجرح من عجماء

وقوله فى الصاحب والبيت الأخير مضمن [من الكامل] :

قل للوزير مقالة عن واجد يا من نداه كالفرات الزائد
ما لى حرمت من الأمير نواله وسواى بكرع فى الزلال البارد
ما ضاقت الدنيا على بأسرها حتى ترانى راغباً فى زاهد

وقوله من قصيدة ربيعية [من الخفيف] :

أيها الصاحب الربيع تجلى فى رياض تحار فيها العقول
نرجس ناضر وأحمر ورد وشقيق يزينه التكحيل
وغصون تجر أذيال نور فى حواشى جداول وتميل
للزرازير فى خلال الأزاهيـــر صفير وللحمام هديل
فأقم رسمنا صبيحة نيرو ز به ربع أنسنا مأهول
بكؤوس مملوءة من مدام أنت فيها لمن حساها عذول
واجتنب جلسة الثقيل إليها فعلى الشرب لا يخف الثقيل

وله من مهرجانية [من مجزوء الرمل] :

أسيوف الهنـــد سلت أم ظبا أجفان هنـــد
يا لأيام الصبا والـــعيش فى أكناف نجد

رب حسناء رداح ألصقت خدا بخد
أطبقت صفرة دينا ر على حمرة ورد
أيها الصاحب علياك على الأيام تعدى
وعلى جدواك فدعو لت فى حلى وعقدى
مهرجان ثغره يفـتر عن يمن وسعد
ورده ورد جساد فاح عن مسك وند
فابق ما شئت كما شئـت لتنويل ورفد

وله [من مجزوء الكامل] :

يا أيها الشيخ الذى هو مشتكاى من البشر
أصبحت أختار العمى فى ناظرى على البصر
أسفاً على عمر يكـدره لقاء أبى عمر

* * *

الباب السادس

فى ذكر الشعراء الطارئين على حضرة الصاحب من الآفاق

سوى من يقع ذكره منهم فى أهل خراسان وطبرستان فإن لهم بابا مفرداً فى هذا الربع الثالث ، وسوى أبى طالب المأمونى ، وأبى بكر الخوارزمى ، وبديع الزمان أبى الفضل الهمذانى . فإن لذكر كل منهم مكانا فى الربع الرابع .

أبو الحسن على بن محمد البديهى

من شهرزور كبير الشعر ، نابه الذكر ، خليفة الخصر . سمعت أبا بكر الخوارزمى يقول : وقد جرى ذكره بين يديه ، إنه كان لا يرجع من البديهة التى انتسب إليها وتلقب بها إلا إلى لفظة الدعوى ، دون حقيقة المعنى ، وفى ذلك يقول له الصاحب [من الوافر] :

تقول البيت فى خمسين عاماً فلم لقبت نفسك بالبديهى

ثم أقبل على وقال : أنا أقول فى البديهى ماقاله الجاحظ فى عمرو القصافى زعم أنه قال الشعر ستين سنة فلم يسر له إلا هذا البيت الواحد [من البسيط] :

خوص نواج إذا حد الحداه بها رأت أرجلها قدام أيديها

وكذلك البديهى قال شعرا كثير العدة . فى زمان طويل المدة ، فلم يستملح له إلا هذا البيت [من الخفيف]

أتمنى على الزمان محالا أن ترى مقلتاى طلعة حر

وهذا الحكم منه فيه حيف شديد على البديهى . فليس شعره فى سلامة المتون وقلة العيون على ما ذكره ، والبيت الذى أشار إليه من أبيات بديعه

أولها [من الخفيف] :

رب ليل قطعته باجتماع مع بيض من الأحلاء غر
وكأن الكؤوس زهر نجوم والثريا كأنها عقد در
مر من كنت أصطفيه وللدهـــر صروف تشوب حلواً بمر

ومن سائر شعر البديهى قوله [من البسيط] :

يا شهرزور سقيت الغيث من بلد ود — وجداً به — أنا نقابله
طال الفراق فلا واف يراسلنا على البعاد ولا آت نسائله

وله من قصيدة صاحبية وكان الصاحب أخذه معه من بغـــداد إلى أصبهان أولها [من الخفيف]

قد أطعت الغرام فاعص العذولا ما عسى عائب الهوى أن يقولا
وصحبناه فى فباف وقفار كاد فيها الخليل يجفو الخليلا
فبلونا منـــه دمائة أخلا ق أعادت تلك الحزون سهولا
وأوينا إلى رحاب رحاب لم نجد للعفاة عنها عدولا

وله من تشبيب قصيدة [من الطويل] :

ولم أر لى يوم الرحيل مساعدا على الوجد حتى أمل الدمع مسعدا
وكان دما فابيض منه احمراره بنار التصابى حين فاض مصعدا

أخذه من قول من قال [من الطويل] :

أرابك دمعى إذ جرى حملتى من الضر والبلوى على مركب صعب
فلا تنكرن تلك الدموع فإنما بيضها تصعيدها من دم القلب

وللمعروفى بالفارسية فى معناه

جون سيند بارم بردو رخان زردم آرى سپيد باشد خو دل معد

وله من قصيدة أخرى ذكر فيها حسن أيامه [من الخفيف] :

كيف تقضى لى الليالى قضاء بشبه العدل والليالى خصومى
رب ليل قطعته فى هوى الشعر كأن الشعرى العبور نديمى
فتأمل فلست فى الخلق والخلق المرادين بالذميم الذميم
أنا من آلة الندى فلو أحضرتنى لم يعب نداماك خيمى(١)
يرتضى مشهدى ويؤمن غيبى وأرى فى الملم غير مليم

ومن نوادر شعره قوله [من الكامل] :

لما أتيتك زائراً ومسلما خرج الغلام وقال إنك نائم
فأجبته أولا لحاف نائم هذا المحال وأنت عندى ظالم
أنت اللحاف فكيف تطعم عينه طعم الرقاد وأنت عنه قائم
فتضاحك الرشأ الغرير وقال لى أو أنت أيضاً بالفضيحة عالم
والله ما أقلت منه ساعة حتى حلفت له بأنى صائم

ومما يتغنى به من شعره قوله [من الطويل] :

ذرينى أواصل لذتى قبل فوتها وشيكاً لتوديع الشباب المفارق(٢)
فما العيش إلا صحة وشبيبة وكأس وقرب من حبيب موافق
ومن عرف الأيام لم يغترر بها وبادر باللذات قبل العوائق

* * *

(١) الخيم ـ بكسر الخاء ـ السجية والطبيعة .
(٢) الوشيك : السريع العاجل .

أبو القاسم الزعفرانى عمر بن إبراهيم

من أهل العراق ، شيخ شعراء العصر ، وبقية من تقدمهم ، وواسطة عقد ندماء الصاحب ، وماهم إلا نجوم الفضل وهـذا منهم كالبدر ، وكانت له فى صحبته وخدمته هجرة قديمة ، وله حرمة وكيدة ، وحاله عنده كما قرأت فى كتاب له

وأما شيخنا أبو القاسم الزعفراني أيده الله فصورته لدى صورة الأخ ، أو وده أرسخ . ومحله محل العم ، أو اشتراكه أعم

وكان ـ مع حسن ديباجة شعره ، وكثرة رونق كلامه ، واختلاط ماينظمه بأجزاء النفس لنفاسته ـ لين قشرة العشرة ، ممتع المؤانسة ، حلو المذاكرة ، جامعا آداب المنادمة . عارفا بشروط المعاقرة ، حاذقا بلعب الشطرنج ، متقدم القدم فيه ، وحين سرى فى طريق الرشد بمصباح الشيب ، وساعد الصاحب على رفض الشراب . ونفض تلك الأسباب ، أراده فخر الدولة على مجالسته وأخذه بفض ختام توبته ، ودرت عليه بحسن رأى الصاحب سحائب إنعامه . وأجنت له ثمرات إكرامه ، فى ذلك يقول من قصيدة [من الخفيف] :

هاتها لا عدمت مثلى نديما قهوة تنتج السرور العقيما
قد أطعت الأمير إذ سامنى الشر ب ولم أعص أمره المحتوما
وتخطيت توبتى فى هواه فوصلت التى هجرت قديما
قرقفاً تنتمى إلى الشمس لاتعـــرف فى جنسها الـكرى والـكروما
خالفت دنهـا الغليظ فرقت واستفادت من السموم نسيما
كرمت عنصراً فلو مت فيها أبخل الناس غادرنه كريما
وكأنى لما رجعت إليها كنت من كل لذة محروما
كم عقار صلبت منها بنار فحكيت الخليل إبراهيما

وكئووس شربت منها سرورا كاد يهوى والجلد ينمى هموما
قد وجدت الروض الأريض حميا ووجدت الخسيف عاد حموما(١)
شاهت بى مناى بالقرم فخر الــدولة اليوم حسبة ونعيما
وبلغت الذى تمنيت واستخدمــت فاخترت مجلسا مخدوما
ورآنى الأمير أيده اللــه لبدأ فقال كن لى نديما
جهل الرزق موصعى ورأى آ ثار شاهنشاه فصار عليما
أرشدته إلى كف كريم ألزمته أن لا يكون لئيما

وكان قد نادم أخاه عضد الدولة ، وله فيه القصيدة الشطرنجية التى لم يسبق إلى مثلها ، وهى نهاية فى الحسن والظرف ، فمنها [من الخفيف] :

لى فؤاد لو أنه لى عريم كان عذرى لديه أنى عديم
وأنا مبتلى بقلبى الذى أقعــد فيما يسومنى وأقوم
ليس يدرى لجهله وهو يقضى أن كلى مما جناه زعيم
غصبتنى عليه حود وقالت أنا من قد عرفت واسمى ظلوم
هو ثأر نالته يمنــاى فاطلبــه لحرب يشيب فيها الفطيم(٢)
وانثنت بى إلى مجال فسيح تدمن الركض فيه زنج وروم
فأقمنا صدور فرسان حرب خلف رجالة لها لا تريم
وإذا استقدمت تقدمت الخيــل وطاب الطراد والتصميم
فالتقى العسكران فى حومة النقــع أسود على أسود تحوم
كل فيل نجت من الصلم أذنا ه وأودى ناباه والخرطوم

(١) الحميم : الماء الحار ، والخسيف : البئر التى تحفر فى مكان متحجر فتنبع بماء كثير

(٢) الفطيم : الطفل الذى فصل عن الرضاع .

وطمر إذا علته العوالى غاب فيها وعاد وهو سليم
فاختلطنا وجال فى الحرب فرزا نى وقال الكمى من لا يخيم
ثم نادى شاهى برخيه كرا ليس بعد الوقوف إلا الهجوم
فاحاطا بشاهنا فى مضيق ضاق ذرعا بمثله المكظوم
ثم أزعجته بفيلى فولى مستكينا كما يولى اللئيم
وكشفت العراء عن وجه رخى فعراه الحمام وهو مليم
فتخفت من الحياء وغطت ورد خد كأنه ملطوم
ثم قالت خذ الفؤاد سليما إن حبس المرهون عار ولوم
ولشتان بين خيلى فى الغى وخيل صراطها مستقيم
قارع الدهر فوقها عضد الدو لة حتى انتهى إلى ما يروم
فأباد العدا وقام به الدين وركن الخلافة المهدوم
واستقرت به زلازل بغدا د وعاد الخليفة المظلوم

ومن غرر قصائده فى فخر الدولة [من الكامل] :

لو عاينت عيناك بركة زلزل ونزلت من عرصاتها فى منزل
وعمرت دور فيانهـا بك جامعاً بين الغزالة والغزال الأكحل
وبسطت كفى باذل متخرق فأقمت غير محلىء عن منهل
وسمعت مايدعو النفوس إلى الهوى طرباً ويفتح كل قلب مقفل
وشربت صافية كأن شعاعها لهب الحريق من الرحيق السلسل
وغدوت مخموراً جنيب هوى إلى حجر الجوارى غدوة المتغزل
فسرحت بين قدودها وخدودها ونهودها طرف الشجى المتأمل
وملكت منهن التى لو أنها طيف انمزت بقربه المتخيل

ونويت فى قفر بشاطىء دجلة ... ما بين مزمار وعود معمل
متنقلا من روضه مهضوبة ... حلت إلى الروض الذى لم يحلل
ورقدت بالنجمى رقدة شارب ... تحت الغصون وحملها المتهدل
وسباك صوت خرير ماء سائح ... وشجاك تغريد الحمام المهدل
وسعيت سعيا فى البطالة والصبا ... لم يدر دمعك فى محل محول
ولقلت واأسفا على القصف الذى ... لم أجنه بالقفص أو قطربل
لا أتبع الأعراب إن هم قوضوا ... من مجهل حتى أحط بمجهل
وصرير أرجاء السرير بمسمعى ... أحلى بقلبى من صرير المحمل
فالكرخ دار اللهو أعذب مشرعا ... من مشرع يختص دارة جلجل
لا در در العيش فى متربع ... بمخيم بين الدخول فحومل
خفض عليك وكل خفض إنما ... أوقاته فرص نعن لمعجل
والعيش عندى ما حييت بدره ... فى ظل مغشى الجناب مؤمل
قد ألقت الدنيا أزمتها إلى ... ملك الملوك على بن أبى على
فاطرب سرورا بالزمان وحسنه ... واشرب على إقبال دولة مقبل

وقوله من نيروزية [من الخفيف] :

بى سكر ما ولدته العقار ... لى جسم للعين عنه ازورار
أنا من غادرته أيدى المطايا ... والرزايا شعاره والدثار
أيها الليل عقهم بدياجيك وهيهات ذاك. فيهم نوار
غادة ما دجا عليها ظلام ... قط إلا ليل علاه خمار
يا ربيع الربيع للعيش من بعد اصفرار براحتيك اخضرار
لايحول الذى بكفك يسقى ... بل يحول الذى سقاه القطار(١)

---

(١) حال : تغير وزال ، والقطار : جمع قطر ، وهو المطر .

فهنيئاً نطيب فصل ويوم زار فيه نيروزك الزوار
يخصب المجد فى ذراك وتخضر الأيادى وتورق الأخبار
وتغنيك فى الندى طيور أنا وحدى من بينهن الهزار(١)

ومن غرر قصائده الصاحبية قوله من قصيدة [من الطويل] :

وليل دعانى فجره فلقيته بمجلس طلق الوجه سهل التخلق
إذا شئت خضنا فى حديث منمنم وإن شئت عمنا فى رحيق معتق
يرد شبابى وهو عنى شاسع ويدنى التصابى بعد ماشاب مفرقى

ومنها فى المدح [من الطويل] :

لقد أعتقتنى نعمة لك أطلقت يمينى بعد اليأس من قد موثق(٢)
فإن أنتسب كان انتسابى إلى أبى وكان ولائى بعد ذاك لمعتق

ومن أخرى [من الطويل] :

وصرت إلى الباب الذى ليس دونه حجاب ولا كف ترد من أجتنى
فما شمت إلا بارقا كان صادقا ولارحت حتى عمت فى أبحر الغنا

وقوله من أخرى [من البسيط] :

مسدد ضربت أيام دولته على عيون أعاديه بأسداد
هدى إلى الحق وانهلت يداه ندى فهو الدليل يعين السفر بالزاد
لى عند جرجان ثأرسوف أطلبه بكل رحب القرى أومشرف الهادى
حتى أراه فأستعى رؤيته عما رويناه عن قوم بإسناد

وقوله فيه ، وقد أزمع الورود عليه والطريق مخيفة [من مجزوء الكامل] :

يا شوق قد قرب السفر ودنا الرحيل المنتظر

---

(١) الندى : مجتمع القوم ، والهزار : طائر وهو العندليب ، وفارسيته هزار دستان ، وله أسماء أخرى بالفارسية .

(٢) القد : أصله الجلد الذى تخصف به النعال ، وأراد هنا ما تغل به اليد .

وغداً بإذن الله أو باليه يظهر ما استتر

ويسير بي التيسير فى زمر بأيديهم زبر[1]

سيراً يبشر بالسعا دة والسلامة والظفر

سينيف بي الفرس الأغــر غداً على الملك الأغر

ياحادثى تيقنا أنى أفارق من فتر

وينال رفــدى منكما ماض يقهقه إن عثر

لا يقشعر إذا دنا منه الغضنفر أو زأر

وردى ووردكما سرى ينسيكما ذكر الصدر[2]

إن جال فى عينى الكرى رفقاً فأعقبها العور[3]

لا زلت أبدع فى السرى فعــلا تعاظمه القدر

وأشق قلب الليل عن ولد يقال له السحر

حتى يقول الحزن لى والسهل لست من البشر

وتقول خوص نجائبي لا خاب سعيك يا عمر

إن الجليل من الثوا ب لمن يدقق فى النظر

سأغض عن زهر الكوا كب أو يعن لى القمر

إنى أخف إلى السحو ر ولا أسف إلى المطر

وإذا لقيت الصاحب الـــمأمون أدركت الوطر

وإذا جلست علوت ديــباجا وسائده بدر

وإذا ركبت مشى عبيــدى فى المناطق والحبر

---

(١) الزبر : جمع زبرة ، وهى القطعة العظيمة من الحديد .

(٢) الورد : الاشراف على الماء ، والصدر : الرجوع عنه .

(٣) رفقا : أى من أجل رفقى بنفسى

وأقيم مبتسما إقا مه من يزاد إذا شكر
فى نعمة تصفو على به وأخرى تنتظر
ذكروا فساد طريقنا واستشعروا منه الحذر
قلت اركبوه على الذى فيه وإن عظم الخطر
فالله خير حافظاً واسم الوزير لنا وزر
إن كان غاب فخوفه فى كل قلب قد حضر
ملك تخر له الملو ك الصيد من مد البصر
فالطيب فوق لحاهم وجباههم تحت العفر(١)
وأجلهم من جد منه إليه فى وقت النظر
جرجان ما نصبى ولا دأبى إليك على غرر
فيك الذى من ماله لحمى وجلدى الشعر
لولا ابن عباد رأيت الصبر أفضل مدخر
وسلكت فى زهد عن الـ دنيا سبيل من ازدجر

واعتل فطال ورده فقال ووصله بهذه القصيدة من مجزوء الكامل :

قد كنت أحسب أن عيسى سوف تطفر بالنظر
وهى سليمة أخمصيك وما وطئت من العفر(٢)
وإذا بلغتك سالماً فى النفس أدركت الوطر
حتى منيت بعائق ينهى العليل عن السفر
حمى يعاضدها السعا ل وما برجلى من خدر
ولعل سيدنا إذا عرف المعوق لى عذر

(١) العفر ــ محركة وبسكن ــ ظاهر التراب .
(٢) الأخمص : مالم يصب الأرض من باطن القدم .

وقوله من أخرى فى فخر الدولة [من الطويل] :

حبيب عليه من سناه رقيب ... يصد الدجى عن وجهه فيغيب
تبممنى والليل فى طرقاته ... فلما نبدى حال عنه مريب
تحمل لوم الشمس فيه وجاءنى ... هلال عن البدر المنير ينوب
فكان لراحى وارنياحى ومجلسى ... وكلى بطيب الوقت منه نصيب
وساعدنى ليلى وأرخى سدوله ... وهب نسيم للحياة نسيب
وأنعمت حتى ليس يشتاق عاشق ... حبيباً ولا ينوى الإياب غريب

ومنها فى المدح [من الطويل] :

ومزمع حج ينثنى عنك ماضياً ... ويذكر ما أوليته فيؤوب(١)
عممت الورى بالبر حتى كأنما ... يرد عليهم من لهاك غصوب(٢)
وعرفتهم طرق الثناء فكلهم ... على طبقات شاعر وخطيب
رأى المزن ما تعطى فضم على الأسى ... فؤاداً كأن البرق فيه طبيب
وكم لاح برق وابتسمت لشائم ... فكنت صدوف الوبل وهو كذوب

وقوله من أخرى فيه [من المنسرح] :

ياسامع الزور فى لى ذمم ... منها الضنى فى هواك والسقم
أنت الذى دنت بالسجود له ... حتى لقد قيل ربه صنم
ولى فؤاد عدوت مالكه ... بلا شريك فليس ينقسم
حتى إذا صرت فى ذرى فلك الـ ... أمة حث التقت به الأمم
خيمت فى دولة محددة ... خيم فيها الوفاء والكرم
وقلت للسفر قد وصلت إلى ... مناى ، رحلى وناقتى لكم

---

(١) المزمع : اسم الفاعل من أزمع ، وهو المجمع على الأمر الثابت عليه
(٢) اللهى : العطايا أو أفضلها وأجزلها

أكرم بحظى لقد أتى فحا ما خطه فى جبينى العدم

وله من قصيدة فى الصاحب يصف فيها علته بجرجان وتأذيه بهوائها وبراغيثها وبقها ويستأذنه للعود إلى أصفهان [من الوافر] :

ألا يا حى جادتك الغوادى مجللة العزالى والمزاد
ولا زالت رباك تفوح مسكا يضوع نسيمه فى كل نادى
فإنك جنة الدنيا لثاو أقام بخير أمصار البلاد
وأم للغريب فكل آت نظير بنيك عندك فى الولاد
فوا أسفى على زمن جنى لى ودادك واجتنى لك من ودادى
كذا الملك ابن عباد عماد الـهدى وردى العدا وحيا العباد
ومن برقاه دون ظباه أسرى فأصلح بين غيك والرشاد
وجاد فكان أجرى من سحاب سقى زهر الروابى والوهاد
وقد أصبحت بعدك فى بليد درية كل داهية نآدى(١)
ولولا أن سيدنا به لم تكن جرجان تثنى من قيادى
أقمت بها أعالج كل بؤس من الأعلال لا العيش المهاد
تحدثنى بحمى لو تبدت بخيبر ألحقتها بالبوادى
ملازمة إذا لسعت شقباً فكل زمانها وقت العداد
تعاونها على سموم صيف بلفح من لظاه واتقاد
وذبان أشردها فتأبى وبرجع كالمراغم ذى الكياد
كأنى حين أطردها وتأبى أفرق بين ذى سغب وزاد
ويا ويلى من الليل الموافى فإنى حين يطرق فى جهاد
له جيشا براغيث وبق يطل على إطلال الجراد

(١) الدرية ــ بفتح الدال ، على زنة فعيلة ــ ما يتعلم عليه الطعن ، والناآدى : النازلة

ولى فرش هى الميدان فيه براغثه وخمشى فى طراد
وبق فعله فى كل عضـــو فعال النار فى يبس القتاد (١)
عصائب ينتحين على عروقى بعوج كالمباضع فى الفصاد
فتروى ثم ترجع عاطفات على وهن كالهيم الصوادى(٢)
وأنقف بعضهن وفى حشاها دمى فأنال ثاراً من أعادى(٣)
تفرق بين جنبى والحشايا وتجمع بين جفنى والسهاد
ولو أنى ثملت وملت سكرا لحالت بين طرفى والرقاد
وأستر دونها وجهى بكفى وعطف الردن وهو لهن بادى
وأظهر فى صباحى كل يوم بوجه مجدر قلق الوساد
وأدمن حك ما تركت بجسمى فيحسبنى جربت ذوو عنادى
وقد وقف الوزير على بلائى بما ضافت به حيلى وآدى(٤)
وإنى لا نهار أقر فيـــه ولا ليل يقينى منه فادى
صديقى فى دجا ليلى عدوى وعبدى لا يجيب إذا أنادى
وأترك فى ظلام دجاه وحدى فأذكر ضيق لحدى وانفرادى
وفى يمناى مروحة فطورا أذود بها وما يغنى ذيادى(٥)
وطورا أستريح إلى انتصابى وطورا أنثنى ويدى اعتمادى
وعلمنى البعوض بلطم خدى حلائق لسن من شيمى وعادى

---

(١) القتاد : شجر صلب له شوكة كالابرة
(٢) الهيم : الابل العطاش
(٣) النقف : كسر الهامة عن الدماغ ، والمراد أخذها وإماتتها
(٤) الآد : الصلب والقوة
(٥) الذياد: الدفع والطرد كالذود

فهل للصاحب المأمول عطف ... على عجزى عن الكرب الشداد
بإذن لست أسأله اختيارا ... ولكن اضطرارى فى ازدياد
شقاء لايعاقبه رخاء ... وبلوى تستنيم إلى التمادى
وسيدنا أدق الناس حدسا ... وأعرفهم بدخلة من يصادى
وحسبى ما بلاه فى اختيارى ... وشاهد من ولائى واعتقادى

وأنشدنى أبو بكر الخوارزمى، قال : أنشدنى الزعفرانى لنفسه[من الخفيف]:

لى لسان كأنه لى معادى ... ليس ينبى عن كنه ما فى فؤادى
حكم الله لى عليه فلو أنـ ... ـصف قلبى عرفت قدر ودادى

وأنشدنى له من قصيدة فصلية هذين البيتين ، وأظهر إعجاباً شديدا بهما ، [من الوافر] :

وفصل فيه للأرض اختيال ... لأن جميع ما لبست حرير
وللأغصان من طرب تثنّ ... إذا جعلت تغنيها الطيور

* * *

أبو دلف الخزرجي الينبوعى ، مسعر بن مهلهل

شاعر كثير الملح والظرف ، مشحوذ المدية فى الجدية ، خنق التسعين فى فى الإطراب والاغتراب، وركوب الأسفار الصعاب، وضرب صفحة المحراب بالجراب ، فى خدمه العلوم والآداب وفى تدويخه البلاد يقول من أبيات أنشدنيها أبو الفضل الهمذانى [من الهزج] :

وقد صارت بلاد اللـ ... ـه فى ظعنى وفى حلى
تغايرن بلبثى و ... تحاسدن على رحلى(١)
فما أنزلها إلا ... على أنس من الأهل

(١) اللبث : الاقامة . والتغاير هنا : التحاسد ، من الغيرة

وكان ينتاب حضرة الصاحب ، ويكثر المقام عنده ، ويكثر سواد غاشيته وحاشيته ، ويرتفق بخدمته ، ويرتزق فى جملته ، ويتزود كتبه فى أسفاره ، فتجرى مجرى السفاتج فى قضاء أوطاره ، وكان الصاحب يحفظ مناكاة بنى ساسان حفظاً عجيباً ، ويعجبه من أبى دلف وفور حظه منها . وكانا يتجاذبان أهدابها ويجريان فيما لا يفطن له حاضرهما . ولما أتحفه أبو دلف بقصيدته التى عارض بها دالية الأحنف العكبرى فى المناكاة وذكر المكدين والتنبيه على فنون حرفهم وأنواع رسومهم وتنادر بإدخال الخليفة المطيع لله فى جملتهم وفد فسرها تفسيراً شافياً كافياً اهتز ونشط لها وتبجح بها وبحفظ كلها وأجزل صلته عليها ، وقد كتبت معظمها بأخرة ، وكان السلامى هجاه بالأبيات التى أولها [من الخفيف] :

قال يوماً لنا أبو دلف أبـ ـرد من تطرق الهموم فؤاده
لى شعر كالماء قلت أصاب الـ ـشيخ لكن لفظه براده
أنت شيخ المنجمين ولكن لست فى حكمهم تنال السعاده
وطبيب مجرب ماله بالحـ ـذق فى كل من يجرب عاده
مر يوماً إلى مريض فقلنا قر عيناً فقد رزقت الشهاده

فقال له أبو دلف [من البسيط] :

ظل السلامى يهجونى فقلت له حييت قلبى ومعشوقى وأستاذى
إن لم تكن ذاكراً بالرى صحبتنا فاذكر ضراطك من تحتى ببغداذ

وأنشدنى عون بن الحسين الهمذانى ، قال : أنشدنى أبو دلف الخزرجى الينبوعى لنفسه فى أبى عبد الله العلوى [من مجزوء الكامل] :

لولا النبى محمد ووصيه ثم البتول
لعلمت أنى شاعر أسم الرجال بما أقول

لكننى أعرضت عن ذاك الحديث وفيه طول
وتركت للخمر الخما ر ، وحبذا تلك الشمول

وأنشدنى أبو على محمد بن عمر البلخى ، قال : أنشدنى أبو دلف الخزرجى لنفسه فى إنسان كاتب بالدينور يقال له المشقاع [من الكامل] :

يا من يسائلنى عن المشقاع قد ضاق شعرى عنده ورقاعى
كاتبته فى حاجة عرضت لنا فكأننى كاتبت وحش القاع
نعم الفتى لو لم تكن أخلاقه ممزوجة بتوابل الفقاع
أنا مثله فى جنسه من طرزه إن لم أضرطه على الإيقاع

وأنشدنى بديع الزمان لأبى دلف ، ونسبه فى بعض المقامات إلى أبي الفتح الإسكندرى [من مخلع البسيط] :

ويحك هذا الزمان زور فلا يغرنك الغرور
زوق ومخرق وكل وأطبق واسرق وطلق لمن يزور
لا تلتزم حالة ولكن در بالليالى كما تدور

* * *

وهذا ما اخترته من قصيدته الساسانية التى أولها [من الهزج] (١)

جفون دمعها يجرى لطول الصد والهجر
وقلب ترك الوجد به جمرا على جمر

---

(١) بنو ساسان : قوم من العيارين والشطار لهم حيل ونوادر . وقد وضعوا لهم اصطلاحات وألفاظا اخترعوها تجدها منثورة فى هذه القصيده ولصفى الدين الحلي قصيده أخرى أسماها القصيدة الساسانيـة فى خمسة وأربعين ومائة بيت ، وفى مقامات بديع الزمان الهمذانى مقامة اسمها « المقامة الساسانية » فيها كثير من حيلهم .

لقد ذقت الهوى طعميـــن من حلو ومن مر
ومن كان من الأحرا ر يسلو سلوة الحر
ولا سيما [و] فى الغربـــه أودى أكثر العمر
تعريت كغصن البا ن بين الورق والخضر
وشاهدت أعاجيباً وألواناً من الدهر
فطابت بالنوى نفسى على الإمساك والفطر
على أنى من القوم الـبهاليـل بنى الغر
بنى ساسان والحامى الـحمى فى سالف العصر
تغربنـا إلى أنا تناءينا إلى شهر
فظل البين يرمينا نوى بطنا إلى ظهر
كما قد تفعل الريح بكثب الرمل فى البر(١)
فطبنا نأخذ الأوقا ت فى العسر وفى اليسر
فما ننفك من صمى وما نفتر من متر
فأحلى ما وجدنا العيـش بين الكمد والخمر
الصمى : الشرب ، والمتر ، والكمد : هو النيك
فنحن الناس كل النا س فى البر وفى البحر
أخذنا جزيه الخلق من الصين إلى مصر
إلى طنجة بل فى كـل أرض خيلنا تسرى
إذا ضاق بنا قطر نزل عنه إلى قطر
لنا الدنيا بما فيها من الإسلام والكفر
فنصطاف على الثلج ونشتو بلد التمر

(١) الكثب — بضمتين وسكن الثاء هنا — جمع كثيب ، وهو التل من الرمل

فنحن المزقانيو ن لا ندفع عن كبر[١]
هم شتى فسلنى عنـــهم ينبيك ذو خبر
فمنـا كل كماذ الـــلبوسات مع الهر
ومنـا كل صلاج نُكـيد وافر نـكر

الكماذ : النياك ، واللبوسات : الأحراح ، والهر : الدبر ، والصلاج : الذى يصلج أى يجلد عميرة ، والـكيذ : الأير

قد استكفى بكـفيه عن الثيب والبـكر
فلا يخشى من الإثم ولا يؤخذ بالمهـر
ولا يحذر من حيض ولا حمل على طهر
ومنا الكاغ والكاغــة والشيشق فى النحر[٢]

الكاغ والكاغة : المتجانن والمتجاننة . والشيشق : الحدائد والتعاويذ التى يلقونها على أنفسهم

وأشـكال وأغـلال من الجلد أو الصفر
ومن دروز أو حر رأو كوز بالدغر

درور :إذا دار على السكك والدروب وسحر بالنساء ، حرز : إذا كتب التعاويذ والأحراز . كوز : إذا أقام فى المجلس ، والمـكور : هو الذى يقوم فى مجالس القصاص فيأمر القاص أصحابه بإعطائه ثم إذا تفرقوا تقاسموا ما أعطوه . والدغر : المقاسمه

---

(١) المزقانيون : هم أصحاب الكدية ، وميزق : كدى

(٢) قال الجاحظ «الكاغ : الذى يتجنن ويزيد حتى لا يشك أنه مجنون لادواء له ، لشدة ما ينزل بنفسه ، وحتى يتعجب من بقاء مثله على مثل حالته»

ومن درع أو قشـــع أو دمع فى القر

درع : إذا جاء الهراس وطلب قصعة من الهريسة فإذا أعطاه إياها لحسها ، قشع : إذا مشى وعينه إلى الأرض لطلب القطع . دمع : إذا بكى فى الأسواق عند البرد حتى يعطى .

ومن زعس أو كبـــس أو غلس فى الفجر

زعس : إذا طاف على حوانيت البـاعة فأخذ من هنا جوزة ومن هنا تمرة ونبقة ، كبس : إذا دار فإذا نظر إلى رجل قد حل سفتجته كبسه وأخذ منه قطعة ، غلس : إذا خرج إلى الـكدية بغلس .

وحاجور وكذابا ت أهل الأوجه الصفر

الحاجور : الذى يثقب بيضة ويجعلها فى حجره وهى تسيل ماء أصفر ، الـكذابات : العصابات يشدونها على جباههم فيوهمون أنهم مرضى

ومن شطب أو ركـــب للضربات والعقر

شطب : إذا عقر نفسه بالموسى وجعل يكذب على الأعراب والأكراد واللصوص . ركب : إذا طلى جسمه بالشيرج حتى يسود جلده وأوهم أنه جلد أو لطمته الجن ليلا .

ومن ميسر أو مخطـــر واستنغر للثغر

ميسر : إذا كدى على أنه من الثغر ، ويقال له : الميسرانى . مخطر : إذا بلع لسانه وأوهم أن الروم قطعوه

ومن ناكذ فى القينو ن من جوف أبى شمر

المناكذة : أن يتقاسموا ما يأخذونه من الثياب والسلاح بعلة الغزو . والقينون : موضع القسمة . أبو شمر : أول من كدى بعلة الغزاة .

ومن رش وذو المـكوى ومن درمك بالعطر

رش : إذا كدى بعلة ماء الورد يرشه على الناس . ذو المكوى : الذى يبخر الناس . درمك : إذا باع العطر على الطريق .

ومن دكك أو فكـك أو بلغك بالجر

المدكك : الذى يخرج اللوى من العصيان ويحتال على من به وجع الضرس حتى يجعل دود الجبن فيما بين أسنانه ثم يخرجه ويوهم أنه أخرجه بالرقية ، فكك : إذا فك السلاسل على الطرق . بلغك : إذا جر الخواتم بالإبريسم الرقيق .

ومن قص لإسرائيـل أو شبراً على شبر

من قص : هو الذى يروى الحديث عن الأنبياء والحكايات القصار ويقال لها الشبريات .

ومن بشرك أو نو ذك أو أشرك بالهبر

بشرك : تزيا بزى الرهبان تزهداً . نوذك : إذا كدي على أنه من الحجاج . أشرك بالهبر : إذا قاسم شركاءه ما يأخذه .

ومن قدس أو نمـس أو شولس بالشعر

قدس : إذا أكل الكبد المطحونة المجففة فى شهر رمضان خاصة وأوهم أنه يطوى ولا يفطر فى الشهر إلا مرة أو مرتين . نمس : من الناموس . شولس : من الشالوسة ، وهم الزهاد يكدون بلباس الشعر

ومنـا العشيريون بنو الحملة والـكر

العشيريون : الذين يتثاقفون على دوابهم كالغزاة يكدون

ومنا المصطبانيو ن من ميزق بالأسر

المصطبانيون : قوم يزعمون أنهم خرجوا من الروم وتركوا أهاليهم

رهائن عدهم فطافوا البلاد ليجمعوا ما يفكونهم به ، وتكون معهم شعورهم ويقال لذلك الشعر : المصطبان ، ميزق : كدى

ومنا كل زمكدان غدا محدودب الظهر

ومنا كل مطراش من المكلوذة البتر

المطراش : الذى معه يده يكدى عليها ، ويقال لليد المقطوعة : المكلوذة

وفى المدرجة الغبرا ء منا سادة العبر

المدرجه : هؤلاء قوم يقعدون وينامون فى السكك والأسواق على طريق المارة ومدرجه الرياح فتعلوهم غبرة التراب حتى يرحموا ويعطوا

ومنا كل قناء على الإنجيل والذكر

القناء : الذى يقرأ التوراة والإنجيل ويوهم أنه كان يهوديا أو نصرانيا فأسلم

ومن ساق الولا بالما ء أو قوس أبى حجر

ومن ساق : هؤلاء قوم يسقون الناس الماء والولا : أن يقف فيقول : أنا المولى الأبطحى ، ومنهم من يكون معه قوس عربيه ، وأول من فعل ذلك فى الحضر أبو حجر

ومن طفشل أو زنكل أو سطل فى السر

طفشل : إذا علق لسانه وتشبه بالأعراب . زنكل : إذا احتال فى سلبهم ، سطل : إذا تعامى وهو بصير ، يقال للأعمى : الإسطيل

ومن زقى الشغاثات غداءات وبالعصر

زقى : صلى . والشغاثات : المساجد ، واحدها شغاثة ، يكدون فيها إذا صلى الناس

ومن دشش أو رشش أو قشش يستدرى

دشش : إذا جعل فى استه شبه حشو كحقنة وينام على الطريق ويخرج من استه

كالدشيشة ، رشش : إذا كانت معه مبولة مع خصاه فإذا جاءه البول رششه على الناس ، ويقال له : المرشش ، قشش : إذا فسا فى المساجد فيتأذى به المصلون فيعطونه حتى يخرج

ومن يزنق أو يخـــنق أو يذلق بالدبر

يزنق : يثقب فى بدنه ثقبة وينفخ فيها حتى يتورم بدنه ، يخنق : يضع المنديل فى رقبة نفسه ويفتله حتى ينتفخ رأسه ووجهه ، يذلق : يمشى عريان الاست

ومنا كل مستعش من النعارة الكدر

مستعش : قوم يدورون على أبواب الدور فيما بين العشاءين ويقولون : رحم الله من عشى الغريب الجائع ، وينعرون بذلك حتى يأخذوا من كل دار كسرة ويرجعوا بها .

ومن شدد فى القول ومن رمد فى القصر

ومن شدد : قوم يكون معهم دفاتر حديث يروونها ويشددون على الناس فى اللواط وشرب الخمر ، القصر : هو الأتون يدخله الواحد من القوم فيطرح نفسه فى الرماد ثم يخرج وعليه غبرة الرماد ، ويوهم أنه أوى إليه من شدة البرد وعدم الملبوس .

ومن يزرع فى الهادو ر تكسيحاً من البذر

ومن يزرع فى الهادور : قوم ينظرون فى الفال والزجر والنجوم ويعطون قوما دراهم حتى يأتوهم ويسألوهم عن نجمهم وعما هم فيه فينظروا لهم ثم يردون الدراهم عليهم وربما أخذوها وقالوا لا نأخذها لأن نجمك ما خرج كما تريده ، الهادور : كلام الحلقة التى يجتمع الناس عليها ، والتكسيح : الممانعة

إلى أن يقع التنبـــل فى محصدة الجزر

التنبل : هو الأبله الذى يقبل المخاريق على نفسه، ويغتر بما يورد المنجم عليه، فيخرج هو أيضاً دراهمه طمعا فى ردها فيأخذها منه ويسخر به .

ومن قنون أو بنو ن أو طين بالشعر

وقنون : من المقنون ، وهو الذى يقول : كان أبى نصرانيا وأمى يهودية وإن النبي صلى الله عليه وسلم جاءنى فى النوم وقال : لا تغتر بدين أبويك واتبع ملتى، فأسلمت . بنون : إذا انتسب إلى البانوانية[1] وهم الشطار وقال : كنت محبوسا فاحتلت بكذا حتى خرجت ، طين : إذا طين وجهه وساعديه بطين الحمرة وروى الأشعار على رءوس الأشهاد فى الأسواق .

ومنا منفذ الطين وأصحاب اللحى الحمر

منفذ الطين قوم يخضبون لحاهم بالحناء، ويدعون أنهم شيعة ويحملون السبح والألواح من الطين ويزعمون أنهـا من قبر الحسين بن على رضى الله عنهما فيتحفون بها الشيعة .

ومن شقف بالماء ومن شقف بالجمر

والمشقف : هو الدى يأخذ ماء النوشادر فيكتب بها الرقاع ويتركها بين يديه فإذا مربه الأبله قال له جرب بختك وخذ رقعة من هـذه فيأخذها ثم يعطيه إياها فيقذفها فى النار فيظهر المكتوب أسود، وقد يعمل هذا الجنس بماء العفص فإذا غمس فى ماء الزاج خرج أسود ، ويقال للرقعة : الشقيفة .

ومن كدى على كيسا ن فى السر وفى الجهر

---

(١) قال الجاحظ «البانوان : الذى يقف على الباب ويسأل الخلق ويقول بانو ، وتفسير ذلك بالعربية يامولاى »

كيسان : قوم عرفوا قوما من الكيسانية والغلاة فيجيبونهم ، ويكدون عليهم بالمذهب .

ومنا الناثح المبكى ومنا المنشد المطرى

والنائح المبكى : قوم ينوحون على الحسين بن على ، ويروون الأشعار فى فضائله ومراثيه ، رضى الله عنه ! .

ومن ضرب فى حب على وأبى بكر

ومن ضرب فى حب : قوم يحضرون الأسواق فيقف واحد جانبا ويروى فضائل أبى بكر رضى الله عنه ، ويقف الآخر جانبا ويروى فضائل على رضى الله عنه ، فلا يفوتهما درهم الناصبى والشيعى . ثم يتقاسمان الدراهم .

ومن يروى الأسانيد وحشو كل قمطر

ومن يروى الأسانيد : هؤلاء قوم يروون الأحاديث على قوارع الطرق

ومنا كل ممرور غدا غيظ بنى البظر

كل ممرور : قوم يلبسون الثياب المخرقة ويحلقون لحاهم ويوهمون أنهم موسوسون وأن المرار غلب عليهم فيروون ما يريدون من فضائل أهل البيت وينسبهم العامة إلى الجنون فلا يؤاخذونهم بما يقولون ويأخذون من الشيعة ما يريدون .

ومن يكحل من مستعرض دمعته تجرى

ومن يكحل : هو الذى معه قطنه مغموسة فى الزيت يمرها على عينيه لتدمع ويأخذ فى شكاية حاله واستعراض الناس فى مسألته وذكر قصته ، وأنه قطع عليه الطريق أو غصب على ماله ، والمستعرضون أمهر القوم .

وفى الموقف منا كل جبار أخى الصبر

كل جبار : هو الذى يقف فى المقام قائما أو قاعدا ولا يبرح أو يأخذ ما يريد

متى يحف [يقل] بشبا شة الخشنى فى خصر

البشباشة : النحية ، والخشنى : الذى لا يكدى ، وهو عندهم عيب كبير .

وقراع أبي موسى لديه دبة البزر

وفراع رأس أبي موسى : هو الخشنى ، يقول : إن رأس هذه السفلة عنده أهون من دبة البزر استخفافا به وبجفائه .

ولا ينطس أو يلحـــن ما يطلب بالقسر
وجـــرار عيـالات عليهم أثر الضر

ولا ينطس : لا يذهب ، أو يلحن : يعطى . وجرار عيالات : هو الذى يكترى الصبيان والنساء ويكدى عليهم .

ومن ينفذ سبحات وحلوى وأبا شـكر

ومن ينفذ سبحات : هو الذى يطرح عـلى أبواب الحوانيت السبحات وأقراص الحلوى ، فمنهم من يعطى ويرد عليه ، ومنهم من يلق الملح ، ويقال للملح : أبو شـكر .

ومنا حافر الطرس بلا خرط ولا جهر

حافر الطرس : هو الذى يحفر القوالب للتعاويذ فيشتريها منه قوم أميون لا يكتبون وقد يحفظ البائع النقش الذى عليه فينفذ التعاويذ إلى الناس ويوهم أنه كتبها ، ويقال للقالب : الطرس .

وبركـوش وبركـك ومعطى هالك الجزر

بركوش : هو الذى يتصامم ويقول للانسان تكلم على هذا الخاتم باسمك واسم أبيك فيسمع ما يقول وبنبئه به ، وبركك : هو الذى يقلع الأضراس ويداوى منها ، والهالك : الدواء ، والجزر : البصر ، ويقال للعين : الجزارة .

ومن قرمط أو سرمـــط أو خطط فى سفر

قرمط : هو الذى يكتب النعاويذ بالدقيق والجليل من الخط ، وسرمط : كتب ، والسرماط : الكتاب .

وحـــراق وبزاق بى الشخير والنشر
ومن ذكر والقوم الــزكوريون فى الصــدر

الحراق : الذى نكون معه مرآة تشعل منها النار وتسمى حراقة والبزاق : الذى يرقى المجانين وأصحاب العاهات ويتفل عليهم ، ذكر : كدى على الأبواب ، وهو من أجلائهم .

ومن دهسم بالـكرش ويسنبرد فى النهر

ومن دهشم : مخرق ومموه بأنه صائم ، والكرش الصوم والجوع أيضاً ويكون قد أكل فى منزله فإذا عطش نزل فى النهر بعلة الاستبراد وسرب ما أراد

ومن يعطى الضمانات من الزنــكاه العفر

الزنكلة والعفر : واحد ، وهم المعافرون يأخذون الحجيج ويضمنون الجنة

ويشرى عش رضوان بنـــذر الثمن النزر

ويشرى عش رضوان : يعنى أنه يقول : إن لم أحج عنك فخطى من الجنه وقف عليك اللهم اشهد بشراء البيع ، والعش : البيت ، يريد به الجنه .

ومن حنن كفيــه وحف الطست كالحر

حنن : هو الذى يخضب كميه بالحناء ، وحف شاربه فيتركه كالطست المجلوة وكالحر المنتوف ، فيدعى أنه من الصوفية العلماء الزهاد فيتشبث به لذلك

ومنا الشيخ هفصويه ويحيى وأبو زكر

هفصويه : هؤلاء الذين سماهم قوم نبط وعجم ، يكدون ولا يتكلمون بالعربية .

ومن كان على رأى ابـــن سيرين من العبر

ومن كان على رأى ابن سيرين : هؤلاء من الصراء يعبرون الرؤيا ويكدون من هذه الجهة .

وشـــكاك وحـكاك ومعطى بلح الأجر

الشكاك : الذى يبيع دواء الفار واسمه الشك ، والحكاك : الذى يـكون معه حجارة محمولة من دربند يظهر فيها الحديد من الدراهم والدنانير . يقـال للواحد منها المحك ، بلح الأجر : هو السبح التى تحمل من الجبل يقال لهـا دموع داود عليه وعلى نبينا أفضل الصلاة وأتم السلام .

وسمقون عليه السر مل الـكحل وذو الغزر

سمقون : الصبى الذى يأخـــذ بيد الضرير يوهم أنه ابنه ، والسرمل : القميص المخرق .

ومن ربى ومن فتى وأجرى عقـــد الزر

ومن ربى : هؤلاء قوم شطار يقولون بالصاحب والغلام فيربون الصبيان

ومنـا قافه الرزق وأهـــل الفال والزجر

وقافة الرزق : قوم يتعاطون التنجيم .

ومن يعمل بالزيج وبالتنور والجـــفر

الجفر : الذى يكون بين أيديهم على هيئة الفلك يدور .

ومنـــا النشتداريو ن تحت الرحـل كالحمر

والنشتداريون : قوم يستأجرهم المـكدون الذين يخرجون إلى القرى فيحملون رحالاتهم وما يجمعون بها من الحب والصوف وغيره .

ومن مرق فى مصطـــبه الفتيان فى قـدر

ومن مرق : يطبخون المرق فى دار القوم فيبيعونها من المرضى والضعفاء منهم

ومنـــا كل مراس جسور جاهل هزر

المراس : الحواء معه سلال فيها حيات .

يرى الخش فيأنيـــه بلا خوف ولا ذعر

الخش : الأفعى .

فيستل الذى يخشا ه من شصوصنه الخزر

الشسوص : الأنياب يقلعها ويترك واحدة .

ويبقى منـه ما يصـــلح المحنـة والسبر

فقـــد أنزل فيه ملك الموت عـلى قبر

فهذا هالك لسعـا وهذا كفه يبرى

وقد يلتمس الخبز بمكروه من الأمر

ومنا كل نطاس على البزرك مستجرى

النطاس : القوى القلب من الدستكاريين تراهم عـلى الدواب ومعهم الكلاليب والمباضع يداوون الرمدى وغيرهم من الأعلال ، والبزرك: المواضع

ومنا كل من شرشـــر بالهلاب والـكسر

الترشرة : القمار ، والهلاب : الثياب ، والـكسر : الدرهم والمرجان والدينار

إذا حاف عليـه بخـــته سقف بالنحر

وحاف عليه : يعنى أنه إذا قمر فانقلب الفص عليه رفع طرفه إلى السقف ونحر نحو السماء وتكلم بالـكفر .

ومنا كل إسطيل نقى الذهن والفـكر

الإسطيل : الأعمى[1]

ومنا كل سباع عظيم الليث والببر

ومن قرد أو دبـــب من كل فتى غمر

(١) فى شفاء الغليل « الاصطيل ـ بالصاد ، بلغة أهل الشام ـ الأعمى »

ومن فرد أو دبب : هم الذين يكدون على الدببة والسباع والقرده .

وسمان ووسنان ومن فتت كالسكبر

والسمان : الذي يعطي النساء دواء السمن . والسنان : الذي يعطي دواء الأسنان ، وفتت : أكل القت بين أيدي الناس كالجمل .

ودكاك السفوفات لريح الجوف والخصر

الدكاك : الذي يرقي من القولنج ، ويكون معه حب مصنوع يحتال حتى يبلعه العليل فيزعم أنه انحل بالرقيه .

ومنا ذو الوفا الحر المدلج ذو السكر

والمدلج : الذي يأخذ حاجته من البقال والجبان ويحصل عليه أجرة الشهر لبيته فيهرب ليلا ويفوز بما يلزمه أداؤه .

ومنا شعراء الأر ض أهل البدو والحضر

ومنا سائر الأنصا ر والأشراف من فهر

ومنا فيم الدين المطيع الشائع الذكر

يكدى من معز الدو لة الخبز على قدر

ومن يطحن ما يطحن بالشدة والكسر

ومن يطحن : هم الذين يطحنون النوى والحديد والزجاج بأيديهم وأضراسهم

ومطلى دم الأخ مع المصموغ كالبثر

ومطلى دم الأخ : هم الذين يضربون دم الأخوين والكثيراء والصموغ وينفخونها على أجسادهم فتخرج بهم بثور يمرضون منها فيكدون .

ومنا كل مشقاع من الفتيان كاللغر

المشقاع : الأرعن الذي يكترى الثياب البيض ويلبسها . واللغر : هم السفل من الناس .

يلذ الشورر الوجدا ن بالخبـ وبالمـكر

الشورز : الأمرد . وبلذ : يدور به العرب من المـكدين فيؤدبه ، ويقول : هذه الفتوة ، ولا يجوز أن تـكون وحدك ، فإما أن تصبر غلاما لأحدنا وإما أن تخرج من دار الفتيان ، فإذا صارمع أحدهم طبخ له قدر الدسكرة . ويقال للقدر بما فيها : الخشوب .

إلى أن يأكل الخشبو ب كرسا أكل مضطر

وما فى البيت غير الســت أو بارية القفر

وما للشوزر السوء سوى العيلة والعـدر

وأن يصميه حـــتى تراه طافح السـكر

يصميه : يسقيه الصمى ، وهو الخمر

فتجرى فيه كيذات الــبهالبل ولا يدرى

الـكيذات : الأيور . البهاليل · رؤساء المـكدين

ومنا سعفة الريح لضرب الـكلب والهر

وسعفه الريح : قوم يرعدون رعدة شديده تهتز لهـا مفاصلهم وتصطك أسنانهم ، ويقول أحدهم : إنه قتل سنورا أو كلبا فلطمته الجن

وذو القصعه والمسرا د والمـكناس والعشر

وذو القصعة والمسراد : هؤلاء قوم ينخلون التراب فى الطرق ويعلقون على أنفسهم القصاع ويغسلون الأسواق بالماء ويخرجون إلى البيادر فليقطون القصرى وهو ما بقى فى السبل من الحب [بعد أن يداس]

وفى الأسواق والأنها ر والسـدر والقصر

ومن يقرأ بأسبع وإدغام أبى عمر [و]

وأصحاب المقالات من الفــاجر والبر

ومن علاقة ركبت الـــبار مع الصقر

ومن علاقة : هذه امرأة تتزوج بمن يحسن أن يكدى فيشد يدها بمجموعة الأصابع ويدعى أنها مقطوعه ويسمى البار ، وربما عوجها كأنها مفلوجة ، والصقر : هو أن يشد عينها ويقول : إنهـا رمدى أو عوراء ويقال لها أيضاً النعلة

ومنا الـكابليون ومن يلعب بالجمر
ومن يمشى على الحبل ومن يصعد بالبـكر
ومنا الزنج والزط سوى الـكباحه السمر

والـكباجة : اللصوص ، كبج إذا سرق

ومنا من صما يوما فقـد هرب فى المصر

ومنا من صما : يقول إن من شرب ما الخمر وعرف به فقـد أفسد على نفسه البلد ، والشيء الردىء الفاسـد يقال له الهريب ، والشيء الجيد يقال له الـكسيح .

وما كل ذى سمت خشوع القن كالحبر
يرى وراه با كيأ دمعته تجرى
فإن كبن فى السر فبالمذقان يستذرى

كبن حرى . والـكبن الاسم منه ، يقول : إنه يظهر الورع والزهد فإذا خلا المسجد وأخذه البطن يخرى تحت السارية أو خلف المنارة ويمسح استه بالمذقان وهو المحراب

وإن كرس لا والـلـــه لا تم إلى الظهر
ومن صاح بآمين من المزلق والذعر

من المزلق : يريد هؤلاء العراة ، الواحد مزلق . يصيحون بآمين من الأسواق

سخام القص هد نقـــعهم متل بى النمر

سخام القصى : سواد الأتون

فذا بقالنا سطل ودا أستأدنا خرى

فذا بقالنا سطل : يقول إذا صاحوا تأمين دعوا على أصحاب الحوانيت ذا بقالنا أعمه يارب

وذا فصابنا عسم وذا البزاز لا تبرى

وعسم : من العسوم وهو المفلوج

ومن ردهم غلـــف من غالية الحجر
ومنا كل من يمـــرح فى الإسطيل كالمهر
ومن كدة بهلول تخطى ثم كالحجر

الإسطيل : الجامع . والكدة : المرأة التى تسأل الناس ومعها زوجها فى الجامع

ومن يخرج باليابـــس يوم الفطر والنحر

من يخرج باليابس : قوم يخرجون فى أيام الأعياد إلى المصلى عراة حفاة يكدون

ومنا من تمشى يمـــسح البلدان كالنسر
ومن يأوى المصاطيب مع المزلقة الضمر
ومن يأوى الشغاثات مع العقة فى الستر
وأصحاب التجافيف من التامولة الصبر

أصحاب التجافيف : قوم يأوون المساجد عليهم مرقعات كالتجافيف بعضها مركبة فوق بعض . يقال لهم التامولة الصبر اصبرهم على شدة فقرهم

وأصحاب الشقاعات من المشاطح العكر

الشقاعات : جمع شقاع ، وهو الوطاء إذا كان من ألوان أو لون واحد يكون مع جنس منهم ، فيدورون فى المواضع ويبسطون الشقاع ويصلو ن

عليها ولا يأوون إلى موضع فلهذا يقال لهم : المشاطح ، لأن المشطح هو الذى يطوف دائبا لا يفتر .

بنو التصريب والتدريـــب والتفتيق والأطر

بنو التضريب والتدريب : قوم ليس لهم عمل إلا جمع الخرق معهم فهم أبدا فى رتق أو فتق

ترى للقمل فى كل شقاع ماتى وكر

ومن دج فى الثلج وفى الوحل بلا طمر

دج : إذا قام فى البرد

ولا ينظر إلا كا لحا ذا نظر شزر

فلا يبرح أو يأخـــذ ما يأخـذ بالصقر

وفى الغميز منا فتـــية من رغل فدر

هم بيت المشاميل مع القنابر الحمر

المشاميل : الرغفان ، واحدها مشمول ، والقنابر : جمع قنبرة ، وهو الـكسرة من الخبز

غدوا مثل الشياطين عليهم أثر الفقر

فيـأتون سربازا ر كالقفيا من المجرى

بربازار لأنه دو ألوان ، والقفيا : هو حز السبيل الذى يجريه الأعلاء على الفقراء والضعفاء فيكون لهم رجل مجرى

وعبوه أنابير من الزغبل والبر

وعبوه أنابير : يعنى أنهم إذا جمعوا الخبز حعلوه كالأنبارات بين أيديهم من ألوان وكل ما خالف الحنطة فهو الزغبل ، ثم يتقاسمون مايجتمع لهم منها

كما يقسم السد ر بالقفزان والـكسر

وظلوا يمننون على مالك بالعسر

وخصوه بجوازات ونصف لجلة تمرى

وخصوه بجوازات : يعنى أن ما يبقى من المأكول يجعلونه لصاحب الموضع ، وإن كانوا فى أتون جعلوه للوقاد

سقى الله بنى ساسا ن غيثا دائم القطر
ترى العريان منهم ظا هر السمرة والخطر
كنمرود بن كنعان فوى الصدر والأزر
رجال فطنوا للتقـــل والأغلال والإصر
خلنجيون ما حاضوا ولا باتوا على طهر

الخلنجى : الذى يخرى ولا يغسل أسته . ما حاضوا : أى ما تطهروا

رأوا من حكمة خرط الـــقلادات مع العذر
يقولون لمن رقى تحول فنا تزرى
وراحوا خارج الدار بوارية مع الحصر
فحيثما أكثروا قالوا من الخنثى لا نكرى
إذا ما سمروا القشقا ش دا العنون والزجر

سمروا القشقاش : أى رأوه وهو الشيخ الطويل اللحية ، ذو الزجر العالم المتقشف الورع

لفوه بتارات من الندق والنسر
وحبوه بآلاف من القنادر المطر

يعنى أنهم إذا رأوا شيخا يأمر بالمعروف وينهى عن المنكر ضرطوا عليه ، والقنادر : الضراط والمطر : الذى لم ينضج بعد ، من المطير . ويصيح الواحد إلى الآخر سدوه نسره و بصرط

وكم من الغرائب ومن السح والقمر

ألا إنى جلت الدهـــر من شطر إلى شطر
وجبت الأرض حتى صر ت فى التطواف كالخضر
وللغربة فى الحر فعال النار فى التبر
وما عيش الفتى إلا كحال المد والجزر
فبعض منــــه للخير وبعض منـــه للشر
فإن لمت على الغربـــة مثلى فاسمعن عذرى
أمالى أسوة فى غر بتى بالسادة الطهر
هم آل الحواميم هم الموفون بالنذر
هم آل رسول اللـــه أهل الفضل والفخر
بكوفان وطنى كر بلاكم ثم من قبر
وبغـــداد وسامرا وباخمرى على السكر
وفى طوس مناخ الركب فى شعبان فى العشر
وسلمان وعمـــار غريب وأبو ذر
قبور فى الأقاليم كمثل الأنجم الزهر
فإن أظفر بآمالى شفيت غلة الصدر
وأممت بأوطـان قوى النهى والأمر
وقد تخفق فوقى عـــزة ألوية النصر
وإما تكن الأخرى وعز جائز الكسر
فلا أبت مع السفر غـــداة أوبة السفر
ولا عدت متى عدت بلا عز ولا وفر
وحسبي القصب المطحو ن فيه ورق السدر
وأثواب تواريني من الإيذاء والأزر

* * *

أبو القاسم عبد الصمد بن بابك

شاعر شعاره إحسان السبك ، وإحكام الرصف ،وإبداع الوصف ، يشبه كلامه مرة فى الجزالة والفصاحة كلام المفلقين، من الشعراء المتقدمين، ويناسب تارة فى الرشاقة والملاحة قول المجيدين ، من المحدثين والمولدين . وهو القائل فى وصف شعره [من الوافر] :

أزرتك يا ابن عباد ثناء كأن نسيمه نشر براح
ولفظاً ماهب الحلى الغوانى وأهدى السحر للحدق الملاح

وله فى استعطاف الصاحب [من الخفيف] :

أى جرم لواثق بك راجى خبطته غوارب الأمواج
وطنى أنت والمكارم زادى فلمن أزجر القلاص النواجى
فارع يا كافى الكفاة ثناء نفث السحر فى العيون السواجى
لو أزرت الحراب ملعب طوقى لارتشفن الثناء من أوداجى
أنا مذ حرقت سمومك ظلى جمرة فى شواظك الوهاج
لا تقابل زيارتى بازورار ومجاجاً عسلته بأجاج
ليس فى الشرط جنس حظى فوقع فى عيون الحساد بالإخراج

وكان أيام الصاحب يشتى بحضرته ويصيف بوطنه ، كما قال من قصيدة جرجانية يتسحب فيها على كرم الصاحب ويقرع باب استبطائه ويستأذنه للعود إلى بلده [من الوافر] :

ألا يا أيها الملك الرءوف إلى كم يعصى بالنفس اللهيف(؟)
أأسحب فى ذراك فضول ذيلى ويسحب ذيل نعمتك الضيوف
فإن يملك سواى عنان حظى ولى من دونه اللفظ الشريف
فكل مطرف مال ، ولكن تعود بها إلى القيم الصروف

لوانى عن طريق اليأس أنى … على ثقة بأنك لا تحيف
فخز إرث الزمان وعش حميدا … يناخ ببابك الهم العكوف
وحادث بالسراح أخا اشتياق … يلاعب ظله جسد نحيف
له بالريف من جرجان مشتى … وبالنخلات من غمى مصيف

وقرأت للصاحب فصلا فى ذكره واستملحته ، وهو : وأما ابن بابك . وكثرة غشيانه بابك ، فإنما تغشى منازل الكرام ، والمنهل العذب كثير الزحام .

قال مؤلف الكتاب : وقد كانت تبلغنى لمع يسيرة من شعره فتروقنى وتشوقنى إلى أخواتها ، حتى استدعى أبو نصر سهل بن المرزبان من بغداد مجموع شعره كعادته فى استنساخ الظرف واستجلاب الغرر ، وبذل النفائس فى استحداث الملح ، فأهدى إليه ابن بابك مجلدة من شعره بخطه يسحب ذيلها على الروض الممطور . والوشى المنشور . واللؤلؤ المنثور . فلم أدر الدفتر أملح أم الخط أحسن أم الشكل أصبح أم اللفظ أبرع أم المعنى أبدع ، وجمعت يدى منها على الضالة المنشودة ، والغريبة الموجودة ، فأخرجت منها غررا ما هى إلا أنس المقيم وزاد المسافر ومنية الكاتب وتحفة الشاعر ، كقوله فى وصف الشراب من قصيدة [من الطويل] :

عقار عليها من دم الصب نفضة … ومن عبرات المستهام فواقع
معودة غصب العقول كأنما … لها عند أرباب الرجال ودائع
تحير دمع المزن فى كأسها كما … تحير فى ورد الخدود المدامع

وقوله من أخرى فى وصف إضرام النار فى بعض غياض طريقه إلى الصاحب [من البسيط] :

ومقلة فى مجر الشمس مسحبها … أرعيتها فى شباب السذقة الشهبا
حتى أرتنى وعين النجم فاترة … وجه الصباح بذيل الليل منتقبا

وليلة بت أشكو الهم أولها | وعدت آخرها أستنجد الطربا
فى غيضة من غياض الحزن دانية | مد الظلام على أرواقها طنبا
يهدى إليها مجاج الخمر ساكنها | فكلما دب فيها أثمرت لهبا
حتى إذا النار طاشت فى ذوائبها | عاد الزمرذ من عيدانها ذهبا

ومنها :

سرقت منها ونحر الصبح مبتسم | إلى أغر يرى المذخور ما وهبا
ذو غرة كجبين الشمس لو برقت | فى صفحة الليل للحرباء لانتصبا
يا أغزر الناس أنواء ومحتلبا | وأشرف الناس أعراقا ومنتسبا
أصبحت ذائقة بالوفر منك وإن | قال العواذل ظن ربما كذبا
إن المنى ضمنت عنك الغنى فأجب | فالبحر يمنح فضل الرى من شربا
فحسن ظنى قد استوفى مدى أملى | وحسن رأيك لى لم يبق لى أربا

ومن أخرى [من الوافر] :

حجبت وما حجبت عن الصباح | وليل الصب ممطول البراح
وبات السقم يكمن فى عظامى | كمون الموت فى حد الصفاح

ومنها [من الوافر] :

كسوت الحمد ذا عرض مصون | يمتع فى حمى مال مباح
مزوح اللفظ مجدوع العطايا | جموح العزم مجنون السماح
إذا اشتجرت على الملك العوالى | هززت أصم موسى الجناح
يريق على الظبا ريق المنايا | ويكحل بالردى مقل الرماح

وقوله من أخرى يمدح ويعاتب ويستبطىء [من الوافر] :

أرى الأيام تسرف فى عقابى | ودون رياضتى شيب الغراب
ألا يا عامر الآمال مالى | أسير الطرف فى أمل خراب

أموت مطارح الأمل اسطارا وأسرح بين سقم واغتراب
أراع ولا أراعى والأمانى اقى بين اكتئاب وارتياب
وكم كسر جبرت فكان طوقا على نحر الدعاء المستجاب

وقوله من أخرى [من الطويل] :

لقد نشر السرور وشد على الربا من النور لم نظفر به كف راقم
كأن ابن عاد سقى المزن نشره لجاد برشاش من الوبل ساجم

ومن أخرى يهنئه بالأضحى [من الطويل] :

ليهنك عيد لو سامحت سعوده لما اقترحت إلا سماءك مطلعا
فضح بمن ماطلته عده الردى فما أكتن صدر السيف إلا ليقطعا

وله من قصيدة يذكر خلعة أمر له الصاحب بها [من المنسرح]

وخلعة فاجأت بلا عدة من منعم فى عطائه سرف
علت لسانى عن الثناء فما يجرى ولكن لشأنها يصف

ومن أخرى [من الكامل] :

أقبلت فى شرف اللباس وأبلسوا نظر العفاة إلى انقضاض الجارح
انشو من خلع الفخار عمامة ورقاء تهزأ بالكثيب البارح
ومزرر الأردان بافلى الصبا وافتر عن سمطى شتيت واضح
كالزبرقان تهافتت أنواره ليلا بمضطرب الخليج السائح
ومهلهل البردين نازع عطفه علم كمنعطف العذار الجامح
لأنلتنى شرف المقام ، ورعت فى فلك الزمان ، وصنت وجه مدائحى
لله منزلنا التى من شأنها جر الرماح على السماك الرامح

ومن قصيدة فى فخر الدولة [من السريع]

حلقت يقظان مروح العنان موقر الجأش جموح الجنان

لا أظلم الدهر فقد سرنى وعشت من أحداثه فى أمان
فإن تكن أيام دهرى خلت فشأن أيامى البواقى وشانى
لقد نفيأت ظلال الصبا وصم عن طاعتى العاذلان
واستوقفت طرفى خصور الدمى وانتهبت عقلى حضور الدنان
أفتق جلد الليل عن ضوئها والصبح كالنار خلال الدخان
يسعى بها فى سقطات الندى أغن معقود حواشى اللسان
مروع المقلة طاوى الحشى مؤنث الدل مريض البنان
مقرطق تنفر أذياله عن موجه يجذبها غصن بان
مزنر يقلق سرباله كأنما زر على خيزران
فى يده شمطاء مقتولة ترفل فى ملحفتى أرجوان
إذا استدارت فرقا صرحت عن شرر وابتسمت عن جمان
إذا طغا لؤلؤه خلته طلا على أرض من الزعفران
تذكرنى أنفاسها سحره والليل والصبح طليقا رهان
نشوة أنفاس الأمير الذى أدرك ما شاء برغم الزمان

لم يحسن فى تشبيه طيب رائحة الشراب بنفس الممدوح وهو ملك معظم . لأنه إنما يشبه بنفس المعشوق ، وقد مر مثل هذا النقد فى شعر المتنبى، وكان ينبغى أن يقول :

نسيم أفعال الأمير الذى أدرك ما شاء برغم الزمان

رجع :

يا فلك الأمة در بالذى تهوى فقد دان لك المشرقان
مقبل الراحة ما صورت كفاه إلا للندى والطعان
فالحزم والعزم له عدة والمال والسيف له خنتان

قد رقم النيروز وشي الربا ... فارقم حواشي جامك الخسرواني
واقتبل اللذات واستدعها ... باللهو والقصف وعزف القيان
واجتل وجه الراح في روضة ... تبسم عن مثل وجوه الغواني
وارع رياض العز في غبطة ... واسكن مدى الأيام ظل التهاني

ومن أخرى في مهرجانية [من الوافر] :

أيا شاهانشاه صل الأماني ... بتجديد البشائر والتهاني
فقد جرت السعود وجاء يحدو ... سبوت الدهر سدت المهرجان
وإن طفت المثالب والمثاني ... فعاتبها بقهقهة القناني
فقد برد النسيم وجاء يسعى ... بها خصر المراشف والبنان
فلا عدمت يداك سقبط مزن ... يصفق بالرحيق الخسرواني

ومن أخرى يصف مجلس إملاك نثرت فيه الدنانير [من الوافر] :

وهز العقد متن الأرض حتى ... كأن قد أشربت حلب العصير
وأرسلت السماء رشاش تبر ... شتبت الورق كالورق النثير
لقد أمطرتها دهبا ولكن ... جلوت الشمس في يوم مطير
كواكب زرن وجه الأرض حتى ... لقد أذكرتنا عام الحرير

ومن أخرى [من البسيط] :

يا ساقيي فضبب الرند ريان ... والبدر ملتحف والصبح عريان
وللصبا عثرات لا تقال ، وفي ... سجع الحمائم ترجيع وإرنان
فغاليا نفثتي بالراح واختلسا ... عقلي فقد نفح النسرين والبان
واسترجعا لمي واستنفدا طربي ... قبل الشروق فللأطراب أوطان
وعرضا بهوى لبنى فلي ولها ... وللزجاجة أن عرضتما شان
اليأس وردي إذا سحب المنى هطلت ... والصبر زادي إذا أهل الحمى بانوا

ها إن حلبة أرض الله شوط فتى ... فى بسطتى يده بطش وإحسان
لله ثم لشاهنشـاه خلفتها ... ما طل فى رملات القاع حوذان
إن كان للفلك العلوى مرتـكض ... فيها فللفلك الأرضى سلطان

ومن أخرى فى أبى على الحسن بن أحمـد لما تقلد الوزارة هو وأبو العباس الضبي على سبيل المشاركة والمشاطرة [من الكامل] :

برق الثناء وشق ذاك القسطل ... وجرى عنانك والسماك الأعزل
ورآك للتشريف أهلا فاجتبى ... بوفائه ملك يقول ويفعل
فأعرت شطر الملك ثوب كماله ... والبدر فى شطر المسافة يكمل

أنظر إلى حسن وصفه لوزارته المشتركة . وتدبيره نصف المملـكة لفخر الدولة .

ومن أخرى [من البسيط] :

ذنبي إلى الدهر أنى ما خضعت له ... ولا طويت له ثوبى عـلى درن
قد كنت أوقف من عنس على طلل ... فصرت أسرع من عذل على أذن
هذى بقية نفس فارقت وطنا ... وفرقة النفس تتلو فرقه الوطن
نقلت عن عقر دار كنت آلفها ... إلف القرارة صوب العارض الهتن
حتى ترنحت فى أفياء دولتها ... ترنح الظل بين الماء والغصن
فالآن قصر باعى وانتهى طربى ... وشمرت فى عقابى سطوة الزمن

وقوله من أخرى [من الخفيف] :

رب ليل مرقت من لحمتيه ... أنا والعيس والقنا والبروق
ورقاد كخفقة النبض يغشى ... مقلة راعها الخيـال الطروق
واستهلت لمصرع الليل ورق ... ثاكلات حـدادها التطويق
فتضاحكت شامتاً وكأن الـ ... ـصبح جيب على الدجا مشقوق
سبك الشرق منه تبراً مذاباً ... لفرند الشعاع فيـه بريق

وتمشت على الرياض النعامى — وتثنى هده القضيب الرشيق
فكأن التراب مسك فريك — وكأن الأصيل صبح فتيق
ليس إلا تطرف العيش حتى — يتوشى لك المراد الأنيق
إنما العيش رنة من حمام — وسلاف يشجه معشوق
ومهب من الشمال عليل — ووشاح من الرياض أنيق
وملاء من الشباب جديد — ورداء من النسيم رقيق
وجمال من الرذاذ نثير — فى مروج تراهن خلوق
لا ترد مشرع الصبابة فاليأ — س رفيق إذا استقل الفريق
شافه الهم إن طغى بحريق — سله من زناده الراووق
صفقته يد كأن عليها — صدفاً فيه لؤلؤ وعقيق

وله أيضا [من السريع] :

لم أرض باليأس ولكننى — أسوف الخسران بالربح
تألفنى خطرات المنى — تألف المسبار فى الجرح

ومن أبيات فى غلام يشتكى من قروح به [من البسيط] :

يا أيها الرشأ الموفى على شرف — ماذا دعاك ولم أدب إلى ملق
لا تشكون قروحا آلمتك فقد — سرقتها من فؤادى الهائم الدنف
أحب منك وإن لج العواذل فى — لومى دلال الرضا فى نخوة الصلف

ومن أبيات فى الاعتذار من ترك التوديع [من السريع] :

إن لم أودعك فعن عذرة — فإن إليها أذنا واعيه
قرت بك العين فنزهتها — عن نظرة ليس لها ثانيه

* * *

أبو إبراهيم إسماعيل بن أحمد الشاشى العامرى

قد كان يقع التعجب من إخراج الشاش مثل أبى محمد المطرانى فى حسن شعره وبراعة كلامه ، فلما أخرجت من إسماعيل من ألقى إليه القول الفصل زمامه ، وملكه المعنى البديع عنانه ، كان كما قيل : جرى الوادى فطم على القرى وهو أحد الأفراد بحضرة الصاحب ، وممن رفعتهم سدته ، وشرفتهم خدمته . ولولا أن الفالج أبطله الآن ، لكان قد بلغ من التبريز أعلى مكان . ولكنه بالرى لقى . وفى طريق المنية لقى . وعنده بقية مما استفاده فى أيام الصاحب تتماسك معها حال معيشته . وتنزاح بها علل نفسه . وهذا أنموذج من شعره قال فى الصاحب من قصيدة شبب فيها بشكاية الإخوان وذكر مرضا عرض للصاحب [من الطويل] :

سرينا إلى العليا فقيل كواكب ... وثرنا إلى الجلى فقيل قواصب
وفاضت لنا فوق السنين نوافل ... فما شك محل أنهن سحائب
خلقنا أشداء القلوب على الهوى ... فما تزدهينا الآنسات الربائب
فمن دأبه منا نحول ودقة ... فمما حى أحبابنا لا الحبائب
أبيت أنادى الدهر جدلى بصاحب ... وجل طلاب الدهر ما أنا طالب
فما جاد لى منه بغير مجانب ... وآخر خير منه ذاك المجانب
خليل تحامته الأباعد والتوت ... على مهج الأدنين منه العقارب
عقارب لا يجرحن غير مودة ... فهن لحبات القلوب لواسب(١)
وما كان ظنى أن تبين شبيبتى ... وإن بان جيران وشطت أقارب
فمذ راعنى سرخ الشباب بعرفه ... تيقنت أن لا يستدام مصاحب

---

(١) لواسب : جمع لاسبة من اللسب وهو اللدغ ، إلا أنه عام فى الحية

أخلاى أمثال الكواكب كثره ... وما كل ما يرمى به الأفق ثاقب(١)
بلى كلهم مثل الزمان تلونا ... إذا سر منهم جانب ساء جانب
مضى الود والإنصاف والعهد منهم ... فما بقيت إلا الظنون الكواذب
وكنت أرى أن التجارب عدة ... فخانت ثقات الناس حتى التجارب
تدرع لإخوان الزمان مفاضة ... ولا تلقهم إلا وأنت محارب(٢)
إذا لم تكن مندوحة من مصاحب ... فسيف ورمح والفلا والركائب
فهن إلى وفد الخطوب كتائب ... وهن إلى كافى الكفاة صواحب
إلى ملك مذ أشرقت شمس جوده ... تبسم فى وجه الرجاء المطالب
إلى من حمى عود العلا فهو ناضر ... ورد إليه ماءه وهو ناضب
إلى من رعى بالجود سرب نعيمه ... فلا تتمطى فى ذراه النوائب
وكل نعيم لم يعوذ بشاكر ... تفنن فيـــه للذهاب مذاهب
لعمرى بنى عاد المجد راسيا ... ولـكن لإسماعيل منه المناكب
زرارة لم يحلل بواديه مفخر ... ولـكن حوى غر المفاخر جانب
وحلت قريش فى اليفاع بهاشم ... وإن كان سباقاً إلى المجد غالب
فديناك يا كهف البرية ما الذى ... أعار المعالى سقمك المتناوب
عليها من الإشفاق ثوب كآبة ... وحطب يدانيه الضنى متقارب
وفى كل دار للأرامل ضجه ... بأدعية ضوضاؤها متجاوب
ولو شئت تأديب الليالى فعلته ... فلم ير منها فى جنابك خارب(٣)
ولم تقرب الحمى حماك ، ولم يكن ... اسورتها فى سورة المجد سارب

---

(١) الثاقب : المرتفع على النجوم ، أو اسم رحل
(٢) المفاضة : الدرع الواسعة
(٣) الخارب : اللص

وحوشيت أن تضرى بجسمك علة ... ألا إنها تلك الغروم الثواقب
ولاعج تدبير وجائش همة ... سرى منهما بين الجوانح لاهب
فلا تعذروها أن رأت أشرف الورى ... وحلت به فالحر فى الشمس ناشب
لقد كانت الأيام حجب شمسها ... دياجى هموم دجنها متراكب
فلما انتضاك البرء عادت كأنها ... غياهب بأس قشعتها مواهب
نظرت إلى دنياك نظرة قادر ... فلم يبق فيها سائل ومغالب
سواى فإنى سائل أن تغب لى ... سحائب نعمى كلهن رغائب
فما فى لسانى شكر ما أنت منعم ... ولا فى بنانى حصر ما أنت واهب
أنلنى بقدرى لا بقدرك ، إنما ... تجود على قدر الأتى المذانب

وقال من أخرى [من البسيط] :

مستوقفى بين ذل الصد والملل ... لا حظ لى منك إلا لذة الأمل
أرضى بطيفك بل أرضى بذكرك أن ... يتلى وذكراى مقرونين فى الغزل
لا ترحلن فما أبقيت من جلدى ... ما أستطيع به توديع مرتحل
ولا من الغمض ما أقرى الخيال به ... ولا من الدمع ما أبكى على طلل
نعم لى العزمة الغراء إن وخدت ... لم تحتفل بوجيف الخيل والإبل
تحوى مرادى على رغم العواذل من ... رب الأكاليل لا من ربة الكلل
قد زدت ياليلة التوديع فى حزنى ... ولم تزل يا صباح الوصل فى جذل[1]
وأنت يا جسداً لج القضاء به ... حتى برته يد الأوجاع والعلل
كيف احتملت الضنا فى الظاعنين ضحى ... وكنت للشوق فيهم غير محتمل
عجبت أنى يحل السقم فى بدن ... لو شاء جاز الردى سراً من الأجل
لم يبق منه سوى قلب يقلبه ... فى مطلب العز بين البيض والأسل

(١) فى نسخة « ولم تزد يا صباح الوصل فى جذل »

مقسم قلبه فى كل مرحلة شوقا إلى العز لا شوقا إلى الغزل
نفسى الفداء إذا ما الروع صبحني للأعين الخزر لا للأعين النجل(١)
لله جسمى فما أبقى حشاشته على الحوادث والأسقام والوجل
يعدو سقامى على مثل الخيال ضنى ويقرع الخطب منى صفحة الجبل
ولا يرى فى فراشى عائدى شبحا ويحمل الدرع مسلوبا عن البطل
أنا المقيم وأشعارى على سفر كادت تؤلف أعلاما على السبل
سارت شوارد أوصاف الوزير بها سير الجنوب بصوب العارض الهطل
يروى القريض ولما يسم قائله فيشهد المجد أن المدح فيه ولى
إذا سهرت لتحبير المديح له راسلت طبعى ومن إحسانه رسلى
ما بعده لشذور القول مدخر فى مقلة الريم أعلى بغية الكحل
وما به حاجة فى المدح تنظمه الشمس تكبر عن حلى وعن حلل
لكنه ملك هامت عزائمه بالجود فهو يروم البذل بالحيل
ما قال «لا» قط مذ حلت تمائمه بخلا به فوجدنا الجود فى البخل
أولى الملوك بتدبير الممالك من يغنى ويقنى ولم يورث ولم يسل
ومن يبيت من الأيام فى خجل إن لم يبت والليالى منه فى وجل
ومن يطبق وجه الأرض عسكره يوم القراع ويلقى القرن فى الفضل
ومن يقود الأسود السود بالوعل ومن يصيد البزاة الشهب بالحجل
ومن يهم فلا يغزو سوى ملك ولا يفرق غير الملك فى النفل
يا راحلا عنه إن البحر معترض فما ورودك ظمآنا على وشل

---

(١) الخزر ـ بضم فسكون ـ جمع أخزر ، من الخزر محركة وهو كسر العين بصرها خلقة أو ضيقها وصغرها أو النظر كأنه فى أحد الشقين أو أن يفتح عينيه ويغمضها أو حول إحدى العينين ، والنجل : سعة العين .

لا تترك السيف مشحوذا مضاربه | وتطلب النصر عند الجفن والخلل
قــد وقر الدهر بالتدبير هيبته | وأرجف الأرض بالغارات والغيل
تجرى الجياد من القتلى على جبل | ومن دمائهم يرحضن فى وحل(١)
ومن جماجمهم يصعدن فى نشز | ومن ذوائبهم يقمصن فى شكل
تحملت صهوة أخرى شواكلها | من طول ماحملت سيباعلى الكفل
قوم إذا ابتدروا يوم الوغى فرقا | تكاد تعثر أخراهم على الأول
قوم أعفاء عن غير العدو فلو | غزون بالبحر لم يعلقن بالبلل
إن التحكم فى الدنيا بأجمعها | لمفرد الرأى أمر ليس بالجلل
يا من دعته ملوك الأرض راعيها | حاشا لما أنت راعيه من الخلل
إن الملوك على أيامنا مقل | فاخلق برأيك أجفانا على المقل

ومن أخرى [من الطويل] :

رأيت على أكوارنا كل ماجد | يرى كل مايبقى من المال مغرما
ندوم أسيافا ، ونعلو عواليا | وننقض عقبانا ، ونطلع أنجما
إلى من يسير الدهر تحت لوائه | وتركز أعلام العلا حيث خيما

ومن أخرى فى فخر الدولة [من البسيط] :

أما شبا السيف مسلولا على القمم | فقد حمدنا ولم نذمم شبا القلم
لا أشتكى الدهر والأيام من حولى | أسوسها والخطوب الربد من خدمى(٢)
فلو رمانى بعد النوم ناظرها | بريبة أطلقت أجفانها قدمى
فالآن أورد ذودى غير محتشم | وأزع الغرب ريانا إلى الوذم(٣)

---

(١) الرحض : الغسل .

(٢) الربد : جمع ربداء وهي هنا المنكرة .

(٣) الذود : ثلاثة أبعرة إلى العشرة ، أو خمس عشرة أو عشرين إلى ثلاثين . والغرب : الدلو العظيمة ، والوذم : آذانها .

ولا أؤاخذ أيامى بمـا صنعت   فى نعمة البرء ما يعفو عن السقم
فإن برتنى غواديها فلا عجب   على النفوس جنايات من الهمم
مازلت منغمس الآمال فى عدم   أو فى وجود يدانى رتبـة العدم
حتى طلعت وعين السعد ترمقنى   كالصبح منبلجاً عن حالك الظلم
آوى إلى ظل شاهنشاه من زمنى   كما أوى الصيد مذعورا إلى الحرم
زرت الملوك لتدنينى إليه كما   يبغى إلى الله زلفى عابد الصنم
خلفتهم وهم خطاب خدمتـه   ومثل مابى من وجد بهـــا بهم
يرون بى حسرات فى قلوبهم   لـكنما ثمرات السعى بالقسم
وكم نصحت لمن بغـداد موطنه   والنصح من أجلب الأشياء للتهم(١)
فكان ذا رمد لج الأساة به   وما أهتدوا أن يداووا عينه فعمى
هى القرابة من لم يرع حرمتها   فالسيف أولى به وصلا من الرحم
له تطاع ملوك الأرض قاطبـة   وللشباب تراعى حرمة الـكتم
حاشا له أن أسمى غيره ملـكا   وأن أمر بمضل الباز للرخم
كل يدل بأشباح يسوسهم   وما سـواه رعاة النهم لا البهم
ما قام بن سوق أهل الفضل لم يقم   لو أن ما دام من نعماه لم يدم
أعطى فأحيا موات الجود نائله   فالخصب من فعله والاسم للديم

ومنها فى ذكر تطهير ابنيه [من البسيط] :

أمسست شبليك فى حق الهدى ألما   لولا الهدى لسفكنا فيه أنف دم
جلوت سيفا ليرتاح الشجاع له   شـذبت غصنا لتنمى قامة النسم

وله من أخرى [من المتقارب] :

بلوت الليالى فلم يتزن   بأدنى الإسـاءه إحسانها

(١) فى نسخة « للبهم » ولعل ماذكر أصح

فلا تحمدنها على وصلها ... فنى نفس الوصل هجرانها

وأنشدت له [من مجزوء الوافر] :

تنكب حدة الأحد ... ولا تركن إلى أحد
فما بالرى من أحد ... يؤهل لاسم لا أحد

* * *

أبو حفص الشهرزورى

من ظرفاء الأدباء والشعراء ، ولشعره حلاوة ، وعليه طلاوة ، ولا عيب فيه إلا قلة ما وقع لى منه ، وكان فى بصره سوء فلما ورد حضرة الصاحب قدمه إليه بعض كتابه فجاراه الصاحب فى مسائل لم يحمد أثره فيه ، فقال له مداعبا [من مخلع البسيط] :

وكاتب جاءنا بأعمى ... لم يحو علما ولا نفاذا
فقلت للحاضرين كفوا ... فقلب هـذا كعين هـذا

ثم استنشده من ملحه ، فأنشده أبياتاً أعجب بها ، فلما أنشده [من المتقارب] :

دعوت على ثغره بالقلح ... وفى شعر طرته بالجلح
لعل غرامى به أن يقل ... فقد برحت بى تلك الملح

قال : نسجت على منوال جميل فى قوله [من الطويل] :

رمى الله فى عينى بثينة بالقذى ... وفى الغر من أنيابها بالقوادح

وما أحسنت بعض إحسان ابن المعتز فى قوله [من البسيط] :

يارب إن لم يكن فى وصله طمع ... وليس لى فرج من طول هجرته
فاشف السقام الذى فى جفن مقلته ... واستر ملاحة خديه بلحيته

ثم أنشده قوله [من الرجز] :

يستوجب العفو الفتى إذا اعترف ... بما جناه وانتهى عما اقترف
لقوله قل للذين كفروا ... إن ينتهوا يغفر لهم ما قد سلف

فأمر أن يكتبا فى سفينة الملح مع ما أنشده إياه

ومن قوله فى غلام مختط [من البسيط] :

الآن أحسن مما كان بستانه طابت فواكه فيـــه وريحانه
فيـه من الورد محمر جوانبه ونرجس كحلت بالغنج أجفانه
غطت عناقيد أصداغ مهدلة نفاح حسن به قدزين بستانه
خاف القطاف على بستان وجنته فشوكت حذر السراق حيطانه

وقوله [من مجزوء الكامل] :

حكت السماء ندى يديـــك فلم أطق سعيا إليك
وحكيتهـا يا سيدى بالدمع من أسفى عليك

* * *

بنو المنجم

قد تقدم ذكر بعضهم فى أهل العراق ، وهذا مكان من يحضرنى شعره منهم ، ومامنهم إلا أغر نجيب ، ولهم وراثة قديمة فى منادمة الملوك والرؤساء ، واختصاص شديد بالصاحب ، وفيهم يقول [من الكامل] :

لبنى المنجم فطنة لهبيه ومحاسن عجميه عربيـــه
ما زلت أمدحهم وأنشر فضلهم حتى اتهمت بشدة العصبيه

وضرب السلامى المثل فى السماع بأحدهم فى قوله لعضد الدولة [من الكامل] :

عبد رمى يفعا إليك مقشعا فالآن قد وخط المشيب عذاره
ولطالما أثنى عليك فظن أن بنى المنجم منطق أوتاره

* * *

أنشدت لهبة الله بن المنجم [من مجزوء الرجز] :

شكى إليك ما وجد من خانه فيـك الجلد
حيران لو شئت اهتدى ظمآن لو شئت ورد

يا أيها الظبي الذى ألحاظه تردى الأسد
أما لأسراك فدى أما لقتلاك قود
الراح فى إبريقها أحسن روح فى جسد
فهاتها نصلح بها من الزمان ما فسد

* * *

ولأبى عيسى بن المنجم [من الخفيف] :

آخ من شئت ثم رم منـه شيئا تلف من دون ما تروم الثريا

وسمعت أبا الفتح على بن محمد البستى ، يقول : أنشـدت لأبى عيسى [من الوافر] :

رغيف أبى على حل خوفا من الأسنان ميدان السماك
إذا كسروا رغيف أبى على بكى يبكى بكاء فهو باكى

فبنيت عليه قولى لبعض من أطايبه [من الوافر] :

لنا شيخ بفقحته يواسى ويحلق شاربيـه بالمواسى
إذا بايته فى جوف بيت فسايفسو فسـاء فهو فاسى

ولأبى عيسى [من مجزوء الكامل] :

لوم النديم منغص طيب المجالس والندام
وسماحة الحر الـكريـــم تزيد فى طيب المدام
فإذا شربت الراح فاشـــربها مع النفر الـكرام
وتنكبن ما اسطعت أخــلاق اللئام بنى اللئـام

* * *

ولأبى الفتح بن المنجم [من الخفيف] :

كنت أدعو عليه بالشعر حتى زاده الشعر فى الأنام جمالا
وإذا كان هكذا كان خذلا نى دقيقا وكان شؤمى جلالا

وأضر الأشياء أن عذولى في هواه أشد مني خبالا

* * *

ولأبى محمد بن المنجم [من المتقارب] :

إذا لم تنل همم الأكرمين وسعيهم وادعاً فاغترب

فكم دعة أتعبت أهلها وكم راحة نتجت من تعب

* * *

ولأبى الحسن بن المنجم [من الطويل] :

هو الدهر لم تبدع على صروفه ولم يأت شيئاً لم أكن أتخيله

وما راعنى المكروه إذ هو عادنى لديه ، ولكن راع قلبى تعجله

تعجل حتى كاد آخر فعله يجيء ولما ينقطع بعد أوله

وعمى ابن بابك على أبى الحسن بن المنجم بيتاً ، هو [من مجزوء الكامل] ·

بكر العواذل فى الصبا ح يلمن من فرط اصطباحى

فأخرجه أبو الحسن وكتب إليه [من مجزوء الكامل] :

بأبى وأمى أنت من خل أعز أخى سماح

عميت لى بيتا وجد تك فيه عفت بكور لاحى

فنقرته نقراً فطـن ولاح من كل النواحى

ووجدته من قول مغـرى بالخلاعة والمزاح

بكر العواذل فى الصبا ح يلمن من فرط اصطباحى

فانشط وأبهم غيره ليجوب ظلمته صباحى

ويصح عندك فى الحجى أن المعلى من قداحى

فأجابه ابن بابك [من مجزوء الكامل] :

بأبى محاسن زرننى وبديعة سلت مزاحى

وخلائق كالنور با ح بسره نفس الصباح

وخلائق لو صورت سكنت أنابيب الرماح

كشفت ضباب حديقتى وأجابها مزن اقتراحى
فأتت تخايل فى نظا م هز أعطاف ارتياحى

* * *

أبو طاهر بن أبى الربيع

هو عمرو بن ثابت بن سعد بن على الذى ذكرة الصاحب فى كتاب له وقال « وأما قصيدة أبى طاهر بن أبى الربيع ، فأحسن من الربيع ، ومن قطيعة الربيع . وإنها لوثيقه الجزالة ، أنيقة الأصالة . تنطق عن أدب مهيد الأسر . شديد الأزر . وله عندنا أسلاف بر أرجو أن لا تبقى فى ذمتنا حتى نقضيها، فوعد الكريم ألزم من دين الغريم » . وأول قصيدته التى وصفها الصاحب [من الطويل] :

أما لصحابى بالعذيب معرج على دمن أكنافها تتأرج
وصهباء بكريسب الدرقعرها ومطفاه أعلى كأسها حين تمزج
سلام على عهد التصابى فإننى إلى الرتبة العليا بظلك أحوج
إليك ابن عباد شددنا غروضها وضوء النهار فى دجا الليل يولج
وعبر عن مكنون مافى ضمائرى خلوص ولائى والثناء المدبج

وقوله من قصيدة [من الكامل] :

سحبت دلادلها على الغبراء سحب تتج ودائع الأنواء
والشمس تلحظ من خروق حجابها مرضى الجفون سقيمة الأضواء
وكأنما هتك الحجاب متيم عن غر وجه الغادة الحسناء
وكأن مولى الرياض ضرائر نزهى بحضرتها على الخضراء
قد أبرزت زهراتها وازينت وتعطرت وتبرجت للرائى
والنور منحسر القناع كما بدت للناظرين محاسن العذراء

والنبت ريان المهزة مائل شرق محاجر زهره بالماء
مسحت بأجنحة الصبا أعرافه وجلت مداوسها متون إضاء
فترى الظباء إذا وردن حياضها كـكواعب قابلنهن مرائى

أخذه من قول ابن المعتز [من الكامل] :

وترى الرياح إذا مسحن غديره صفينه ونفين كل قذاة
ما إن يزال عليه ظبي كارع كتطلع الحسناء فى المرآة

* * *

أبو الفرج الساوى

أشهر كتاب الصاحب بحسن الخط ، مع أخذه من البلاغة بأوفر الحظ ، وكان الصاحب يقول : خط أبى الفرج يبهر الطرف ، ويفوت الوصف ، ويجمع صحة الأقسام ، ويزيد فى نخوة الأقلام . وأما شعره فمن أمثل شعر الكتاب كقوله . فى مرثية فخر الدولة [من الوافر] :

هى الدنيا تقول بملء فيها حذار حذار من بطشى وفتكى
فلا يغرركم حسن ابتسامى فقولى مضحك والفعل مبكى
بفخر الدولة اعتبروا فإنى أخذت الملك منه بسيف هلك
وقد كان استطال على البرايا ونظم جمعهم فى سلك ملك
فلو شمس الضحى جاءته يوماً لقال لها عتوا أف منك
ولو زهر النجوم أبت رضاه تأبى أن يقول رضيت عنك
فأمسى بعد ما قرع البرايا أسير القبر فى ضيق وضنك
أقدر أنه لو عاد يوما إلى الدنيا تسربل ثوب نسك
دعى يانفس فكرك فى ملوك مضوا بل لانقراضك ويك فابكى
فلا يغنى هلاك الليث شيئاً عن الظبي السليب قميص مسك

هى الدنيا أشبهها بشهد يسم ، وجيفة طليت بمسك
هى الدنيا كمثل الطفل ، بينا يقهقه إذ بكى من بعد ضحك
ألا يا قومنا انتبهوا فإنا محاسب فى القيامة غير شك

وأنشدت له فى وصف البرغوث [من السريع] :

وأصهب فى قد شونيزة أقفز من فهد على خشف
يسهرنى تخمبشه دائبا وعشه يعمل فى حتفى

* * *

أبو الفرج بن هندو

وهو الحسين بن محمد بن هندو ، من أصحاب الصاحب . وممن تخرجوا بمجاورته وصحبته ، فظهر عليهم حسن أثر الدخول فى خدمته . أنشدنى أبو حفص عمرو بن على المطوعى ، قال : أنشدنى أبو الفرج لنفسه بالرى [من البسيط] :

لا يوحشنك من مجد تباعده فإن للمجد تدريجًا وتدريبا
إن القناة التى شاهدت رفعتها تنمى فتصعد أنبوبا فأنبوبا

وأنشدنى أيضاً له [من الطويل] :

يسر زمانى أن أناط بأهله وآنف أن أعزى إليه لجهله
ويعجبنى أن أخرتنى صروفه فتأخيرها الإنسان برهان فضله
فإنا رأينا قائم السيف كلما نقلده الأبطال قدام نصله

وله أيضا فى الغزل [من المنسرح] :

تقول لو كان عاشقاً دنفاً إذا بدت صفرة بخديه
لا تنكريه فإن صفرته غطت عليها دماء عينيه

وله [من مخلع البسيط] :

عابوه لما التحى فقلنا عبتم وغبتم عن الجمال

هـــذا غزال وما عجيب تولد المسك فى الغزال

وقال [من مخلع البسط] :

كم من ملح عــلى أذاه يسل من فــكه حساما
صب فذى القول فى صماخى فصــار حلى له فداما

قال مؤلف الكتاب : قد كان اتفق لى فى أيام صباى معنى بديع لم أقدر أنى سبقت إليه ، ولا ظننت أنى شوركت فيه ، وهو قولى فى آخر هذه الأبيات الأربعة [من مجزوء الرجز] :

قلبي وجدا مشتعل عــلى الهموم مشتمل
وقد كستنى فى الهوى ملابس الصب الغزل
إنسانة فتـــانة بدر الدجى منها خجل
إذا زنت عينى بها فبالدموع نغتسل

وأنشدنى أبو حفص من قصيدة لأبى الفرج [من الطويل] :

يقولون لى ما بال عينك مذ رأت محاسن هـذا الظبي أدمعها هطل
فقلت زنت عينى بطلعة وجهه فكان لها من صوب أدمعها غسل

فصح عندى تشارك الخواطر وتواردها فى المعانى ، إذ لم يكن مجال للظن فى سرقة أحدنا من الآخر . والله أعلم بحقيقة الحال .

ومن غرر صاحباته قصدته التى أولها [من الطويل]

لها من ضلوعى أن يشب وقودها ومن عبراتى أن تفض عقودها
بذلت لها الدمع المصون وإن غدت تمانعنى فى نظرة أستفيدها
سلام عليها حيث حلت فإننى عدمت فؤادى منذ عز وجودها
وكم ليلة زارت وقــد لان أهلها وسامح واشيها ، وغاب حسودها
لحلت بتضييق العناق عقودها وحلى من در المدامع جيــدها

وركب أطاروا النوم عنهم وأججوا ... من العزم نارا مستنيرا وقودها
على كل هوجاء النجاة كأنها ... تطير فما يؤذى الصخور وخوذها
تؤم بهم بحر الفضائل والعلا ... ولا سفن إلا رحلها وقتودها
يجوزون أجواز السباسب باسمه ... فيصفر داجيها ويدرج بيدها
فقد ملكوا العلياء إذ عبدوا السرى ... ولن يملك العلياء إلا عبيدها
إليك تحملنا أمانى أجدبت ... على ثقة أن النجاح يجودها

ومنها فى وصف الجيش والحرب :

وشهباء يثنى الشهب كمتا نجيعها ... إذا قارعت والكمت شهبا كديدها
تبدت لنا فى روضة تنبت القنا ... بماء الطلى أغوارها ونجودها
أدارت بسقاة البيض والسمر بيننا ... كؤوس المنايا حين غنى حديدها
شفيت غليل الطير منها موسعا ... قراها وهامات الكماة سهودها
غمائم إيماض السيوف بروقها ... لديها وإرزام الخيول رعودها
ولا غيث إلا أن يصب على العدا ... بنوء الظبا حمر المنايا وسودها
يبشرك النيروز باليمن مطلعا ... عليك نجوما ما تغيب سعودها
فدم تدفع الجلى وتفترع العلا ... وتبدأ أفعال الندى وتعيدها
كسونا بك الأشعار فخرا وزينة ... فخيم بين الشعريين قصيدها
وسار بها الركبان فى كل بلدة ... ولولاك ما جاز اللهاة نشيدها

وملح أبى الفرج كثيرة ، ولا يسع هذا الباب إلا هذا الأنموذج منها

* * *

الباب السابع

فى ذكر سائر شعراء الجبل والطارئين عليه من العراق وغيرها وملح أخبارهم وأشعارهم

أبو الحسين أحمد بن فارس بن زكريا المقيم

كان بهمذان من أعيان العلم وأفراد الدهر ، يجمع إتقان العلماء ، وظرف الكتاب والشعراء ، وهو بالجبل كابن لنكك بالعراق وابن خالويه بالشام وابن العلاف بفارس وأبى بكر الخوارزمى بخراسان ، وله كتب بديعة ، ورسائل مفيدة ، وأشعار مليحة ، وتلامذة كثيرة ، منهم بديع الزمان ، وأنا أكتب من رسالة لأبى الحسين كتبها لأبى عمرو محمد بن سعيد الكاتب فصلا فى نهاية الملاحة يناسب كتابى هذا فى محاسن أهل العصر ، ويتضمن أنموذجا من ملح شعراء الجبل وغيرها من العصريين وظرف أخبارهم ، كأبى محمد القزوينى وابن الرياشى والهمذانى المقيم بشيراز وابن المناوى وأبى عبد الله المغلسى المراغى وغيرهم . ثم أورد ما وقع إلى من ملح أبى الحسين ، إن شاء الله تعالى

الفصل من الرسالة المذكورة

ألهمك الله الرشاد ، وأصحبك السداد ، وجنبك الخلاف ، وحبب إليك الإنصاف . وسبب دعائى بهذا لك إنكارك على أبى الحسن محمد بن على العجلى تأليفه كتاباً فى الحماسة وإعظامك ذلك . ولعله لو فعل حتى يصيب الغرض الذى يريده ، ويرد المنهل الذى يؤمه . لاستدرك من جيد الشعر ونقيه ومختاره ورضيه كثيراً مما فات المؤلف الأول . فماذا الإنكار ؟ ولمه هذا الاعتراض؟ ومن ذا حظر على المتأخر مضادة المتقدم ؟ ولمه تأخذ بقول من قال : ما ترك

الأول للآخر شيئا ، وتدع قول الآخر : كم ترك الأول للآخر ؟ وهل الدنيا إلا أزمان ولكل زمان منها رجال ؟ وهل العلوم بعد الأصول المحفوظة إلا خطرات الأوهام ونتائج العقول ؟ ومن قصر الآداب على زمان معلوم ، ووقفها على وقت محدود ؟ ولمه لا ينظر الآخر مثل ما نظر الأول حتى يؤلف مثل تأليفه ويجمع مثل جمعه ، ويرى فى كل ذلك مثل رأيه ؟ وما تقول لفقهاء زماننا إذا نزلت بهم من نوادر الأحكام نازلة لم تخطر على بال من كان قبلهم ؟ أوما علمت أن لكل قلب خاطرا ولكل خاطر نتيجة ؟ ولمه جاز أن يقال بعد أبى تمام مثل شعره ولم يجز أن يؤلف مثل تأليفه ؟ ولمه حجرت واسعا ، وحظرت مباحا ، وحرمت حلالا ، وسددت طريقا مسلوكا ؟ وهل حبيب إلا واحد من المسلمين له ما لهم وعليه ما عليهم ؟ ولم جاز أن يعارض الفقهاء فى مؤلفاتهم ، وأهل النحو فى مصنفاتهم ، والنظار فى موضوعاتهم . وأرباب الصناعات فى جميع صناعاتهم ، ولم يجز معارضة أبى تمام فى كتاب شذ عنه فى الأبواب التى شرعها فيه أمر لا يدرك ولا يدرى قدره ؟ ولو اقتصر الناس على كتب القدماء لضاع علم كثير ، ولذهب أدب غزير ، ولضلت أفهام ثاقبة ، ولكلت ألسن لسنة ، ولما توشى أحد لخطابه ، ولا سلك شعبا من شعاب البلاغة ، ولمجت الأسماع كل مردد مكرر ، وللفظت مقلوب كل مرجع ممضغ ، وحتام لا يسأم

* لو كنت من مازن لم تستبح إبلى (١) *

وإلى متى * صفحنا عن بنى ذهل (٢) *

ولمه أنكرت على العجلى معروفا ، واعترفت لحمزة بن الحسين ما أنكره

---

(١) تتمة هذا البيت قول الشاعر * بنو اللقيطة من ذهل بن شيبانا *

(٢) تتمة هذا قوله * وقلنا القوم إخوان *

على أبى تمام فى زعمه أن فى كتابه تكريرا وتصحيفا وإيطاء وإقواء ونقلا لأبيات عن أبوابها إلى أبواب لا تليق بها ولا تصلح لها إلى ما سوى ذلك من روايات مدخولة ، وأمور عليلة ، ولمه رضيت لنا بغير الرضى ؟ وهلا حسست على إثارة ما غيبته الدهور ، وتجديد ما أخلقته الأيام ، وتدوين ما نتجته خواطر هذا الدهر ، وأفكار هذا العصر ، على أن ذلك لو رامه رائم لأتعبه ، ولو فعله لقرأت ما لم ينحط عن درجة من قبله ، من جد يروعك ، وهزل يروقك ، واستنباط يعجبك ، ومزاح يلهيك !

وكان بقزوين رجل معروف بأبى محمد الضرير القزوينى حضر طعاما وإلى جنبه رجل أكول فأحس أبو حامد بجودة أكله ، فقال [من الرجز] :

وصاحب لى بطنه كالهاويه كأن فى أمعائه معاويه

فانظر الى وجازة هذا اللفظ ، وجودة وقوع الأمعاء الى جنب معاوية ، وهل ضر ذلك أن لم يقله حماد عجرد وأبو الشمقمق ؟ وهل فى إثبات ذلك عار على مثبته ؟ أو فى تدوينه وصمة على مدونيه ؟

وبقزوين رجل يعرف بابن الرياشى القزوينى ، نظر إلى حاكم من حكامها من أهل طبرستان مقبلا عليه عمامة سوداء وطيلسان أزرق وقميص شديد البياض وخفه أحمر ، وهو مع ذلك كله قصير ، على برذون أبلق هزيل الخلق طويل الحلق ، فقال حين نظر إليه [من السريع] :

وحاكم جاء على أبلق كعقعق جاء على لقلق

فلو شاهدت هذا الحاكم على فرسه لشهدت للشاعر بصحة التشبيه وجودة التمثيل . ولعلمت أنه لم يقصر عن قول بشار [من الطويل] :

كأن مثار النقع فوق رءوسنا وأسيافنا ليل تهاوى كواكبه

فما تقول لهذا ؟ وهل يحس ظلمه فى إنكار إحسانه وجحود تجويده ؟

وأنشدنى الأستاذ أبو على محمد بن أحمد بن الفضل لرجل بشيراز يعرف بالهمذانى . وهو اليوم حى يرزق ، وقد عاب بعض كتابها على حضوره طعاما مرض منه [من المتقارب] :

وقيت الردى وصروف العلل ولا عرفت قدماك الزلل
شكا المرض المجد لما مرضـــت فلما نهضت سليما أبل
لك الذنب لا عتب إلا عليك لمـاذا أكلت طعام السفل
طعـام يسوى بتبع النبيذ ويصلح من حذر ذاك العمل

وأنشدنى له فى شاعر هو اليوم هناك يعرف بابن عمرو الأسدى ، وقد رأيته فرأيت صفة وافقت الموصوف [من المنسرح] :

وأصفر اللون أزرق الحدقه فى كل ما يدعيه غير ثقه
كأنه مالك الحزين إذا هم بزرق وقد لوى عنقه
إن قمت فى هجوه بقافية فكل شعر أقوله صدقه

وأنشدنى عبد الله بن شاذان القارى ليوسف بن حمويه من أهل قزوين ويعرف بابن المنادى [من الوافر] :

إذا ما جئت أحمد مستميحا فلا يغررك منظره الأنيق
له لطف وليس لديه عرف كبارقة تروق ولا تريق
فما يخشى العدو له وعيدا كما بالوعد لا يثق الصديق

وليوسف محاسن كثيرة ، وهو القائل ، ولعلك سمعت به [من الخفيف] :

حج مثلى زيارة الخمار واقتنائى العقار شرب العقار
ووقارى إذا توقر ذو الشيـــبة وسط الندى ترك الوقار
ما أبالى إذا المدامة دامت عذل ناه ولا شناعة جارى
رب ليل كأنه فرع ليلى ما به كوكب يلوح لسارى

قد طويناه فوق خشف كحيل أحور الطرف فاتر سحار

وعكفنا على المدامة فيه ورأينا النهار فى الظهر جارى

وهى مليحة كما ترى ، وفى ذكرها كلها تطويل . والإيجاز أمثل ، وما أحسبك ترى بتدوين هذا وما أشبهه بأسا .

ومدح رجل بعض أمراء البصرة ثم قال بعد ذلك وقد رأى توانيا فى أمره قصيدة يقول فيها كأنه يجيب سائلا [من مجزوء الكامل] :

جودت شعرك فى الأمـــير فكيف أمرك قلت فاتر

فكيف تقول لهذا ؟ ومن أى وجه تأتى فتظلمه ؟ وبأى شىء تعانده فتدفعه عن الإيجاز والدلالة على المراد بأقصر لفظ وأوجز كلام ؟ وأنت الذى أنشدتنى [من مجزوء الكامل] :

سد الطريق على الزما ن وقام فى وجه القطوب

كما أنشدتنى لبعض شعراء الموصل [من المتقارب] :

هديتك ما شبت عن كبرة وهذى سنى وهذا الحساب

ولكن هجرت فحل المشيب ولو قد وصلت لعاد الشباب

فلم لم تخاصم هذين الرجلين فى مزاحمتهما فحولة الشعراء وشياطين الإنس ومردة العالم فى الشعر ؟

وأنشدنى عبد الله المغلسى المراغى لنفسه [من الطويل] :

غداة تولت عيسهم فترحلوا بكيت على ترحالهم فعميت

فلا مقلتى أدت حقوق ودادهم ولا أنا عن عينى بذاك رضيت

وأنشدنى أحمد بن بندار لهذا الذى قدمت ذكره ، وهو اليوم حى يرزق [من الخفيف] :

زارنى فى الدجى فنم عليه طيب أردانه لدى الرقباء

والثريا كأنها كف خود أبرزت منه غلالة زرقاء

وسمعت أبا الحسين السروجي يقول : كان عندنا طبيب يسمى النعمان ويكنى أبا المنذر ، فقال فيه صديق لي [من الطويل] :

أقول انعمان وقد ساق طبه نفوساً نفيسات إلى باطن الأرض
أبا منذر أفنيت فاستبق بعضنا حنانيك بعض الشر أهون من بعض

* * *

وهذه ملح من شعر أبي الحسين بن فارس ، منها قوله في الشكوى [من الطويل]:

سقى همذان الغيث لست بقائل سوى دا ، وفي الأحشاء نار تضرم
وما لي لا أصفي الدعاء لبلدة أفدت بها نسيان ما كنت أعلم
نسيت الذي أحسنته غير أنني مدين ، وما في جوف بيتي درهم

وله [من الوافر] :

وقالوا كيف حالك قلت خير تقضى حاجة وتفوت حاج
إذا ازدحمت هموم الصدر قلنا عسى يوما يكون لها انفراج
نديمي هرتي وأنيس نفسي دفاتر لي ومعشوقي السراج

وقوله [من مجزوء الرمل] :

كل يوم لي من سلمى عتاب وسباب
وبأدنى ما ألاقي منهما يودي الشباب

وقوله [من البسيط] :

ياليت لي ألف دينار موجهة وأن حظي منها فلس إفلاس
قالوا : فما لك منها ؟ قلت: يخدمني لها ومن أجلها الحمقى من الناس

وقوله [من السريع] :

مرت بنا هيفاء مقدودة تركية تنمى لتركي

ترنو بطرف فاتر فاتن أضعف من حجة نحوى

وقوله [من المنسرح] :

قالوا لى اختر فقلت ذا هيف بى عن وصال وصده برح
بدر مليح القوام معتدل قفاه وجه ووجهه ربح

وقوله [من مجزوء الكامل] :

اسمع مقالة ناصح جمع النصيحة والمقه
إياك واحذر أن تبيـــت من الثقات على ثقه

وقوله [من المتقارب] :

إذا كان يؤذيك حر المصيف وكرب الخريف وبرد الشتاء
ويلهيك حسن زمان الربيع فأخذك للعلم قل لى : متى ؟

وقوله [من البسيط] :

وصاحب لى أتانى يستشير وقد أدار فى جنبات الأرض مضطربا
قلت اطلب أى شىء شئت واسع ورد عند الموارد إلا العلم والأدبا

وقوله [من المتقارب] :

إذا كنت فى حاجه مرسلا وأنت بها كلف مغرم
فأرسل حكيما ولا توصه وذاك الحكيم هو الدرهم !

وقوله [من الطويل] :

عتبت عليه حين ساء صنيعه وآليت لا أمسيت طوع يديه
فلما خبرت الناس خبر مجرب ولم أر خيراً منه عدت إليه

أخذه من قول القائل [من الطويل] :

عتبت على سلم فلما هجرته وجربت أقواما رجعت إلى سلم

وقوله [من المتقارب] :

تلبس لباس الرضا بالقضا وخل الأمور لمن يملك
تقدر أنت وجارى القضا ء ممـــا تقدره يضحك

* * *

براكويه الزنجانى المعروف بالثلول

كل ما سمعت من شعره ملح وظرف ، ونكت لا يسقط منها بيت ،
أنشدنى بديع الزمان له [من الوافر] :

مضى العمر الذى لا يستعاد ولما يقض من ليلى مراد
بليت وذكرها عندى جديد وشاب الرأس واسود الفؤاد
تواصى للرحيل بنو أبيها فقلت لغير رأيكم السداد

وأنشدنى أبو نصر المغلسى قال : أنشدنى براكويه لنفسه فى غلامه يوسف
[من الطويل] :

مضى يوسف عنا بتسعين درهما وعاد وثلث المال فى كف يوسف
وكيف يرجى بعد هذا صلاحه وقد ضاع ثلثا ماله فى التصرف ؟

وأنشدنى غيره له [من الوافر] :

وأهيف نالت الأيام منـــه غداة أظل عارضه السواد
نعرض لى ومرض مقلتيــــه فما وريت له عندى زناد
وقلت ارجع وراءك وابغ نورا أجئت الآن إذ ظهر الفساد
فغيرك من يصيد بمقلتيه وغنجهما وغيرى من يصاد

وقوله [من البسيط] :

أقسم زمانك بين الورد والآس واطلب سرورك بين الكبس والكاس
واجعل طبيبك ذا ، واجعل أنيسك ذا واخطب إلى الناس ود الناس باليأس

وقدمضى الناس فانظر ما الذى صنعوا ولا تكن لرسوم الناس بالناسى

وقوله [من الوافر] .

خرجت مباكرا من باب دارى أحاول حاجة فإذا زهير

فلم أثن العنــان وقلت أمضى فوجهك يازهير خرآ وخير

وقوله [من الطويل] :

هلم إلينا يا أخا الفضل والحجى فإن لدينا من صنوف الأطايب

أطايب لهو من سرور ولذة ومن طيبات الرزق قدر لطالب

مطيبة بكر بخاتم نارها وخطابها يأتون من كل جانب

وأنت لها أولاهم بافتضاضها فحى عليها الآن ياخير صاحب

* * *

أبو الحسن على بن محمد بن مأمون الأبهرى

أنشدنى عون بن الحسين الهمذانى ، قال : أنشدنى ابن مأمون الأبهرى لنفسه [من المتقارب] :

ألا يعجب الناس مما دعو ت ، يالالأنام لفقد الكرم

تيممت أحمد فى حاجة فقابلنى بحجاب أصم

وإن الفتى لحقيق بأن يهان إذا خف منه القدم

ومستخبر كنه ما بيننا من الحال قلت أخ وابن عم

كلانا إلى منسب نعتزى وتجمعنا آصرات الرحم

ولـكن له الفضل فى أنه يصول بقرن وأنى أجم

وأنشدنى أيضا له [من الطويل] :

خليلى ماذا أرتجى من غد امرىء طوى الكشح عنى اليوم وهو مكين

وإن امرءا قد ضن عنك بمنطق يسـد به فقر امرىء لضنين

وله [من المنسرح] :

ماكل من جدد الزمان له إلفا تناسى حبيبه الأول
إن كنت يا سيدى ويا أملى شغلت عنى فعنك لم أشغل
حسبك أنى من طول هجرك لا أدرى نهارى أم ليلتى أطول

وله [من الهزج] :

متى ترغب إلى الناس تكن للناس مملوكا
وإن أنت تخففت على الناس أحبوكا
وإن ثقلت عافوك وملوك وسبوكا
إذا ماشئت أن تعصى فمر من ليس يرجوكا
وسل من ليس يخشاك فيدمى عندها فوكا

* * *

أبو على الحسن بن محمد الضبيمى

من بعض كور الجبل ، يقول فى وصف مجمرة ومدخنة [من الطويل] ·

ومنحوتة من جنس قلبك قسوة برزت بها فى مثل قدك لينا
حوت جمرة فى لون خدك حمرة وفى حر أحشائى هوى وحنينا
يذكرنى ما فاح من عرف ندها شهورا مضت فى وصلنا وسنينا

وله فى وصف المجمرة [من الطويل] :

ومبرقة والبر تنوى وما نوت جفاى ولا إبراقها بعقوق
لها قسطل فى كل ناد تثيره على كل خل مخلص وصديق
أتت حاملا شمسا توقد فى دجا وأبناء حام فى برود عقيق
كأن دخان الند من فوق جمرها بقايا ضباب فى رياض شقيق

وله [من الطويل] :

ولما عدتني عنـه بادرة النوى　　أبى القلب منى أن يسير مع الركب
فسرت وقد خلفت قلبي عنـده　　فمن رأى شخصاً يسير بلا قلب

وله فى غلام تركى [من البسيط] :

أضيغم أم غزال ذاك أم بشر　　شمس تزيت بزى الترك أم قمر
لقد تحير وصفى فى حقيقته　　كما تحير فى أجفانه الحور

وله [من مجزوء الرمل] :

أنا مملوك لمملو　　ك وللدهر صروف
أيها السائل عن مو　　لاى مولاى وصيف
ياغزالا لحظ عيـــنيه　　منايا وحتوف
ما الذى ورد خديــك　　ربيع أم خريف

* * *

أبو الحسين على بن الحسين الحسنى الهمذانى

من علية العلوية ، ومحاسن الحسنية ، وكان الصاحب صاهره بكريمته التى هى واحدته ، فرزق منها عباد بن على الذى تقـدم ذكره . ولما قال الصاحب قصيدته المعراة من الألف التى هى أكثر الحروف دخولا فى المنظوم والمنثور وأولها [من المجتث] :

قد ظل يجرح صدرى　　من ليس يعدوه فكرى

وهى فى مدح أهل البيت ، تبلغ سبعين بيتا ــ تعجب الناس منها ، وتداولتها الرواة [من الطويل] :

فسارت مسير الشمس فى كل بلدة　　وهبت هبوب الريح فى البر والبحر

فاستمر الصاحب على تلك المطية ، وعمل قصائد كل واحدة خالية من حرف

من حروف الهجاء ، وبقيت عليه واحدة تكون معراة من الواو ، فانبرى أبو الحسين لعملها ، وقال قصيدة فريدة ليس فيها واو ، ومدح الصاحب فى عرضها ، أولها [من مجزوء الكامل] :

برق ذكرت به الحبائب لما بدا فالدمع ساكب
أمدامعى منهلة هاتيك أم غزر السحائب
نثرت لآلى أدمع لم يفترعها كف ثاقب
ياليلة قد بتها بمضاجع فيها عقارب
لما سرت ليلى تخـب لنأيها عنا الركائب
جعلت قسى سهامها إن ناضلته عقد حاجب
لم يخط سهم أرسلتـه ، إن سهم اللحظ صائب
تسقيك ريقاً سكره إن قسته للخمر غالب
كم قد تشكى خصرها من ضعفه ثقل الحقائب
كم أخجلت بضفائر أبدت لنا ظلم الغياهب
إخجال كف الصاحب الـ قرم المرجى للسحائب
ملك تلألأ من معا قد عزه شرف المناصب
نشأت سحائب رفده فى الخلق تمطر بالرغائب
خذها إليك فإننى نقحتها من كل عائب
ألفيت مالاقيت من إلقائه إحدى المصاعب
حرفا يعلل كل حر ف حل من لفظ المخاطب
هاذاك ترب الهاء إن لم أبده فالنهج لاحب
لـكن له تمثال قا ف خطه فى السطر كاتب
أنى اغترفت خليجها من بحرك العذب المشارب

فانعم بملك دائما ما حج بيت الله راكب

وله فى دار بعض الملوك [من الكامل] :

دار علت دار الملوك بهمه كعلو صاحبها على الأملاك
فكأنها من حسنها وبهائها بنيت قواعدها على الأفلاك

* * *

أبو سعد على بن محمد بن خلف الهمذانى

أحد أفراد الزمان الذين ملكوا القلوب بفضلهم ، وعمروا الصدور بودهم يرجع إلى أدب غزير ، وفضل كثير ، ويقول شعرا بارعا كأنما أوحى بالتوفيق إلى صدره ، وحبس الصواب بين طبعه وفكره . وكان الأمير أبو الفضل عبيد الله بن أحمد الميكالى جاز به عند منصرفه من الحج ، فخدمه أبو سعد بنفسه ونظمه ونثره . وانعقدت بينهما معاقدة المشاكلة ، وصداقة المناسبة . ولما أنشده الأمير أبياتا لأبى الفتح على بن محمد البستى مشابهة القوافى . قال أبو سعد أبياتا فيه ، على سبيل أبى الفتح فيها نهج ، وعلى منواله نسج ، فمنها قوله [من السريع] :

ما سر مولاى نبى الهدى بوحى جبريل وميكال
إلا قريبا من سرورى بما رزقت من ود ابن ميكال
لكن نواه قد أطاشت دمى فالله فيه لدمى كالى

وقوله [من الطويل]

أبى الفضل أن يحظى به غير أهله من الناس فاختص الأمير أبا الفضل
وإنى وإن أصبحت حرا فإننى عبيد عبيد الله ذى المن والفضل
هل الفضل إلا ما حوته خلاله وما بعده فضل يعد من الفضل

ومما وقع إلى بعد ذلك من غرر شعره التي رضي فيها عن طبعه قوله [من الطويل] :

أصرح بالشكوى ولا أتأول إذا أنت لم تجمل فلم أتجمل ؟
أفى كل يوم من هواك تحامل على ومنى كل يوم تحمل ؟
وإنى على ما كان منك لصابر وإن كان من أدناه يذبل يذبل
وما أدعى أنى جليد ، وإنما هى النفس ما حملتها تتحمل

وأنشدنى أبو حفص عمر بن على له [من مجزوء الرجز] :

زاد غرامى لهبا فطر غمام سكبا
فعاقنى عن قصدكم كما تعوق الرقبا
وكان عهدى قبل ذا بالماء يطفى اللهبا
فكيف قد فارق لى طباعه وانقلبا
وهكذا الدهر يرى فى كل يوم عجبا

* * *

أبو على الحسين بن أبى القاسم القاشانى

شاعر حسن الشعر ، كثير الملح والنكت . أنشدنى غير واحد له [من المنسرح] :

عينى مذ شطت الديار بكم تحكى سماء والدمع أنجمها
كأن فى وجنتى أنامله تسترق السمع وهى ترجمها

وأنشدنى أبو منصور اللجيمى الدينورى ، قال : أنشدنى أبو على لنفسه فى العنب [من الطويل] :

نهانى عذولى بل لحانى إذ رأى ولوعى بالأعناب أكثر قضمها
فقلت له الصهباء كانت عشيقتى فقد ألزمتنى رقة الحال صرمها

فعللت بالأعناب نفسى كمنعظ نأت عرسه عنـه فواقع أمها

وأنشدنى أيضاً ، قال : أنشدنى أيضاً لنفسه [من البسيط] :

ياليلة جمعتنى والمدام ومن أهواه فى روضه تحكى الجنان لنا

لأشكرنك ما ناحت مطوقة على الغصون كما طوقتنى مننا

وأنشدنى غيره لأبى على [من الطويل] :

أليس عجيبا أن جسمى ناحل نحول خلال بل نحول هلال

وأحمل ثقلا فى الهوى لا تقله متون جمال بل متون جبال

وأنشدنى أبو حفص عمر بن على ، قال : أنشدت بالرى لأبى على [من المسرح] :

قل للذى يظهر التبرم بى وبالرقاع التى أسطرها

حاجه مثلى إليك عارفة عندك بالله لست تشكرها

* * *

أبو القاسم عمر بن عبد الله الهرندى

أنشدنى الأمير أبو الفضل عبيدالله بن أحمد الميكالى له من مجزوء الكامل] :

الريح تحسدنى عليـــك ولم أخلها فى العـدا

لمـا هممت بقبلة ردت على الوجه الردا

وأنشدنى له [من الوافر] :

. وقالوا أى شىء منه أحلى فقلت المقلتان المقلتان

نعم والطرتان هما اللتان على عمر الهرندى فتنتان

وأنشدنى هرون بن جعفر الصيمرى ، قال : أنشدنى عمر الهرندى لنفسه [من الخفيف] :

لا أحب المدام إلا العتقا ويكون المزاج من فيك ريقا

إن بين الضلوع منى نارا تتلظى فكيف لى أن أطيقا
بحياتى عليك يامن سقانى أرحيقا سقيتنى أم حريقا

وعلى ذكر الحريق والرحيق فقد قال بعض أهل نيسابور [من مجزوء الرمل] :

وعقار عيش من عا قرها عيش رشيق
فهى للأنس نظام وإلى اللهو طريق
وهى للأرواح فى أبـ ـدانها نعم الصديق
قلت لما لاح لى منـ ـها شعاع وبريق
أشقيق أم عقيق أم رحيق أم حريق؟

وأنشدت له فى ذم المتصوفة [من مجزوء الرجز] :

تبا لقوم جعلوا دينا لدنيا مأكله
تستروا بأنهم صوفيـ ـة محنبله
وما يساوى نسكهم قلامة من مزبله
اتخذوا شباكهم إحفاءهم للأسبله

وله من قصيدة فى أبى الفتح بشر بن على [من الكامل] :

رؤياك فى أمرى روية حازم ذى حنكة فأقول قولا مبرما
إن تقصنى أمسيت مضغة ضيغم أو تدننى أصبحت ذاك الضيغما

وله فيه من قصيدة وقد كبت به دابته فى نهر عميق فهلكت وسلم أبو الفتح
من المتقارب] :

بنحس أعاديك دار الفلك وما دار يوما بسعد فلك
وإن هم دهر بما لا أقول فنفسى الفدا وعلى الدرك
بقيت جوادا فلا تحزنن لفقد الجواد الذى قد هلك

فإن أذنب الدهر فى أخذه   فخير من الطرف ما قد ترك

* * *

أبو عبد الله المغلسى المراغي

قد تقدم له ذكر فى الفصل من رسالة أبى الحسين بن فارس ، وهو القائل فى محك الذهب [من الطويل] :

ومشتمل من صبغة الليل بردة   يفوف طورا بالنضار ويطلس
إذا سألوه عن عويص ومشكل   أجاب بما أعيا الورى وهو أخرس

وله فى اللواء [من الطويل] :

ومرتفع للناظرين محارب   ترى رأسه فى بسطة الباع مائلا
حكى ثملا أصغى إلى البين فاغتدى   يشق عن الأذيال منه الغلائلا

وأخبرنى أبو الحسين النحوى أن له فى الأوصاف وما يجرى مجرى العويص شيئا كثيرا ، وإذا وقع إلى منه ما يصلح للإلحاق بهذا الفصل ألحقته ، إن شاء الله تعالى

* * *

القاضى أبو بكر الأسى

من أهل الرى ، بلغتنى له أبيات يسيرة فى نهاية خفة الروح ، كقوله [من مجزوء الرمل] :

يا غزالا هو للحسـ   ـن مقر ومحط
لم تكن أنت بهذا الـ   ـحسن والبهجة قط
مذ بدا فى عاج خديـ   ـك من العنبر خط

وقوله [من المنسرح] :

وزائر زار خائفا رصدا لم أرج منه زيارة أبدا
لو جار أن يعبد امرؤ أحدا من دون رب الورى إذاً عبدا
قمت لإكرامه فباس يدى أكرم بها فى الهوى على يدا
ياقبلة أصبحت لها شفتى تموت من غيظ راحتى كمدا

* * *

فصل

فى ذكر نفر من الطارئين على بلاد الجبل

أبو عبد الله البطحاوى

قال [من مجزوء الرمل] :

ياحمامى وحميمى وغرامى وغريمى
وسقيم الود والعهد لذى جسم سقيم
لم يزل ذكرك مذفا رقت ندمانى نديمى
وجهك الزاهر لى رو ض ورياك نسيمى
غير أنى أشتكى منك إلى غير رحيم
معرض عن وجه إقبا لى خلى عن همومى

* * *

ابن حماد البصرى

قال [من البسيط] :

إن كان لابد من أهل ومن وطن فحيث آمن من ألقى ويأمننى
يا ليتنى منكر من كنت أعرفه فلست أخشى إذا من ليس يعرفنى

لا أشتكى زمنى هذا فأظلمه وإنما أشتكى من أهل ذا الزمن
قد كان لى كنز صبر فافتقرت إلى إنفاقه فى مزاراتى لهم وفنى
وقد سمعت أفانين الحديث فهل سمعت قط بحر غير ممتحن

* * *

شمسويه البصرى

قال فى غلام يبيع الفرانى [من الخفيف] :

قلت للقلب ما دهاك : أجبنى قال لى : بائع الفرانى فرانى[1]
ناظراه فيما جنى ناظراه أو دعانى أمت بما أو دعانى

* * *

أبو الفضل النهر عاسى

قال [من الكامل]

لولا تعاليل النفوس وأنها مخدوعة ما سرها محبوب
خاب امرؤ محض النصيحة نفسه كل يشوب لنفسه ويروب

* * *

أحمد بن بندار

قال [من الطويل] :

وقالوا يعود الماء فى النهر بعد ما عفت منه آثار وجفت مشارعه
فقلت إلى أن يرجع الماء عائدا ويعشب شطاه تموت ضفادعه

* * *

(١) الفرانى : جمع فرنى أو فرنية ، وهو نوع من الحلوى تخبز فى الأفران

أبو عبد الله الروزبارى

قال فى وصف الثلج [من البسيط] :

ما لابن هم سوى شرب ابنة العنب فهاتها فهوة فراجة الكرب
أدهق كؤوسك منها واسقنى طربا على الغيوم فقد جاءتك بالطرب
أما ترى الأرض قد شابت مفارقها بما نثرن عليها وهى لم تشب
نثار غيث حكى لون الجمان لنا فاشرب على منظر مستحسن عجب
جاد الغمام بدمع كاللجين جرى فجد لنا بالتى فى اللون كالذهب

* * *

الباب الثامن

فى ذكر من هم شرط الكتاب من أهل فارس والأهواز سوى من تقدم ذكرهم فى ساكنى العراق

كعبد العزيز بن يوسف وأبى أحمدالشيرازى ، وسوى من يتأخر ذكرهم فى الطارئين على خراسان كأبى إسحاق المتصفح كان ببخارى وأبى الحسن محمد بن الحسين النحوى المقيم الآن بإسفرائين من نيسابور وأبى الحسين الأهوازى صاحب كتاب القلائد والفرائد المقيم كان بالصغانيات

***

أبو بكر هبة الله بن الحسين الشيرازى

المعروف بابن العلاف

كان بفارس للأدب مجمعاً ، وللشعر مفزعاً . مع التصرف فى مدارج الأحكام ، والمعرفة بشعب الحلال والحرام ، والقبول التام ، عند الخاص والعام ، خنق التسعين ولم تبيض له شعرة ، وهو القائل فى التبرم بشبابه من قصيدة [من الوافر] :

إلام وفيم يظلمنى شبابى ... ويلبس لمتى حلل الغراب

وآمل شعرة بيضاء تبدو ... بدو البدر من خلل السحاب

وأدعى الشيخ عتلنا شبابا ... كذى ظمأ يعلل بالسراب

فيا هلكى هنا لك من مشيبى ... ويا خجلى هنا لك واكتئابى

ألا يا خاضب الشيب المعنى ... أعنى فى الشباب على الخضاب

فكافور المشيب أجل عندى ... وفى فودى من مسك الشباب

وأين من الصباح ظلام ليل   وأين من الرباب دجى ضباب
ألا من يشترى منى شبابا   بشيب واسوداداً باشهباب

وبما يستحسن من شعره فى عضد الدولة قوله [من السريع] :

يا علم العالم فى الجود   مثلك جوداً غير موجـود
بيضت من وجه الندى بالندى   ما اسود فى أيامه السـود
كم لك فى كسبك للحمد من   سعى على الأيام محمود
بين مطيع لك أصفدته   وبين عاص لك مصفود(١)
بك استوى الجود على خدمة   كما استوى الفلك على الجودى
كم مورد منك ندى أو ردى   بين الرضا والسخط مورود
وسؤدد منك بعز العلا   يا عضد الدولة معضود
والدهر طوع لك فى كل ما   تحده من كل محدود
وكل جار لك من جوره   فى ظل أمن بك ممـدود
فعش وعيد سالمـا آمنا   ما عاد لطف الماء فى العود
وأسعد يد الدهر بما شئت من   ملك لأبنائك موطود

وبمـا يستجاد من شعره قوله فى الغزل [من البسيط] :

خداك للخنس السبع العلا فلك   ومقلتاك لشراد الهـوى شرك
وفيك نفع وضر يجريان كما   يجرى بما يحتوى فى وسعه الفلك
فالضر أجمع مخصوص به بدنى   والنفع بينى وبين الناس مشترك

وقوله [من الطويل] :

أبعـد دنو الدار من داركم أجفى   فلا غلة تشفى ولا لوعة تطفى
وكنت إذا سلسلت فى كأس ذى هوى   من الريق السلسال فى كأسه أصفى

(١) الاصفاد : العطاء ، وأصفده : أعطاه ، والمصفود : المفيد المشدود

فغيم يخون العهد من صدت عهده ويمزجنى من كان يشربنى صرفا

وقوله فى الزهد [من المنسرح] :

ما عذر من جر غاويا رسنه ما عذره بعد أربعين سنه
أكلما طالت الحياة به أطال عن أخذ حذره رسنه
قل لى إذا مت كيف ننقص من سيئة أو تزيد فى حسنه

* * *

أبو بكر بن شوذبة الفارسى

وجدت فى سفينه بخط الشيخ الرئيس أبى محمد عبد الله بن إسمعيل الميكالى.
لأبى بكر بن شوذبه الفارسى [من الطويل] :

إذا لم يكن ممن يؤوب هدية فلا لقيته بالسعادة داره
وإن يهد أقلاما ونقسا وكاغدا فلا قر يوما بالمقام قراره
وإن يهد بردا أو رداء محبرا فلا زال عنا ظله وجواره

وله [من الخفيف] :

ياضمانى على الربيع وشرطى طال شوقى فما ترى فى التلاقى
استزرنى بحرمتى ، أو فزرنى إن هذا الربيع ليس بباق
آفة البدر ما علمت كسوف وكسوف المحب يوم الفراق

وله [من الكامل] :

أنعم بيوم المهرجان فإنه يوم أتاك به الزمان جديد
ومضى المصيف وحره وعجاجه وأتى الخريف ووقته المحمود
إن كان هذا اليوم عيد اللورى فبقاء عمرك كل يوم عيد
والراح طيبة إذا ما عللت بسماع أهيف فى يديه عود

وله [من السريع] :

أكل من كان له نعمه أوسع من نعمة إخوانه
أم كل من كانت له كسرة يبذلها فى بعض أحيانه
أم كل من كان له جوسق مشرف شيد بأركانه
يرى بها مستكبرا تائها على أدانيه وخلانه

* * *

أحمد بن الفضل الشيرازى

كان يهوى فتى من أولاد الأغنياء المترفين بشيراز ، فقال فيه [من الكامل] :

ومن البلية والعظائم أننى علقت واحد أمه وأبيه
هما ذوا حذر عليه تراهما يتلقطان كلامه من فيه
قد دللاه وأورثاه رعونة من نخوة مشتقة من تيه

* * *

المعروف المنبسط الشيرازى

سمعت أبا نصر سهل بن المرزبان يقول : أضاف المنبسط بعض إخوانه ثم خرج وخلاه فى منزله ، فكتب إليه [من البسيط] :

يا خالى الجيب من عقل ومن أدب وإن تحليت من خال ومن نسب
تركتنى ومعى فى البيت واحدة وأنت تعلم ما يجرى به لقبى

* * *

أبو رجاء أحمد بن عفو الله الكاتب الشيرازى

قال [من البسيط] :

غضبت من قبلة بالكره جدت بها فها هى لك فاقتصيه أضعافا

لم يأمر الله إلا بالقصاص فلا تستجورى ما يراه الله إنصافا

* * *

أبو عبد الله الخوزى

قال [من السريع] :

ويل لمن عدله القاضى والله عنه ليس بالراضى
يمضى القضايا بشهاداته وهو إلى النار غداً ماض

* * *

أبو الحسن بن أبى سهل الأرجانى

قال [من المتقارب] :

مدحت ابن كلثوم صهر الوصى فأنزلنى بالمحل القصى
فأطعمه الله سلح الخصى وكلل يافوخه بالعصى

* * *

أبو على بن غيلان السيرافى

قال [من مجزوء الكامل] :

قد كنت ألتمس الترا ب فقد بدا لى فى التراب
وأهمى حين التعيـــر ولم يكن ذا فى حسابى

* * *

ابن خلاد القاضى الرامهرمزى

هو أبو محمد الحسن بن عبد الرحمن بن خلاد

من أبناء الكلام ، وفرسان الأدب ، وأعيان الفضل ، وأفراد الدهر ،

وجملة القضاة الموسومين بمداخلة الوزراء والرؤساء ، وكان مختصا بابن العميد تجمعهما كلمة الأدب ولحمة العلم ، وتجرى بينهما مكاتبات بالنثر والنظم ، كما تقدم ذكر صدر منهما ، وهكذا كانت حاله مع المهلبي الوزير ، وهو الكاتب إليه لما استوزر [من البسيط] :

الآن حين تعاطى القوس باريها   وأبصر السمت فى الظلماء ساريها
الآن عاد إلى الدنيا مهلبها   سيف الوزارة بل مصباح داجيها
تضحى الوزارة تزهى فى مواكبها   زهو الرياض إذا جادت غواديها
تاهت علينا بميمون نقيبته   قلت لمقداره الدنيا وما فيها
معز دولتها هنئتها فلقد   أيدتها بوثيق من رواسيها

فأجابه المهلبي بهذه الأبيات [من البسيط] :

مواهب الله عندى ما يدانيها   سعى ومجهود وسعى لا يوازيها
والله أسأل توفيقاً لطاعته   حتى يوافق فعلى أمره فيها
وقد أتتنى أبيات مهذبة   ظريفة جزلة رقت حواشيها
ضمنتها حسن إبداع وتهنئة   أنت المهنا باديها وتاليها
فثق بنيل المنى فى كل منزلة   أصبحت تعمرها منى وتبنيها
فأنت أول موثوق بنيته   وأقرب الناس من حال ترجيها

ومن ملح ابن خلاد قوله فى نفسه [من السريع] :

قل لابن خلاد إذا جئته   مستنداً فى المسجد الجامع
هذا زمان ليس يحظى به   حدثنا الأعمش عن نافع

وقوله وقد طولب بالخراج [من الرجز] :

يا أيها المكثر فينا الزبجره   ناموسه دفتره والمحبره
قد أبطل الديوان كتب السحره   والجامعين وكتاب الجمهره
هيهات لن يعبر تلك القنطره   نحو الكسائى وشعر عنتره

ودغفل وابن لسان الحمره ليس سوى المنقوشة المدوره (١)

وقوله [من الطويل] :

غناء قليل مالك ومحمد إذا اختلفت سمر القنا فى المعارك
بحمل بمال واغد غير مذمم بمشراط حجام ومنوال حائك

ومما يتغنى به من شعره قوله فى غلام من أبناء الديلم [من مجزوء الرجز] :

يا من لصب قلق بات يراعى الفلكا
جار به مسلط يجور فيمن ملكا
يهزأ من عاشقه يضحك منه إن بكى
مر بنا يخطر فى سريحة دللكا
كشادن ريع من الـصياد أبدى شركا
فقلت يا أحسن من تبصر عينى من لكا
فقال لى بغنة إليك لا أجرحكا
تبا لقاض يبتغى من المعاصى دركا
فقلت والله الذى صيرنى عبداً لكا
ما إن أردت ريبة ولم أرد سوءا بكا
وأنت فى قولك ذا آثم ممن أشركا

وقوله من قصيدة فى عضد الدولة أبى شجاع رحمه الله تعالى [من الكامل] :

جادت عراصك مزنة يا دار وكساك بعد قطينك النوار
فلكم أرقت بعقوتيك صبابة ماء المدامع والجوانح نار
ولقد أديل من الجهالة والصبا زمن على زنة العقول عيار

(١) ابن لسان الحمرة : خطيب بليغ نسابة ، اسمه عبد بن حصين ، ويقال : ورقاء بن الأشعر

ومنها فى المدح :

كر الفرار بيمنه وسعوده فعلت به لذوى الحجى أقدار
عمرت من الأدب الفقيد دياره ودنا من الكرم البعيد مزار
والفقه والنظر المعظم شأنه ظهرا وناضل عنهما أنصار
عادت إلى الدنيا بنوها واغتدت تبنى القوافى يعرب ونزار
وسمت إلى فصل الخطاب وأهله والقائلين بفضله أبصار
آب الحصين وعنتر ومهلهل والأعشيان وأقبل المرار
والنابغان وجرول ومرقش وكثير ومزرد وضرار
وسما جرير والفرزدق والذى يعزى الصليب إليه والزنار
وغدا حبيب والوليد ومسلم والآخرون يقودهم بشار
وأتى الخليل وسيبويه ومعمر والأصمعى ولم يغب عمار
نشرت بفنا خسرو أربابها كالأرض ناشرة لها الأمطار
أحيا الأمير أبو شجاع ذكرهم فنما القريض وعاشت الأشعار

ولما توفى ابن خلاد رثاه صديق له بقصيدة فى نهاية الحسن . أولها [من الكامل]:

همم النفوس فصارهن هموم وسرور أبناء الزمان غموم
ومصير ذى الأمل الطويل وإن حوى . أقصى المنى حتف عليه يحوم
وسعادة الإنسان رهن شقاوة يوماً وطالع يمنه مشؤوم
ومغبة الدنيا على استحلائها مر وعقد وفائها مذموم
وسنيحها برح ، وخصب ربيعها جدب ، وناصع عيشها مسموم
لاسعدها يبقى ، ولا لأواؤها يفنى ، ولا فيها النعيم مقيم
محسودها مرحومها ، ورئيسها مرءوسها ، ووجودها معدوم
وبقاؤها سبب الفناء ، ووعدها إيعادها ، ووداها مصروم

أما الصحيح فإنه من خوف ما يعتاده من سقمه لسقيم
وسليمها طى السلامة دائباً يرنو إلى الآفات وهو سليم
وغنيها حذر الحوادث والردى فى ظل أكناف اليسار عديم
سيان فى حكم الحمام وريبه عند التناهى جاهل وعليم
أودى ابن خلاد ربيع زمانه بحر العلوم وروضها المرهوم
لو كان يعرف فضله صرف الردى لانحاز عنه وبابه متلوم
عظمت فوائد علمه فى دهره فمصابه فى العالمين عظيم
إقليم بابل لم يكن إلا به فاليوم ليس لبابل إقليم
أنى اهتدى ريب المنون لسائر فوق النجوم محله المرسوم
ظلم الزمان فنز عنه كماله ومن العجائب ظالم مظلوم
لا تعجبن من الزمان وغدره فحديث غدرات الزمان قديم
لو كان ينجو ماجد لتقية نجى ابن خلاد التقى والخيم
لكنه أمر الإله وحكمه وقضاؤه فى خلقه المحتوم
روض من الآداب غض زهره ركد الهجير عليه فهو هشيم
وحديقة لما تزل ثمراتها تحف الملوك أصابهن سموم
شمامة الوزراء حلو حديثه تحف لهم دون النديم نديم
ريحانة الكتاب من ألفاظه يتعلم المنثور والمنظوم
أما العزاء فما يحل بساحتى والصبر عنك كما علمت دميم
وإذا أردت سلياً فكأننى فيما أردت من السلو مليم
فعليك ما غنى الحمام تحية ومع التحية نضرة ونعيم

محمد بن عبد العزيز السوسي

أحد شياطين الإنس ، يقول قصيدة تربى على أربعمائة بيت فى وصف حاله وتنقله فى الأديان والمذاهب والصناعات ، أولها [من المنسرح] :

الحمد لله ليس لى بخت ولا ثياب يضمها تخت
سيان بينى لمن تأمله والمهمه الصحصحان والمرت
أمنت فى بيتى اللصوص فما للص فيه فوق ولا تحت
فمنزلى مطبق بلا حرس صفر من الصفر حيثما درت
إبريقى الكوز إن غسلت يدى والطين سعدى ودارى الطست
وعاجل الشيب حين صيرنى فرزدقى المشيب إذ شبت
سلكت فى مسلك التصوف تنميساً فكم للذيول قصرت
سويت سجادة بيوم وأحفيت سبالا قد كنت طولت
وفى مقام الخليل قمت كما قام لأنى بـه تبركت
وقلت إنى أحرمت من بلدى وفى حرامى إن كنت أحرمت
ثم كتبت العطوف حتى بتد يرى بين الرءوس ألفت
حتى إذا رمت عطف بعل على عرس عكست المنى وطلقت
حرفى منق من التراب فكم ذريته مرة وغربلت
يا ليت شعرى مالى حرمت ولا أعطى من إن رأيته اغتظت
بل ليت شعرى لما بدا يقسم الا أرزاق فى أى مطبق كنت
والحمد لله قاسم الرزق فى الـخلق كما اختار لا كما اخترت

* *

أبو محمد السوسى

فقال من المجتث :

باكر على بيكر حمراء من كف بكر

وأحى بالقفص قصفى وأفن فى العمر عمرى
روح براحك روحى وحز بسكرى شكرى
فساعة لم أعشها فى القصف تقصف ظهرى

* * *

أبو الحسن بن غسان

سمعت أبا الحسين محمد بن الحسين الفارسى النحوى يقول : ورد أبو الحسن ابن غسان البصرى الشاعر الطبيب على أبى مضر عامل الأهواز فى جملة شعراء امتدحوه ، ومرض فى أثناء ذلك ، فعالجه أبو الحسن حتى برىء من مرضه ، وكتب للشعراء ولأبي الحسن خطوطا بصلات ، فأخر ترويجها ، فكتب إليه [من الوافر] :

هب الشعراء تعطيهم رقاعا مزورة كلاما من كلام
فلم صلة الطبيب تكون زورا وقد أهدى الشفاء من السقام ؟

قد تمت ـ بحمد الله تعالى وحسن توفيقه ـ مراجعة الجزء الثالث من كتاب « يتيمة الدهر . فى محاسن أهل العصر » لأبى منصور عبد الملك بن محمد بن إسماعيل الثعالبي النيسابورى . ويليه ـ إن شاء الله تعالى ـ الجزء الرابع مفتتحا بالباب التاسع فى ذكر من هم شرط الكتاب من أهل جرجان وطبرستان . نسأل الله ـ جلت قدرته ـ أن يعين على إكماله ، بمنه وفضله .

فهرس الجـــزء الثالث

من كتاب « يتيمة الدهر » فى محاسن أهل العصر »

للامام أبى منصور عبد الملك الثعالبى النيسابورى

المتوفى سنة ٤٢٩ من الهجرة

الباب الثامن

فى ملح المقلين من أهل بغداد

الباب التاسع

فيما أخرج من مجموع أشعار أهل العراق وغيرهم
فى الوزير أبى نصر سابور بن أردشير

الباب الرابع

في ذكر أبي العباس أحمد بن إبراهيم الضبي

الباب الخامس

في محاسن أهل العصر من إصبهان

الباب السادس

في ذكر الشعراء الطارئين على الصاحب من الآفاق

الباب السابع
في ذكر سائر شعراء الجبل

الباب الثامن

فى شعراء فارس والأهواز

سوى من تقدم منهم فى ساكنى العراق

تمت فهرس الجزء الثالث من « يتيمة الدهر »

والحمد لله أولا وآخرا ، وصلواته على سيدنا محمد وآله

4887

S/A